وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

من قصص أشهر الأوبرات

تأليف: ميلتون كروس
ترجمة: محمد حنانا

دراسات موسيقية 

دراسات موسيقية

ميلتون كروس

من قصص أشهر الأوبرات

ميلتون كروس

من قصص أشهر الأوبرات

ميلتون كروس

من قصص أشهر الأوبرات

ترجمة : محمد حنانا

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١م

موجــز
تاريــخ الأوبــرا

ولـدت الأوبـرا في إيطاليـا في نهايـة القـرن الـسادس عـشر. وفي الواقـع ، إن التأثيرات التي قادت إلى ولادتها متجذرة في العصور القديمة. فمنـذ قـرون مضت ، كان الممثلون ، عندما يلقون درامات سوفوكليس وأسخيلوس الـضخمة ، وأشعار شعراء اليونان التراجيديين ، كانت ترافقهم أحياناً الآلات الوترية والنفخية. وكـان الكورس ، الذي ينشد تعليقاً عـلى حـدث الـدراما ، يمثـل جـزءاً متممـاً للمـسرحية. وبالطبع كان من المحتم في آخر الأمر أن تخدم الموسيقا والدراما إحداهما الأخرى ، لكن قروناً مرت قبل أن تنجز العقول الموسيقية ذلك الاتحاد السار.

وسـنرى في هـذا التـاريخ الموجز أن التطـور الـذي وصـلت إليـه الأوبـرا كمـا نعرفهـا اليـوم ، تطلّـب عمليـة ثوريـة وتطوريـة بـدأت منـذ أكثـر مـن أربعمئـة عـام. نشأت الأوبرا من ثورة على الكتابة البوليفونية المعقـدة جـداً الـتي سـادت في القـرن السادس عشر. وقد أُنجزت «الثورة» في إيطاليـا في بدايـة القـرن الـسابع عـشر تقريبـاً على يد جاكوبو بيري في أوبراه «دافني» ، إذ حل ريسيتاتيف الصوت الواحد محـل أسلوب المادريغال الكونتربنتي بأصواته الخمسة أو الستة أو السبعة المنفصلة. وقـد امتـد تـأثير هـذه الثـورة شمـالاً مـن إيطاليـا عـبر أوربـا باعثـاً الروح في الفعاليـات الأخرى التي بدأت حركتها باتجاه موازٍ.

في إنكلترا وفي السنوات الأولى من القرن السابع عشر، أفضت ماسكات* البلاط إلى تفعيل الريسيتاتيف. ففي عام ١٦١٧ وضع الإيطالي اللندني المولد نيكولو لانييري موسيقا لـ ماسك كتبه بن جونسون. لكن تأثير هذا العمل كان مؤقتاً، فالجد الأعلى الحقيقي للأوبرا في إنكلترا هو، كما يعرف الجميع، هنري بورسيل، الذي ظهر عمله بعد عدة عقود.

أما بالنسبة لألمانيا فقد ظهرت الإشارات الأولى للاجتياح الموسيقي الإيطالي في درسدن نحو عام ١٦٢٧، فقد ألف الألماني هنريش شوتس، الذي درس في فينيسيا، أوبرا على نص «دافني» الذي سبق أن استخدمه بيري. وكما كان متوقعاً، فقد كانت إيطالية الأسلوب. إن هذه المحاولة الألمانية في الأوبرا كانت مؤقتة التأثير. ومع ذلك فقد لعبت دوراً في تنشيط المحاولات الأوبرالية.

في فرنسا كانت القصة مختلفة. فالفرنسيون، بسبب حساسيتهم المميزة للدراما، لم تفتنهم بسهولة الأوبرا الإيطالية، التي كانت تتأكد فيها العناصر الغنائية على حساب العناصر الدرامية. لقد تباهَوْا بتقديم التقنيات الفرنسية، التي تضع الحبكة والأداء في المكان الأهم. إن الأوبرا الفرنسية الحقيقية ظهرت في منتصف القرن السابع عشر على يد جان باتيست لولي، ذلك الفلورنسي الذي آزرته الأكاديمية الملكية للموسيقا التي تأسست تحت رعاية لويس الرابع عشر. لقد قاومت فرنسا التأثير الإيطالي حتى زمن الثورة.

في نهاية القرن السابع عشر ازدهرت الأوبرا الإيطالية في إنكلترا وألمانيا ــ وقلدتها في فرنسا، لكن ليس على حساب العناصر الدرامية. لقد جال المغنون

* الماسك: عرض ترفيهي يتضمن الإلقاء والتمثيل والرقص بمرافقة الموسيقا.

الإيطاليون في جميع أنحاء القارة الأوربية مروّجين الأوبرا الإيطالية وأسلوب العرض. كان «العصر الذهبي» لمغني الأوبرا، بسبب أن الأوبرا، تحت تأثير مؤلفين كـ أليساندرو سكارلاتي، كانت تُكتب بالدرجة الأولى لعرض الصوت البشري مع اهتمام بسيط بالتسلية الدرامية.

مع أوبرا «أورفيو» أتت الثورة الثانية في الأوبرا. لقد أضفى غلوك على الأوبرا أهمية جديدة عندما أوجد توازناً بين القيم الدرامية والموسيقية. ومن الطريف أن نلاحظ أن خطوط التأثير بين الفرنسي والإيطالي تجتمع في أوبرات غلوك. وتشكل أعماله المتأخرة نموذج الأوبرا الفرنسية الكبيرة الفخمة « Grand Opera» التي كانت قيد التطور زمن لولي ورامو.

بعد غلوك، تأثر تقدم الأوبرا بعمق بالحركة الرومانتيكية الحديثة المولد، وبالتغيرات السياسية التي أحدثتها الثورة الفرنسية. إن التغيرات الثقافية والاجتماعية بشرت بعصر أوبرا تنبض بالروح الرومانتيكية والقومية ـ إن موتسارت، وبيتهوفن، ومايربر، وروسيني، ودونيزيتي، وفيبر هي أسماء تلألأت في السماء الأوبرالية. ثم بدأت من جديد في ذروة العصر الرومانتيكي دورة الثورة الأوبرالية مع فاغنر وفيردي. وكما في حالة غلوك، كانت المسألة هي في التخلي عن التكلف والسطحية للوصول إلى القيم الموسيقية والدرامية الجوهرية.

ظلت روسيا بمنأى عن التغيرات الأوبرالية حتى نهاية القرن الثامن عشر، عندما كانت الأوبرا الإيطالية تُقدم في موسكو وبطرسبورغ. وقد شهد القرن التاسع عشر عودة إلى الموسيقا القومية، وبدأ ميلاد الأوبرا الروسية بتقديم أوبرا «حياة من أجل القيصر» لـ غلينكا في عام ١٨٣٦. وقد عزز الروح القومية، كما تجلت في أوبرا غلينكا، مجموعة المؤلفين الخمسة ـ ألكسندر بورودين وميلي بالاكيريف وسيزار

كوي وموديست موسورسكي ونيكولاي ريمسكي ـ كورساكوف. وقبل بروز تيار القومية المتطرف، قاوم هؤلاء المؤلفون التأثير الإيطالي، وضمَّنوا أعمالهم النكهة القومية عن طريق تشريبها بألحان الأغاني الشعبية الروسية وإيقاعاتها.

امتد عصر الثورة الثالثة بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر حتى زمننا هذا. تحولت الأوبرا من الرومانتيكية إلى الواقعية، ثم مضت من خلال الانطباعية والموضوعانية* إلى الأشكال التجريبية الحديثة.

لا ينبغي دراسة تطور الأوبرا بوصفها شكلاً فنياً بمعزل عن الخلفية الحضارية الرحبة. فقد أثرت الأحداث التاريخية الهامة على نموها وتحولها من وقت لآخر. فعصر الرينيسانس، على سبيل المثال ـ أحد معالم الحضارة ـ حرك قوى فنية محددة ساهمت في وجودها. بدأ عصر الرينيسانس نحو عام ١٤٥٣ عندما احتل الأتراك القسطنطينية. على مدى أحد عشر قرناً كانت القسطنطينية حاضرة النصرانية الشرقية، وكان فيها مدارس يونانية جلبت لها الفنون والعلوم. وحينما غدت عاصمة الامبراطورية العثمانية، هجرها الفنانون والعلماء قاصدين بقاعاً مختلفة من العالم. وكانت إيطاليا هي المكان الأقرب، لذا فقد حل فيها هؤلاء اللاجئون المتميزون. وأصبحت إيطاليا مهد الرينيسانس.

وعلى الفور جلب الرينيسانس إلى إيطاليا المعرفة الكلاسيكية اليونانية والرومانية في جميع الفنون ـ إلا الموسيقا. إنه لمن السهل العودة إلى البساطة والمباشرة للعصر الكلاسيكي القديم في الفنون الأخرى، لأنها كانت مهملة في العصور الوسطى، ولم يكن ثمة عقبة أمامها للتأثر الخارجي. ومع ذلك فقد

* الموضوعانية Objectivism، يقصد الحقائق الموضوعية بوصفها متميزة عن الخبرة الذاتية. (المورد)

تطورت الموسيقا ووصلت إلى منزلة رفيعة، وفي الواقع استمر أثر القرون الوسطى مدة قرن ونصف في الرينيسانس. إن الثورة في الموسيقا، كما أشرنا سابقاً، كانت ثورة على البوليفونية المعقدة السائدة، كما تمثلت في موسيقا باليسترينا الكنسية، وبقية مؤلفي المادريغال.

في فلورنسا، وبعد أكثر من مئة عام على بزوغ فجر الرينيسانس، عاشت مجموعة من علماء الموسيقا الذين نذروا أنفسهم لفن اليونان القديم. وقد ضمت هذه المجموعة جاكوبو بيري وفينشينزو غاليلي (والد عالم الفلك غاليلي) وجيليو كاتشيني، واتخذوا الكونت جيوفاني باردي، النبيل الفلورنسي الثري، راعياً لهم. لقد نشد هؤلاء البارديستيون، كما كان يطلق عليهم أحياناً، إعادة بعث قوة الدراما اليونانية وعظمتها، وتقوية أثرها بموسيقا مرافقة.

لقد ثار هؤلاء المفكرون الراديكاليون ـ مثل جميع رجال عصر الرينيسانس ـ على الكتابة اليوليفونية التي كانت غدت فن القرن السادس عشر الرفيع. إنهم بإصرارهم على إضفاء بساطة الدراما اليونانية الفعالة والجوهرية على الموسيقا، ذهبوا إلى تطرف آخر ـ من بناء المادريغال المتعدد الأصوات المعقد إلى الخط الصوتي الواحد. ذلك، كان الريسيتاتيف، والريسيتاتيف كان بداية الأوبرا.

العمل الأول الذي كتب بالأسلوب الثوري، أسلوب الريسيتاتيف، كان أوبرا «دافني» لـ بيري، وقد قُدم أمام جمهور خاص عام ١٥٩٧. ويمكن القول إنها أول أوبرا قُدمت على المسرح. أما أوبرا «أوريديس» فقد وضعها بيري بالتعاون مع كاتشيني، وقُدمت أمام الجمهور عام ١٦٠٠. ويُنظر إلى هذا التاريخ بوجه عام على أنه تاريخ ميلاد الأوبرا. تضمنت أوبرا «يوريديس» خمسة فصول، اختتم كل فصل بكورس. وكان الحوار بشكل الريسيتاتيف مع المرافقة. وكان هنالك أيضاً آريا

يتصدَّرها مقطع موسيقي آلي. ينبغي أن يكون اختيار العمل هنا على أساس أنه عُدَّ أحياناً رائداً هاماً في مجال الأوبرا. ذلك العمل هو «أمفيبارناسو»، وقد وضعه أورازيو فيتشي عام ١٥٩٤، وفيتشي هو مؤلف مادريغالات وأستاذ عظيم في الفترة البوليفونية. ويتألف العمل، الذي هو تلحين لـ ملهاة الأقنعة، من ثلاثة فصول وأربعة عشر مشهداً كتبت لخمسة أصوات بشكل المادريغال. لم تمثل الـ «أمفيبارناسو» غُنّيت فقط. ومن الطريف ملاحظة أن العمل قُدم في نيويورك سيتي عام ١٩٣٣.

كان ثمة أشكال موسيقية أخرى في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر حملت بذرة الأوبرا في أحشائها. إن مؤلفي الموسيقا الدنيوية والدينية أدخلوا خصائص الدراما في موسيقاهم، كما فعل التروفيريون (الشعراء الموسيقيون) في شمال فرنسا، والممثلون في الطقوس الدينية السرية والمسرحيات الأُعجوبية في إنكلترا.

لقد نالت الأوبرا، التي أبدعها الفلورنسيون، استحسان العالم الموسيقي، كما خدمت أوبرتا «دافني» و«أوريديس» مدة طويلة بوصفهما نموذجين بالنسبة للمؤلفين الآخرين. وعلى أيدي مؤلفين مثل كلوديو مونتيفيردي، الذي وضع أوبرتا «دافني» و«أوريديس»، وبيترو فرانشيسكو كافالّي، الفينيسي الذي أضاف إلى رصيده أربعين أوبرا، خطت الأوبرا خطوات هامة. لقد أحدث مونتيفيردي ثورة في الموسيقا بتأسيسه للنظام المقامي، وأسهم في تطوير الريسيتاتيف بإعطائه مرافقة أكثر مرونة. ومن مساهمات كافالّي الهامة إدخال الشخصية الهزلية في الأوبرا، وإخراج الأوبرا من دنيا الكلاسيكية الصارمة ليقربها من عامة الناس. وقد ظهر تجديد كافالّي هذا في أوبراه «دوريسليا»، التي قُدمت عام ١٦٤٥.

إن مونتيفيردي وكافالّي لم يوسعا المدى العاطفي والدراماتيكي للأوبرا فقط، بل متطلباتها الأوركسترالية أيضاً. لقد كتبا أعمالهما لأوركسترات أكبر، وأدخلا مقاطع لحنية لكسر الريستياتيفات المتواصلة. إن من الطريف ملاحظة أنه حتى في هذه المرحلة كان الدافع الذي لا يُقاوَم للحن قد أظهر نفسه، على الرغم من قواعد البساطة الصارمة التي تحكم الريسيتاتيف. في أعمال مونتيفيردي وكافالّي. على سبيل المثال، تظهر مقاطع لحنية طويلة على حرف لين واحد، إنها وسيلة استخدمها فيما بعد سكارلاتي وهاندل بتأثير دراماتيكي.

عندما حازت الأوبرا تدريجياً على اهتمام الجمهور، ازداد الطلب على العروض الشعبية. ففي عام ١٦٣٧ افتتحت في فينيسيا أول دار أوبرا. في ذلك الوقت كان جمهور الأوبرا صغير الحجم وذا طبيعة أرستوقراطية. وبحلول عام ١٧٠٠ كان ثمة أكثر من إحدى عشرة دار أوبرا في تلك المدينة، آنئذٍ اشتهرت بوصفها عاصمة إيطاليا الأوبرالية. في تلك الدور، وفي الدور الأخرى التي شُيِّدت في مدن إيطاليا الرئيسية، كان يعرض برنامج موسع لأعمال مونتيفيردي وبيترو وكافالّي ومارك أنطونيو شيستي وجياكومو كاريسيمي وغيرهم من المؤلفين الأوائل.

شهد القرن السابع عشر تطوراً مفاجئاً في الأوبرا. ففي حين ازدرى مبدعو الأوبرا اللحن، بدأ المؤلفون الآن بتطوير ألحان من شتى الأنواع. فقد تحول عن تأكيد النطق البسيط المباشر، وغدت الأوبرا وسيلة لعرض الصوت لا أكثر. وكان السبب الرئيسي هو أن إيطاليا، منبع الأوبرا، قدمت أفضل المغنين الذين يمتلكون أصواتاً من طراز رفيع. وما من شك في أن الغناء، بوصفه فناً تطور فيما بعد في جميع أنحاء العالم، نشأ في إيطاليا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد

كتبت الأوبرا بصورة أساسية لإتاحة الفرصة أمام المغنين ليعرضوا أصواتهم وبالطبع كانت الوسيلة المنطقية لإظهار البراعة الصوتية هي المقاطع الطويلة المتواصلة، وهكذا ولدت الآريا. وتطورت أخيراً عبر طراز متشدد : قسم أول، قسم أوسط مغاير، ثم إعادة مختصرة للقسم الأول. وأخيراً انحطت الأوبرا لتصبح عبارة عن آريات متعاقبة وكوارس، مضحية بمفهوم الحبكة القصصية والمحتوى الدرامي.

إن المثال النموذجي لهذا الاتجاه في الكتابة الأوبرالية نجده في أعمال أليساندرو سكارلاتي (١٦٥٩ـ ١٧٢٥)، المؤلف الذي وضع نحو ١١٥ أوبرا، والذي يعد المؤسس الحقيقي للأوبرا الإيطالية. مع سكارلاتي احتل عرض الصوت البشري المرتبة الأولى، ففي أغلب الأحيان كانت المرافقة الموسيقية البسيطة تفي بالغرض. وقد أضاف للآريا زخرفة أوركسترالية في شكل مقدمة، وفاصل، وختام. لقد أرسى سكارلاتي أسلوب التأليف الأوبرالي الذي ظل رائجاً قرابة قرن من الزمن، والذي عُرف بـ (الأوبرا سيريا) أي الأوبرا الجادة.

وبينما كانت الأوبرا مزدهرة في إيطاليا، كان يتكون في فرنسا وألمانيا طراز قومي لهذا الشكل الفني. في فرنسا خرجت الأوبرا من البالية الذي كان ممثلها الرئيسي جان باتيست لولي (١٦٣٢ـ ١٦٨٧)، الفلورنسي الذي أصبح مؤلف بلاط ملك فرنسا. وهو يُعَدُّ المؤسس الحقيقي للأوبرا الفرنسية، إن أوبراه «أعياد الحب وباخوس» التي قُدمت عام ١٦٧٢ تعد حدثاً هاماً. كان لولي أول من أدخل الآلات النحاسية في الأوركسترا. وقد خدم الأوبرا عن طريق تجريدها من آريات مدرسة سكارلاتي المنمقة والخالية من المغزى، واضعاً الحبكة القصصية في منظورها المناسب، ومشدداً على القيم المشهدية، منح لولي الأوبرا الفرنسية

شخصية لازمتها منذ ذلك الحين. وبعد لولي جاء جان فيليب رامو المؤلف وعازف الأورغن الشهير. وقد أغنى الأوبرا، موسيقياً، عن طريق منحها تنوعاً هارمونياً كبيراً، وخلفية أوركسترالية ممتلئة.

وبتأثير إيطالي نهضت الأوبرا في ألمانيا، وعملياً ضم كل بلاط ألماني فرقة أوبرا إيطالية، أو إدارة إيطالية. وقد دُعي الشكل القومي للأوبرا بـ «Singspiel»، ومع ذلك، ازدهرت في المسارح الشعبية بجمهورها الصغير. وبتعريف بسيط فإن الـ «Singspiel» تعني مسرحية غنائية يربط فواصلها الغنائية حوار منطوق. وهي تشابه في شكلها العام الـ بالاد أوبرا الإنكليزية، والأوبرا بوفا الإيطالية، والأوبرا بوف الفرنسية. هذه الأشكال الأربعة اشتملت على أصولها المتجذرة في المسرحيات الأُعجوبية * ومسرحيات الطقوس السرية القروسطية في القرن الخامس عشر. وقد عادت الـ «Singspiel» للظهور بعد ذلك في أعمال بيتهوفن وموتسارت، ولكن في شكل مصقول. وفي الوقت نفسه أوصل المؤلفون الإيطاليون أمثال بيرغوليزي ودونيزيتي وروسيني الأوبرا بوفا Buffa (الهزلية) إلى قمة الكمال. أما الأوبرا بوف Bouffe الفرنسية فقد تطورت لاحقاً في شكل عُرف بـ الأوبرا كوميك التي تمثلها نموذجياً أوبرا كارمن وفاوست. وقد ظهرت خصائص الـ بالاد أوبرا الإنكليزية في نهاية القرن التاسع عشر في أوبرات جيلبير وسوليفان.

تعززت الأوبرا القومية الحقيقية في شمال ألمانيا، خصوصاً في هامبورغ، حين أفتتحت أول دار أوبرا عام ١٦٧٨. ومن ثمارها الأولى كان التقديم الأول لأوبرا «آدم وحواء» للمؤلف يوهان تايل (١٦٤٦ـ ١٧٢٤)، التي يمكن أن تعد الأوبرا الألمانية القومية الأولى. المؤلفان الشعبيان اللذان ساهما في تطوير الأوبرا، موسيقياً ودرامياً،

---

* المسرحية الأعجوبية : مسرحية تمثل مشاهد من حياة قديس ذي معجزات (المورد).

في هذا العصر ـ على الرغم من أنهما كتبا بالأسلوب الإيطالي ـ هما راينهارت كايزر وجوهان أدولف هاس، ويتضمن رصيد كل منهما نحو مئة أوبرا. أما المؤلف جورج فريدريك هاندل (١٦٨٥ـ ١٧٥٩)، فقد كان الأهم في ذلك العصر. لقد كتب العديد من الأوبرات في ألمانيا، لكنه وصل إلى قمة إبداعه اللامع في لندن، حيث هيمن بصورة كاملة على المشهد الأوبرالي. كان هاندل ممثل الأوبرا سيريا الشكلية التي تطورت على يد سكارلاتي، بتشديده على الآريا بوصفها أداة لعرض الصوت البشري. وفي الواقع إن فترة سكارلاتي ـ هاندل، يمكن أن تدعى عصر الآريا. وكان أيضاً عصر المغنين المخصيين «Castrati»، مغنو السوبرانو والكونترالتو الذكور، الذين جعلتهم أصواتهم اللامعة نجوم المسرح الأوبرالي المدللين.

في إنكلترا، قبل مجيء هاندل، لم يكن للأوبرا شأن متميز، وقد كتب هنري بورسيل (١٦٥٨ـ ١٦٩٥)، الذي يعد واحداً من أكثر مؤلفي القرن السابع عشر الإنكليز موهبة، أوبرا «دايدو وإينياس» و «ديوكليسيان»، اللتين أرهصتا إرهاصاً استثنائياً. إن موت بورسيل المأسوي المبكر وهو في السابعة والثلاثين من عمره غيَّر تاريخ إنكلترا الأوبرالي. ومع غياب البطل الإنكليزي الحقيقي، بقيت الأوبرا تحت تأثير هاندل والمدرسة الإيطالية. وأخيراً كان ثمة ردة فعل تجاه الأسلوب الإيطالي. وقد جاءت في شكل بالاد أوبرا مثلتها أوبرا «أوبرا الشحاذ» لـ غيبي، التي قُدمت عام ١٧٢٨. ومن الغريب أن موسيقا الأوبرا، التي حازت شعبية واسعة، كانت من تأليف جون بيبوش، وهو ألماني مهاجر. وبعد نجاح «أوبرا الشحاذ»، أُلفت أعمال الـ بالاد أوبرا، مؤسسة شكلاً إنكليزياً تقليدياً تعزز من خلال أعمال جيلبير وسوليفان. ومن بين المؤلفين الذين اقترنوا بالأوبرا في إنكلترا مايكل ويليام بالف الذي ألف «الفتاة البوهيمية»، وويليام فنسنت والاس مؤلف أوبرا

«ماريتانا»، وهنري رولي بيشوب مؤلف أوبرا «كلاري» التي تتضمن واحدة من أشهر الأغاني في العالم «Home, Sweet Home».

مع حلول القرن الثامن عشر كانت الأوبرا قد تطورت من خلال حلقة فنية، ونضجت متهيئة لثورة. إن إبداعية الفلورنسيين وعفويتهم أفسحت الطريق، منذ عهد بعيد، لظهور أشكال مؤسلبة وخاضعة لعرف وتقليد. كان المؤلفون ملزمين بكتابة عدد معين من الآريات لكل مغنٍ لكي يتمكن كل فنان من أن يعرض باختيال مكنونات صدره. وكان ثمة معايير قياسية موحدة للنصوص الأوبرالية، فعندما يريد أي مؤلف موسيقي نصاً أوبرالياً، يقدم ببساطة طلباً لـ بيترو ميتاستازيو، الشاعر الإيطالي والأول بين كتاب الليبريتو في زمنه. وهكذا لحن مؤلفون موسيقيون مختلفون بعض نصوصه مرات ومرات.

هكذا كانت حال الأمور عندما ظهر غلوك وموتسارت في المشهد الأوبرالي، وغيرا مصير الأوبرا. كان كريستوف فيليبالد غلوك (١٧١٤ــ ١٧٨٧)، الذي أصبح واحداً من أعظم مؤلفي الأسلوب الإيطالي الألمان، الأول الذي انسلخ عن التقليد الإيطالي. في منتصف عمره قد نبذ الأشكال المسلم بها، وكان ذلك نتيجة اتصاله بالحياة الموسيقية في باريس وفيينا. وقد رسمت أوبراه «أورفيو وأوريديس» بداية ثورته. وقد عبرت هذه الأوبرا عن إيمانه الراسخ بوجوب تماسك درامي في الأوبرا، وأنه يتوجب على الموسيقا أن تخدم القصة، لا أن تخدم غرور المغني. إنه في إصراره على القيم الدرامية، يكون غلوك قد عاد إلى مفاهيم الفلورنسيين، كما فعل بعد ذلك فيردي وفاغنر وديبوسي.

وعندما استُقبلت أوبرا «أورفيو» ببرود في فيينا، رحل غلوك إلى باريس حيث بدأ، برعاية ماري أنطوانيت، حملته خدمة لأفكاره الجديدة. لقد واصل عمله محطماً معتقدات الرجعيين الذين زأروا عالياً في مواجهته. وقد انقسم

العالم الموسيقي إلى معسكرين. أنصار الوضع الأوبرالي الراهن الذين قادهم نيكولا بيتشيني المؤلف المتمسك بتقاليد الأوبرا. وقد هاجموا بضراوة «الراديكالي» غلوك، وتواصل العداء بين أنصار غلوك وأنصار بيتشيني. وتقول بعض التقارير إن الحرب أصبحت عنيفة لدرجة وصلت إلى العنف الجسدي. على أية حال، وصلت الحالة إلى الذروة عام ١٧٧٩، عندما كلف مديرو أوبرا باريس، غلوك وبيتشيني كليهما بتأليف أوبرا تعتمد نص «إيفجينا في توريد». وقد قوبلت نسخة غلوك بهتاف الجمهور وتصفيقه، وخط انتصاره بداية عهد جديد للأوبرا.

على الرغم من أن غلوك بث في الأوبرا حياة جديدة ومعنى، إلا أنها ظلت جوهرياً في حدود تقليد بيري وسكارلاتي، بقدر ما يتعلق الأمر بالموضوع. كان فولفغانغ أماديوس موتسارت (١٧٥٦ــ ١٧٩١)، هو أول من كسر هذا الشكل. لقد تحول، في قصصه الأوبرالية، من المواضيع الأولمبية الرفيعة للعصور القديمة إلى الحياة المعاصرة، مانحاً شخصياته عواطف إنسانية طبيعية. وعلى الرغم من تأثره الشديد بالمدرسة الإيطالية تجنب موتسارت، مثل غلوك، الاستعراض الصوتي جاعلاً موسيقاه تتكيف مع العناصر الدرامية الحية في القصة. وقد ألف بعض أوبراته باللغة الإيطالية، لأن تلك اللغة تكيفت موسيقياً مع أغراضه. إن المفاهيم الموسيقية والدرامية الجديدة التي عُبر عنها في أوبرا «دون جيوفاني» و«زواج فيغارو» و«الناي السحري» جعلت من هذه الأوبرات رمزاً لأكثر الفترات أهمية في التاريخ الأوبرالي. وقد تضمنت أوبرا «الناي السحري» حواراً منطوقاً، وفي هذه الحالة صنفت كمثال مُفَخم لـ «Singspiel».

لم يمثل موتسارت فجر المرحلة الرومانتيكية في الأوبرا فقط، بل عكس روح التنوير الجديدة التي كانت استيقظت في أوربا في ذلك الوقت. كانت هي الروح التي تحدث عنها روسو عندما بشر بجوهر الإنسان وفرديته. وقد انعكست في درامات بومارشيه عندما أيد الطبقة الوسطى على حساب النبلاء.

إضافة إلى إصلاحات غلوك وموتسارت، كان ثمة تأثير آخر مُطَهر على الأوبرا خلال القرن الثامن عشر، إنه تأثير الأوبرا بوفا. هذا الشكل للدراما الغنائية الذي أصبح تدريجياً يماثل مشاهد التسليات التي كانت تقدم بين الفصول في عروض الأوبرا سيريا. وشيئاً فشيئاً اعتمدت الأوبرا بوفا، محرزة مكانتها الخاصة بها، على القصة المعاصرة أو المحلية. وبسبب ذلك تحررت من العديد من ضوابط الأوبرا المتمسكة بالتقاليد، وشكلت تربة خصبة لتصوير الشخصية الهجائية. إن العديد من مؤلفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر الهامين تحولوا إلى الأوبرا بوفا لقدرتها على الدنو من الحياة وتصوير الواقع تصويراً صادقاً، ولأنها تمنح حرية أكبر على الصعيد الدرامي والموسيقي. وهاك بعض الأمثلة على الأوبرا بوفا: «الخادمة السيدة» لـ بيرغوليزي، «كلهن هكذا» لـ موتسارت، «دون باسكوال» لـ دونيزيتي، «حلاق إشبيلية» لـ روسيني. ولا بد من الإشارة إلى مؤلف إيطالي آخر هو جيوفاني بازييلّو الذي ألف أكثر من مئة أوبرا، وحاز شعبية واسعة في إيطاليا خلال القرن الثامن عشر.

أسست الحركة الرومانتيكية تعبيراً بليغاً بأوبرا «فيديليو» لـ لودفيغ فان بيتهوفن (١٧٧٠ـ ١٨٢٧). وعلى الرغم من أنها اعتمدت التقليد الكلاسيكي، إلا أنها تضمنت ناراً وروحاً ثوريتين. وقد استخدم بيتهوفن، مثل موتسارت، الحوار المنطوق، وبهذا واصل تقليد الـ «Singspiel». لقد قويت الشدة

العاطفية للحركة الرومانتيكية بفعل الجيشان الاجتماعي الذي حرك أوربا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. الثورة الفنية على الكلاسيكية، واستيقاظ روح الفروسية والمغامرة من جديد، الانشغال الكامل بالمنظرية ـ جميع هذه المظاهر كانت قريبة من المزاج الثوري الذي وجد متنفساً له في الحروب النابليونية. لقد اندمجت الرومانتيكية والثورة في قوة ديناميكية واحدة أثرت في المصير الإنساني وفي الفنون على السواء. وقد وجدت الأوبرا تعبيرها في المواضيع العاطفية والبطولية التي تضمنتها أعمال كيروبيني وسبونتيني وأوبير وروسيني ومايربير وهاليفي وفيبر. كانوا منشغلين بالمشاكل الإنسانية وبمطامحها، وصوروها بدقة على خلفيات مواكب مشهدية.

لقد عكست الأعمال الأوبرالية روح هذا العهد المثير محرزة درجات متفاوتة في برنامج العروض المتواصلة. ماريا لويجي كيروبيني، المؤلف الإيطالي المتميز الذي أصبح مدير كونسرفاتوار باريس، حقق شهرة كبيرة بأوبراه «اليومان». غاسبارو سبونتيني، الإيطالي أيضاً، أحرز نجاحاً كبيراً بأوبراته «عذراء فيستا» و «فرناندو غوميز» و «أغنيس فون هوهينستاوفن». المدرسة الفرنسية باصرارها على الحقائق الدراماتيكية تمثلت بصورة واضحة، فقد أحرز المؤلف هاليفي نجاحاً كبيراً بأوبراه «اليهودية» وهي مازالت تقدم حتى الآن. وثمة آخرون يتمتعون بأهمية، من ضمنهم إيتيان نيكولاس ميهول أوبرا «جوزيف»، ودانييل فرانسوا أوبير أوبرا «ماسانييلو وفرادياڤولو»، وفرانسوا بوالديو أوبرا «خليفة بغداد وجان دو باريس والسيدة البيضاء».

إن المؤلف الذي يفوق كثيراً هؤلاء المؤلفين كان جياكومو مايربير (١٧٩١ـ ١٨٦٤)، الذي بدا أنه يركز في أعماله على التأثيرات الألمانية والإيطالية والفرنسية المهيمنة في باكورة العصر الرومانتيكي. جسد مايربير ولع الرومانتيكيين

بالمشاهد الفخمة والميلودراما والمواضيع التراجيدية. وقد حقق نجاحاً هائلاً بأوبراته: «الإفريقية» و «الهوغونوتيون» و «روبرت الشيطان»، وأصبح ملك المملكة الأوبرالية بلا منازع.

في إيطاليا انعكس التأثير الرومانتيكي في أعمال المؤلفين الأهم في تلك الفترة ـ جواكينو روسيني (١٧٩٢ـ ١٨٦٨)، وفينشينزو بيلّيني وغايتانو دونيزيتي. إنهم على الرغم من محافظتهم على تقاليد المدرسة الإيطالية التي تركز على المهارات الغنائية، استجابوا للروح المعاصرة في معالجتهم المواضيع المتنوعة. كان روسيني ألمع ناطق باسم الرومانتيكية في إيطاليا. وكانت أهم تجديداته تخلصه من الريسيتاتيف الجاف ذي المرافقة الهزيلة، التي تتميز به الأوبرا بوفا. لقد زين روسيني هذه الفواصل التفسيرية بمرافقة أوركسترالية ممتلئة، تجنبت الرتابة وهيأت لانتقالات سلسة. في أوبراه الأخيرة «ويليام تيل»، التي كتبها تحت تأثير المدرسة الفرنسية، انفصل روسيني جوهرياً عن أسلوبه المبكر. وقد تضمنت هذه الأوبرا، بـ ميلودراميتها ومشاهدها الفخمة، موضوعاً جدياً وثورياً هو نقيض حاد للمزاج التهكمي الذي تجلى في أعماله الأخرى.

عندما تحول المؤلفون عن تجريدات الكلاسيكية، طالبوا بواقعية مسرحية أكثر في نصوصهم. وقد وجدوا حاجتهم إلى ليبريتو أكثر قوة واقناعاً، لدى الكاتب الدرامي الفرنسي يوجين سكريب. كان سكريب خبيراً بالتأليف المسرحي ومبدعاً على صعيد ميكانيكية الحبكات الدرامية. وقد قيل عنه بأنه يستطيع لحظة المراجعة أن يكتب فوراً بعض الأسطر، أو أن يبتكر مشهداً يلائم الحبكة الدرامية، ويلائم في الوقت نفسه المخطط الموسيقي. وقد كتب سكريب ليبريتوات لـ مايربير وهاليفي وأوبير وكيروبيني وغونو ودونيزيني وفيردي. في هذه الفترة تغيرت الأوبرا، ليس فقط موسيقياً بل درامياً ومشهدياً. لقد طرحت

جانباً الخلفية الكلاسيكية لإقامة الآلهة لصالح البيئات الواقعية التي صورت بدقة موقع القصة.

وبوجه عام ارتقى القرن التاسع عشر بالأوبرا عن طريق تطوير عدة أنماط من الأشكال المبكرة. وهكذا خرج من الأوبرا بوفا شكلاً أكثر صقلاً دُعي أوبرا كوميك التي تخدم الكوميديا فيها أهداف الدراما بشكل أكبر. وقد تميزت بميزات متنوعة : فواصل من الحوار المنطوق، وتفنن في المعالجة الموسيقية والدرامية. أما الـ Singspiel فقد ازدهرت في الأوبرا الرومانتيكية بتأثير من فيبر، في حين تزخرفت الأوبرا سيريا القديمة على يد سبونتيني ومايربير بعرض مسرحي حيوي، وبتلوين أوركسترالي، وغدت أوبرا فخمة «Grand Opera».

لقد أنعشت الروح القومية العصر الرومانتيكي الذي انتشر في أوربا في القرن التاسع عشر. وكان كارل ماريا فون فيبر هو أستاذ الحركة في مجال الموسيقا المعترف به، وقد مثل المد العالي للقومية الألمانية. كانت أوبراته مليئة بالتوهج الرومانتيكي والميلودراما. إن أوبراه «الطلقة الحرة» التي قُدمت عام ١٨١٢ وضعت ألمانيا باتجاه العاصفة، ومنذ ذلك الوقت سار على دربه جميع مؤلفي الأوبرا. لقد كان واحداً من أكثر المؤثرين في القرن التاسع عشر.

وعلى الرغم من تأثير فيبر الطاغي، فقد عكس مؤلفون آخرون روحاً جرمانية جديدة في أوبراتهم كان لها تأثير شعبي كبير في تلك الفترة. ومن بين أولئك هنريش مارشنر، صديق فيبر المقرب، الذي تمتعت أوبراه «هانس هيلينغ» بشعبية واسعة، ولودفيغ شبور الذي وضع أوبرا «زمير وآزور» وأوبرا «جيسوندا» (كان شبور زميل فاغنر، وقام بتقديم أوبراه «الهولندي الطائر»)، وغوستاف ألبرت لورتزينغ صاحب أوبرا «القيصر والنجار» وأوبرا «لص الصيد».

وتدريجياً انتشرت الروح القومية خلال أوربا الشرقية، ووجدت تربة خصبة في تشيكوسلوفاكيا وبولندا وهنغاريا وروسيا. لقد عكس بيدريش سميتانا حيوية شعبه وحماسته في أوبراه «عروس بالمقايضة» التي غدت أوبرا تشيكية قومية. وفي بولونيا كان ستانيسلاف مونيوشكو الذي وضع أول أوبرا بولونية «هالكا». أما رائد الأوبرا في هنغاريا فكان ف. إيركل صاحب أوبرا «بانك بان».

في روسيا اتسم العصر الرومانتيكي بالروح الثورية. واستيقظت القومية عندما قاوم الشعب طغاته، ورموا جانباً قيود الحياة الريفية، واطلعوا على ما يجري في العالم خارج الحدود الروسية. إن أعمالاً مثل «روسالكا» لـ ألكسندر دارجومسكي ١٨١٣ــ ١٨٦٩)، و «روسلان ولودميلا» و «حياة من أجل القيصر» لـ ميخائيل غلينكا (١٨٠٤ــ ١٨٥٧)، بشرت بالموسيقا القومية. وقد عززت أوبرات مثل «يفغيني أونيغن» لـ تشايكوفسكي (١٨٤٠ــ ١٨٩٣) و«الأمير إيغور» لـ بورودين (١٨٣٤ــ ١٨٨٧) و«الديك الذهبي» لـ ريمسكي ــ كورساكوف (١٨٤٤ــ ١٩٠٨) و«بوريس غودونوف» لـ موسورسكي (١٨٣٥ــ ١٨٨١)، الموسيقا القومية وطورتها.

وفي تلك الأثناء ظهر في المشهد الأوبرالي مؤلفان أوصلا الحركة الرومانتيكية إلى ذروتها، وحددا مستقبل الأوبرا، إنهما فيردي (١٨١٣ــ ١٩٠١) وفاغنر (١٨١٣ـ١٨٨٣)، وقد بدأ كلاهما في إصلاح البنية الأوبرالية منذ زمن غلوك وموتسارت.

وعلى الرغم من أن أوبرات فيردي المبكرة تقيدت بالطراز الإيطالي التقليدي، إلا أن موهبته الغنائية وإحساسه بالقيم الدرامية شرَّبا الأوبرا الإيطالية بقدر كبير من الواقعية وأعادا التوازن بين الموسيقا والقصة. وعندما تطور فيردي

في مهنته أفسحت الآريات التقليدية لأعماله المبكرة المجال أمام تواصل أكثر للخط اللحني، الذي مُنح دعماً أوركسترالياً أكثر وضوحاً. إن عمليه الأخيرين «عطيل» و «فالستاف» أظهرا التحاماً بين الموسيقا والدراما من خلال تقنية اقتربت من تقنية فاغنر.

«كان فاغنر، كما يقول إرنست نيومان في كتابه «فاغنر إنساناً وفناناً»، واحداً من أولئك الشخصيات المشحونة بديناميكية كبيرة لايمكن للعالم بعد زواله أن يبقى كما كان قبل مجيئه ـ واحداً من القلائل القادرين على تخطي العالم القديم والجديد وشطرهما بهاوية تغدو باطراد عصية على الاجتياز؛ واحداً من القلائل القادرين على ملء أوردة الحضارة بعنصر جديد من الحيوية تستشعر وخزه الخاصة والعامة، عنصراً جديداً إن أحبه الشخص أم لا فهو لا يستطيع الهرب منه».

إن مهارة الرومانتيكيين الأوائل الأوبرالية إلى جانب القومية الموسيقية مهدت السبيل أمام العبقري الأعظم في تاريخ الأوبرا. في أيامه الأولى تشرَّبَ تأثيرات مؤلفين أمثال سبونتيني وكيروبيني وأوبير ومايربير، وارتقى بقومية فيبر الألمانية إلى مستوى عالٍ من التطور. وفي أعماله المتأخرة ــ أوبرات خاتم النيبيلونغ، وأساتذة الغناء في نورنبيرغ وتريستان وإيزولده وبارسيفال ـ وصل إلى هدفه. كان ذلك خلقاً ثورياً لشكل الأوبرا ـ الدراما الموسيقية. لقد استبدل بالآريا الأوبرالية التقليدية والريستياتيف المربوط كلاماً موسيقياً متصلاً هو في الواقع جزء متمم لمرافقة أوركسترالية معقدة.

كذلك حسَّن فاغنر الـ لايتموتيف أو اللحن الدال. هذه الوسيلة هي شكل لحني أو هارموني يرافق وضعاً دراماتيكياً أو شخصية معينة أو فكرة محرِكة. لقد استخدم المؤلفون الأوائل أمثال فيبر اللحن الدال كبطاقة تعريف لشخصية أو

فكرة. أما فاغنر فقد بدَّل بناء الثيمة نفسها لتوافق تطور الدراما. ومع ذلك ينبغي أن ننبه هنا إلى أن فاغنر كان موسيقياً أولاً وكاتباً دراميا ثانياً. لذا صاغ فاغنر، بصفته مبدع نصوصه الأدبية، الدراما لتلائم الموسيقا، وليس الموسيقا لتلائم الدراما. ويرمز فاغنر إلى التحسين الأوبرالي العظيم بعد الفلورنسيين: الدراما والموسيقا هما مكونان للوحدة الفنية المتكاملة، يخدم أحدهما هدف الآخر.

بعد فيردي وفاغنر جلب العصر الرومانتيكي تأثيراً جديداً بدأ بتلمس الحياة الاقتصادية والثقافية للناس. إن خطوات العلم السريعة والصناعية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بشرت بالعصر المادي، وتركز الاهتمام بصراع الإنسان من أجل المنافع المادية، وفي الفنون قاد هذا الاستغراق في الفردية إلى التصوير الطبيعي لتفاصيل الوجود الإنساني.

في الأوبرا كان ثمة فترة انتقالية ميَّزتها أعمال مؤلفين خضعوا لتأثير فاغنر. بالطبع كان له العديد من المقلدين، بعضهم كانوا ناجحين. إنغلبيرت هامبردينك (١٨٥٤ـ ١٩٢١) استخدم مبادئ تقنية الدراما ـ الموسيقية في أوبراه «هانسيل وغريتل». أريغو بويتو (١٨٤٢ـ ١٩١٨) وأميليكار بونكييلّي (١٨٣٤ـ ١٨٨٦) كانا من بين الأوائل في إيطاليا اللذين تكيفا مع الأفكار الموسيقية المتقدمة، وعدَّهما البعض مؤسسي الأوبرا الإيطالية الحديثة. لقد طبق بويتو التقنيات الفاغنرية في أوبراه الرائعة «مفيستوفل»، بينما أظهر بونكييلّي في أوبراه «الجيوكوندا» أثراً حديثاً تجلّى في غنى التوزيع الأوركسترالي، جاعلاً المرافقة الأوركسترالية في مستوى يعادل من حيث الأهمية الصوت البشري.

إن تأثير الأفكار الفاغنرية على مؤلفين من أمثال جورج بيزيه (١٨٣٨ـ ١٨٧٥) وكميل سان ـ سانس (١٨٣٥ـ ١٩٢١) كان واضحاً جداً. وقد استهجن

الفرنسيون في البداية أوبرا كارمن لـ بيزيه بصفتها فاغنرية الطابع ، في حين رفضت دار أوبرا باريس عرض أوبرا «شمشون ودليلة» لـ سان ـ سانس طوال سنوات عديدة للسبب نفسه. وثمة مؤلف آخر من الفترة الانتقالية هو شارل غونو (١٨١٨ـ ١٨٩٣) أظهر تأثراً كبيراً بـ فيردي. ويمكن إضافة اسمين إلى جماعة الفترة الانتقالية ، وهما أمبرواز توماس (١٨١١ـ ١٨٩٦) وجول ماسنيه (١٨٤٢ـ ١٩١٢).

لقد أضعف المذهب المادي التوهج العاطفي الذي تفشى في الأوبرا خلال العصر الرومانتيكي ، لكن المسرح العاطفي لم يفقد شيئاً من قوته. وأمدت الواقعية الدراما بتأثير أكبر ، كما أمدت الموسيقا بحدة أكبر. إن مظهر الانغماس في الفردية ومشاكلها بدا واضحاً في أوبرا «لويس» لـ غوستاف شارينتييه ، فهي تقدم صورة واقعية لا هوادة فيها عن المستويات الأدنى للحياة الباريسية.

في إيطاليا تجلت الواقعية الجديدة في أعمال مؤلفي مدرسة الواقعية «Verismo » التي ينتمي إليها ليونكافالو وماسكاني وجيوردانو و وولف فيراري وبوتشيني. وعلى الرغم من أن قصص أوبراتهم كانت في معظم الحالات واقعية بحتة ، إلا أن الإيطاليين ، بنزوعهم الطبيعي للحن ، كسوا صياغاتهم بعواطف جامحة موشاة بزخارف هارمونية غنية.

وبعد منسلخ القرن مال المؤلفون أكثر نحو الأسلوب السيمفوني ، مع خط صوتي يخدم كمرافقة. وعملت الموسيقا على تصوير الأمزجة النفسية الدقيقة ، وعلى ردود الأفعال النفسية ، أكثر من تصوير العاطفة والإحساس. وبسبب ذلك اتجهت الأوبرا نحو الإنطباعية ، التي تكونت بتأثير من الرسم. ومن بين المؤلفين الذين استخدموا هذه التقنية الجديدة ريتشارد شتراوس. لقد أظهرت أوبرات مثل «سالومي» و «إليكترا» بروز التقنيات الفاغنرية التي أضاف إليها

شتراوس مفاهيم دراماتيكية وموسيقية من عنده، في حين أظهرت المسائل السيكولوجية التي طُرحت في هاتين الأوبريين الأثر الانطباعي. في تلك الفترة عكس شتراوس انشغاله بالجنسي والمَرَضي، وهذا ما فعله مؤلفون أمثال ألبان بيرغ وفرانز شريكر. لكن شتراوس خرج من هذا الأسلوب في أوبراه «فارس الوردة»، الطافحة بالشهوة والروح الانبساطية واللحنية الحيوية.

ومن أهم أوبرات القرن العشرين أوبرا «بيلياس وميليزاند» لـ كلود ديبوسي. إنها فاغنرية باستخدامها لـ اللاتيموتيف، وانطباعية بظلالها السيكولوجية، وبرسمها الدقيق للأمزجة. وفي ذات الوقت تشكل بيلياس عودة ثانية للفلورنسيين في مزجها بين الموسيقا والدراما الذي بلغ حد الكمال.

عند تناول مجمل التأليف الأوبرالي في القرن العشرين تبدو لنا عدة اتجاهات. بعض المؤلفين أظهروا تأثراً بالإصلاح الفاغنري، وطوروا بوحيٍ منه أساليب خاصة بهم. من هذه الفئة يمكننا أن نسمي مؤلفين أمثال إيتالو مونتيميزي صاحب أوبرا «حب الملوك الثلاثة»، إيلديبراندو بيزيتي صاحب أوبرا «فرا غيراردو»، أوتورينو ريسبيغي صاحب أوبرا «الجرس الغارق». وقام مؤلفو أواخر القرن العشرين بتجارب حققوا من خلالها نتائج مُرضية. وظهر اتجاه نحو الموضوعية المطلقة، ومثّله داريوس ميلو في أوبراه «كريستوف كولومب»، وفيها يُلحق العرض المسرحي بعرض للصور المتحركة. وثمة مؤلفون أمثال أرنولد شونبرغ صاحب أوبرا «اليد المباركة» وألبان بيرغ صاحب أوبرا «فوتسيك» اتجهوا نحو اللامقامية في الموسيقا والتعبيرية في ما يخص الحبكة الدرامية. وآخرون جذبت ابتكاراتهم الانتباه، من ضمنهم بول هينديميث مؤلف «أخبار اليوم»، وياروميرفاينبرغر مؤلف «شفاندا»، وإرنست كرينيك مؤلف «جوني يستهل العزف»، وكورت فايل مؤلف «أوبرا القروش الثلاثة»، وديمتري شوستاكوفيتش مؤلف «ليدي ماكبث مقاطعة متسينسك».

والاتجاه الممتع في الأوبرا الأوربية هو الميل نحو الأشكال القديمة. والمثال الأبرز على ذلك هو أوبرا «أريادن في ناكسوس» لـ ريتشارد شتراوس، التي تجمع بإمتاع عناصر التقنية الفلورنسية والأوبرا بوفا والأوبرا سيريا.

إن تطور الأوبرا في الولايات المتحدة حددته ـ كما كان في أوربا ـ الاتجاهات الاقتصادية والثقافية. وخلَّف الصراع القاسي من أجل الوجود فرصة ضئيلة أمام متع الحضارة.

ومع ذلك أكدت الرغبة في التسلية والاستجمام نفسها مع التأسيس التدريجي للجماعات المنظمة. وأرضى المسرح في ذلك الوقت مطالب الجمهور باستيراد البالاد أوبرا الإنكليزية التي كانت رائجة. لكن شعبية البالاد أوبرا أثارت حنق بعض المواطنين الصارمين، الذين اشتكوا من «الكوميديين الجوالين» الذين يقدمون الرذيلة واللا أخلاقي. وقادت هذه الاعتراضات الأخلاقية بصورة غير مباشرة إلى استخدام مصطلح «دار الأوبرا» للمرة الأولى في أمريكا في آب عام ١٧٨٧.

خلال الفترة الاستعمارية كان هنالك محاولات هامة في الأوبرا الوطنية، من هذه يمكن أن نذكر «فلورا»، أو «هوب في البئر» ١٧٣٥، وأوبرا «تاماني أو الزعيم الهندي» للمؤلف جيمس هويت، وتدور حول موضوع هندي، وأوبرا «إيدوين وأنجيلينا» ١٧٩٦ للمؤلف الفرنسي المولد فيكتور بيليزييه، وأوبرا «المنشرة أو خدعة اليانكي» ١٨٢٤ للمؤلف ميكا هاوكنز.

كان ثمة صدى أوبرالي، إذا جاز التعبير، للثورة الفرنسية في هذا البلد، ويبدو ذلك بشكل رئيسي في نيو أورليانز. فالعديد من الفنانين الموسيقيين الذين فروا من الحرب في أوربا ارتحلوا إلى تلك المدينة، فغدت مركز الدراما الفرنسية والأوبرا، وكان جمهورها من بين الأوائل الذين شاهدوا أعمال الـ الأوبرا

كوميك لـ بوالدو وأوبير. إن أوبرات هذين المؤلفين كانت تقدم في نيويورك بشكل مختصر نحو عام ١٨٣٠ ، وكان يقدمها فنانون أتوا من نيو أورليانز. كانت نيو أورليانز ، التي دعيت «باريس الأمريكية» ، مركزاً أوبرالياً نافس نيويورك وفيلاديلفيا في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. كانت في الواقع مدينة أعيد فيها خلق حياة باريس الثقافية ، وبقيت بالنسبة للأوبرا مؤسسة فرنسية بالكامل.

إن التاريخ الأوبرالي في نيو أورليانز تركز في مسرح أورليانز الذي شُيّد عام ١٨١٣. دمرته النيران وأعيد تشييده بعد أربع سنوات ، وكان يعرف بصفته أروع مسرح في أمريكا. وكان برنامجه يتضمن ، إلى جانب بوالدو وأوبير ، هاليفي ومايربير وفيردي و روسيني وسبونتيني وموتسارت. كانت أوبرا نيو أورليانز هامة على صعيد تأثيرها على الأوبرا في فيلاديلفيا ونيويورك ، وذلك بفضل فناني مسرح أورليانز ذوي الخبرة الذين قدموا عروضاً في هاتين المدينتين. ولم تصبح نيويورك محجة الفنانين الأجانب إلا في منتصف القرن التاسع عشر ، حين فقدت نيو أورليانز مكانتها كعاصمة أمريكا الأوبرالية.

لقد أفاد اختراع السفينة البخارية الأوبرا ، فقد عزز ذلك التواصل بين أوربا وأمريكا. فجلبت الفرق الأوبرالية المبدعة من أوربا ، وتدفقت الخصائص الموسيقية الأوربية إلى هذا البلد. لقد قدِم إليه العديد من الفنانين بتشجيع من لورينزو دا بونتي ، كاتب نصوص موتسارت ، الذي أتى إلى أمريكا في بداية القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٢٥ قدِمت إلى أمريكا فرقة مانويل غارسيا الأوبرالية الشهيرة لافتتاح أول موسم أوبرالي لـ غراند أوبرا في نيويورك.

إنه لمن الهام الإشارة إلى أن الرغبة في أوبرا باللغة الإنكليزية أكدت ذاتها في أمريكا في القرن الثامن عشر. يقول إدوارد إيليوورث في كتابه «الأوبرا الأمريكية ومؤلفوها» (بدءاً من ٨ شباط ١٧٣٥ حين عرضت أوبرا «فلورا» في شارلستون جنوب كارولينا..... حتى نهاية القرن واصلت الأوبرا باللغة الإنكليزية سيطرتها).

لقد كانت لها الأفضلية حتى إن المحاولات التي بذلت في نهاية القرن لتقديم الأوبرا الفرنسية خارج نيو أورليانز قوبلت بنجاح ضئيل.

ومع ذلك تعرضت الأوبرا باللغة المحلية إلى ضربة قاصمة بوصول فرقة كارسيا التي كانت تضم بين أفرادها ابنته ماري ماليبران، التي أصبحت واحدة من أعظم مغنيات زمنها. لقد قدَّم غارسيا وزملاؤه أفضل ما في الفن الأوبرالي الإيطالي، الذي كان يتمتع آنئذٍ بشعبية واسعة في أوربا، وسرعان ما شكلوا تهديداً لسيطرة الأوبرا باللغة الإنكليزية، ومع ذلك كان ثمة عروض بالإنكليزية لأوبرات مثل «فيديليو» و «سونامبولا» و«روبرت الشيطان». المسألة الهامة الأخرى في معركة الأوبرا كانت تأسيس دار الأوبرا الإيطالية في نيويورك على يد دابونتي.

إن تدفق المغنين والمغنيات الأجانب خلال منتصف القرن التاسع عشر أدى إلى الضغط على مغني الأوبرا الإنكليزية، مما أجبرهم على ترك الساحة للعروض الفرنسية والإيطالية والألمانية. وعندئذٍ أقبل عصر «النجم»، إذ كان جمهور الأوبرا يطالب بالاستماع إلى العروض الخرافية التي كان يقدمها فنانون أمثال باتي وسيمبريش وماليبران ونيلسون. وإزاء مآثرهم الغنائية، كانت اللغة التي يغنون بها موضوعاً عديم الأهمية بالنسبة لمستمعيهم. وترسخت بقوة عادة غناء الأوبرا بلسان أجنبي، وفقدت أوبرا اللغة الإنكليزية أساساً لم يُستعَدْ أبداً.

وبسبب التوسع الإقليمي تحركت الأوبرا غرباً. ففي عام ١٨٥٠ تقريباً أصبحت شيكاغو المركز الأوبرالي للغرب الأوسط. وأثناء تدفق الناس على مواطن الثروة اجتاحت الأوبرا سان ـ فرانسيسكو، واستمع الزبن الدائمون إلى بعض النجوم أمثال جيني ليند وباتي وماليبران في عروض الأوبرات الهامة. كان عصر الثروة الفجائية الخيالي، حين كان المجتمع المندفع بتأثير شهوة الرخاء، يطالب بالتسلية الفخمة، ويهلل للعرض الأوبرالي. كان عشاق الأوبرا الذين انتفخت جيوبهم بالثروة الجديدة يقذفون بالقطع الذهبية الخالصة على المسرح علامة على تقديرهم للعرض الأوبرالي الأثير لديهم. وعندما زال الازدهار تلاشى المجد والتألق، لكن بقيت دار الأوبرا حتى اليوم بوصفها مؤسسة ثقافية هامة.

ان النمو الصناعي والاقتصادي عقب الحرب الأهلية أسس مجتمعاً غنياً كان قادراً على دعم الأوبرا بشكلها الباذخ. فقد بنيت دور الأوبرا في جميع المدن الكبيرة ـ فيلادلفيا، بوسطن، كليفلاند، سينسيناتي، سانت لويس ـ وغدت الأوبرا جزءاً هاماً من حياة المجتمع. لقد افتتحت دار أوبرا ميتروبوليتان الحالية في عام ١٨٨٣، وقدِم إليها في السنوات التي تلت فنانون أوربيون بأعداد كبيرة جداً. وفي عام ١٨٨٤ نظم ليوبولد داموروش موسم الأوبرات الفاغنرية، وتكرر البرنامج سنوياً حتى عام ١٨٩١. وفي تلك الفترة قاد أنتون سيدل، الذي كان مساعد فاغنر في بايروت، التقديم الأمريكي الأول لأوبرات «أساتذة الغناء» و «تريستان وإيزولده» و «خاتم النيبيلونغ».

وعلى الرغم من أن الأوبرات الأجنبية حظيت بشعبية في جميع أنحاء القطر خلال القرن التاسع عشر، إلا أن الأوبرا الأمريكية الوطنية حافظت على بقائها. إن المؤلفين الرواد أمثال هويت وهاوكنز وفراي وبريستاو، خلفوا ورثة لهم أمثال

شارلز ويكفيلد كادمان «شانيويس» وفريدريك شيفرد كونفرس «مزمار الرغبة» ووالتر داموروش «سيرانو دي برجيراك» و ريجينالد دو كوفن «روبين هود» و«حجاج كانتربيري» وفيكتور هيربرت «ناتوما» وهوراتيو باركر «مونا».

ومن بين مؤلفي الأوبرا الفخمة (Grand Opera) الأمريكيين البارزين: ديمز تايلور «الملك هينشمان وبيتر إيبيستون»، لويس غرونبيرغ «الأمبراطور جونز»، هاوارد هانسون «الجبل البهيج». وساهمت هذه الأعمال على الصعيد الموسيقي والدرامي في تطور الأوبرا، وقوبلت لدى عرضها بالهتاف والتصفيق. ومع ذلك لم تجد لها مكاناً في برنامج الـ (Grand Opera).

عملياً، فإن الأوبرا الفخمة الوحيدة التي قدمت في أمريكا في تلك الفترة هي أوبرا «فوتسيك» للمؤلف النمسوي ألبان بيرغ. وقد جرى تقديمها الأول في فيلادلفيا ونيويورك عام ١٩٣١. فوزيك هي مأساة قتل وجنون، وهي جمع غير تقليدي بين الموسيقا التقليدية والحديثة. ويعدها البعض موازية في أهميتها لأوبرا «بيلياس ميليزاند»؛ والبعض الآخر يرفضها بوصفها جنوناً خالصاً. ومع ذلك ظلت تتمتع بقدرة على البقاء بوصفها شكلاً أوبرالياً جديداً.

إن الكساد والثوران الاجتماعي اللذين عصفا بأمريكا خلال النصف الأول من الثلاثينيات انعكسا في الأوبرا، تماماً كما انعكسا في الدراما. فقد اتجه كتاب المسرح والمؤلفون الموسيقيون نحو الواقعية الصارمة، نحو الحقائق المؤلمة للجوع والفقر والإحباط. كان ثمة، إلى جانب مسرحيات مثل « One Third of a Nation» أو «Class of 29» أوبرا «سوف يتأرجح المهد» للمؤلف مارك بليتزشتاين. كان الموضوع يتمركز حول جهود عمال الصلب لتنظيم اتحاد لهم. وقد قُدمت هذه الأوبرا أول مرة في نيويورك في ١٥ حزيران عام ١٩٣٧ في ظروف محمومة. وبسبب معانيها السياسية الخفية منعت في آخر لحظة من العرض

على مسرح برودواي. فانطلق المنتجون يبحثون عن مسرح آخر، ووجدوا أخيراً مسرحاً مهجوراً، وفيه قدمت الأوبرا دون ديكورات ودون ملابس، وعزف الموسيقا بليتزشتاين نفسه على آلة بيانو وضعت على المسرح.

ثمة أوبرا مختلفة تماماً قدمت في ذات الفترة وهي أوبرا «بورغي وبيس» للمؤلف غيرشوين. وكان تقديمها الأول في بوسطن في أيلول عام ١٩٣٥. كانت «بورغي وبيس» غنية بـ فولكلور الجنوب، وأراد غيرشوين أن تكون أوبرا وطنية أمريكية. ونظر إليها النقاد بصفتها عملاً هجيناً ـ هي في مكان بين الأوبرا والملهاة الموسيقية.

وشهدت فترة الثلاثينيات ظهور المؤلف جيان ـ كارلو مينوتي وهو إيطالي المولد أمريكي بالتبني الذي منح الأوبرا تجديداً وحيوية. وكان أول عمل له هو أوبرا «أميليا تذهب إلى الحفلة الراقصة»، وقد لُحنت بأسلوب الأوبرا بوفا القديم. وأتبع عمله هذا بـ أوبرا «الخادمة العجوز واللص»، وهي بذات الأسلوب. ثم أتت أوبرا «الوسيط» مختلفة تماماً، ذات أسلوب حديث، بعد ذلك وضع مينوتي أوبرا «القنصل»، وهي نموذج للأوبرا الفخمة. ويرتكز موضوعها حول مأساة شخص مشرد وصراعه مع قدره.

ومن بين أعمال مينوتي الأخيرة أوبرا «أماهل وزوار الليل»، وهي أوبرا كتبت خصيصاً للتلفزيون.

إن واقعية أعمال الثلاثينيات الأوبرالية مهدت الطريق للعودة إلى مدرسة الـ «فيريزمو». إن أوبرا اليوم المكتوبة بأسلوب حديث تتسم برفضها التحليقات الرومانتيكية للخيال. وعندما لا تكون واقعية بقساوة تكون هجائية. أوبرا «السجين» على سبيل المثال، وهي من فصل واحد للمؤلف لويجي ديلابيكولا،

تتناول عذاب سجين سياسي. وأوبرا «L'Apostrophe» للمؤلف جان فرانسيز، وأوبرا «اضطراب في تاهيتي» للمؤلف ليونارد بيرنشتاين، وأوبرا «المحاكمة» للمؤلف غوتفريد فون آينم، وهي مبنية على رواية فرانز كافكا، وتصور كفاح إنسان ضد استبداد الحكم المطلق، الذي يحطمه في النهاية.

يقف المؤلف البريطاني بنجمان بريتين في مقدمة مؤلفي أوبرا اليوم في إنكلترا. وقد ساهم في أوبريين فخمتين هما «بيترغريمز» و «بيلي باد»، وأوبرا الحجرة «اغتصاب لوكريتيا»، وأوبرا بوفا «ألبرت هيرينغ».

كان التقديم الأول لأوبرا «تقدم الفاجر» للمؤلف سترافينسكي حدثاً هاماً في أمريكا في السنوات الأخيرة الماضية (قُدمت أول مرة في فينيسيا عام ١٩٥١، وقُدمت أول مرة في أمريكا في الميتروبوليتان «بالإنكليزية» عام ١٩٥٣).

وقد عزز مسرح نيو إنغلند في بوسطن الاتجاه الذي يرمي إلى تقديم الأوبرات باللغة الإنكليزية. فقد قدم بإشراف بوريس غولدوفسكي نسخاً باللغة الإنكليزية لأعمال أوبرالية كلاسيكية وحديثة. من هذه الأعمال نذكر «فتاة الحديقة المزعومة» لـ موتسارت، و «إيدومينيو» لـ موتسارت، و «التركي في إيطاليا» لـ روسيني. ومن الأوبرات التي كيفت للبث التلفزيوني باللغة الإنكليزية نذكر «مدام بترفلاي» لـ بوتشيني، و «البنت البستوني» لـ تشايكوفسكي، و«المهرجون» لـ ليونكافالو، و«كارمن» لـ بيزيه، و «العباءة» لـ بوتشيني، و«جياني سكيكي» لـ بوتشيني، و«ماكبث» لـ فيردي، و «زواج فيغارو» لـ موتسارت، و ترويض الشرسة» لـ غوتز، و «بيلياس وميليزاند» لـ ديبوسي، و«سالومي» لـ ريتشارد شتراوس.

في الأوبرا، كما هو الحال في التاريخ الإنساني، «الماضي هو برولوغ». وتقنيات الفلورنسيين وإنجازات المبدعين الذين تلوا، والمصلحين أمثال

مونتيفيردي ولولي وغلوك وموتسارت وفيردي وفاغنر ، شكلت كنزاً يستمد منه مؤلفو اليوم إلهاماتهم. لقد رأينا كيف شحذ المد الغنائي الهمة عام ١٦٠٠ ، وكيف اندفع بقوة من إيطاليا باتجاه الشمال نحو أوربا ، ونحو الشرق باتجاه روسيا ، ونحو الغرب باتجاه العالم الجديد. وبمرور أربعة قرون على وجود الأوبرا تركت بصمتها على الثقافة في كل مكان حلت فيه.

كيف تستمتع بأوبـــرا

لكي تستمتع بأي شيء ينبغي أن تفهمه. وفيما يتعلق بالأوبرا ثمة على الأقل ثلاثة سبل رئيسية لفهمها حتى لو لم تشاهد عرضها، قراءة القصة: دراسة الـ ليبريتو (نص الأوبرا)، الاستماع إلى الموسيقا ـ عن طريق التسجيلات أو نسخة آلية محولة (للبيانو). وفي الواقع فإن قراءة القصة لها الأهمية الأولى. إذ إن القصة هي الإطار الأساسي للموسيقا، ولا يكتمل فهم أوبرا ما إذا كانت القصة مشوشة أو غير واضحة بالنسبة للمستمع.

في البداية، ينبغي أن تدرك أن قصص العديد من الأوبرات تبدو ضعيفة، وغير منطقية. والبعض الآخر من القصص تتضمن رمزية مبهمة (أوبرا بيلياس وميليزاند لـ ديبوسي)، والبعض من عالم الأساطير (خاتم النيبيلونغ لـ فاغنر)، والبعض ـ خصوصاً من المدرسة الحديثة ـ محيّرة كما هو حال الرسم التجريدي (أربعة قديسين في ثلاثة فصول لـ تومسون، التي تحتوي على كلمات غير مفهومة، أو كلمات مفهومة تبدو لا علاقة لها بالكلمات الأخرى). لكن ينبغي أن تبدأ الأوبرا في مكان ما، وسوف تجد، عندما تستمع إلى الموسيقا لاحقاً، أن المؤلف أضفى على حبكة القصة معنى وإثارة وحالة درامية.

إن اكتشاف الأوبرا لا يتوقف عند قراءة القصة بحد ذاتها. في الواقع، كلما ازددت معرفة بالأوبرا وبعلاقتها مع أشكال الثقافة الأخرى، تمتعت بها أكثر. إن الكتب التي كُتبت حول الأوبرا تغطي كل جانب من جوانبها - فهنالك كتب سير المؤلفين، وكتب التحليل الموسيقي، ومقالات النقد الخاصة بالأوبرات، وترجمات القصائد والكلمات المغناة مع شرح الحبكات، وقصص حول الشخصيات الأوبرالية الشهيرة. هذا النوع من القراءة يساعدك على ربط الأوبرا بعصرها. بكلمات أخرى، أن تعيشها. أن تعرف من هو الفنان، بماذا يفكر، وأين يقف بالنسبة للعالم من حوله - يعني معرفتك بعمله.

ربما كانت الطريقة المثلى لدراسة أوبرا قبل مشاهدة عرضها هي في تتبع مدونتها الموسيقية أثناء الاستماع إليها من الراديو أو من التسجيلات. ذلك بالطبع يستلزم معرفة بالموسيقا. وإن كنت تعيش في مدينة كبيرة فإنه من المرجح أن تتوفر في مكتباتها مدونات الأوبرات الموسيقية والليبريتوات، إلى جانب التسجيلات الأوبرالية وتسهيلات الاستماع إليها. إن وجود التسجيلات والإذاعات يتيح الإمكانية لأي شخص أن يهتم بالأوبرا ليعوّد نفسه ليس على الاستماع إلى الآريات الهامة ومقاطع الكورس، بل على العمل كاملاً. علاوة على ذلك فإن بث نسخ مختصرة لبعض الأوبرات في التلفزيون يتيح إمكانية مشاهدة العمل أيضاً.

وإذا كان من الصعب عليك تتبع المدونة الموسيقية للأوبرا، عندئذٍ يكون الليبريتو ضرورياً ويتمتع بأهمية قصوى. ويعترف الجميع بأن ترجمة النصوص الأوبرالية ليست دائماً ممتعة، لكنها تعطي على الأقل فكرة حول القصة. وعلى الأغلب فإن ترجمة الأوبرات الكبيرة الأساسية شاقة ومتكلفة، لأنه من المستحيل تقريباً الوصول إلى إدراك تام للفقرات الشعرية التي أعدت بالدرجة الأولى لتغنى.

أما الأوبرات التي تنتمي إلى المدرسة الواقعية ـ الفروسية الريفية، البوهيمية، المهرجون ـ فهي أسهل على الترجمة، وتنجح ترجمتها لأن الأحاسيس والعواطف مصورة بواقعية أكبر. أما الترجمات الفاغنرية فهي بوجه عام ثقيلة ومعقدة جداً تتناسب مع النثر المعقد الذي ابتكره المؤلف ليناسب متطلباته الدراماتيكية. إن التأثير الكامل لإيقاعات فاغنر الشعرية المتدفقة وجناساته الباهرة لا يستطيع إدراكها إلا الذين يفهمون الألمانية.

ولكن غياب الصياغات التفصيلية لنصوص القصائد الغنائية لأوبرا ما، سوف يدفعك بوجه عام إلى العمل من خلال الليبريتو لكي تفهم ما الذي تدور حوله الحبكة. في ثنائي الحب بين إيلزا ولوهنغرين في الفصل الثالث من أوبرا لوهنغرين على سبيل المثال، تقاطع أكوردات قاتمة ومظلمة تدفق موسيقا الحب المتألقة، إن المعنى الحقيقي لهذا التغير في المزاج لن يدركه المستمع إلا إذا عرف أنه في هذا الموضع تسأل إيلزا السؤال الممنوع ـ عن اسم لوهنغرين. إن التغير المفاجئ في مزاج فيوليتا، في أوبرا لاترافياتا، من مزاج تأملي «Ah, fors'è lui» إلى استسلام «Sempre libera»، سيعني القليل بالنسبة لأي شخص لا يعرف أن ذلك يرمز إلى ايماءة نبذ ويأس ـ تضع فيوليتا جانباً أفكارها عن حب ألفريدو وتقرر الاستسلام إلى حياة المباهج التي ندرك أنها ستدمرها.

إن اعتيادك على سماع كلمات الأغنية سيساعدك أيضاً على تمييز اللاتيموتيف أو اللحن الدال وفهمه. وهذه طريقة في «استكشاف» شخصية ما موسيقياً، ويستخدمها على نطاق واسع مؤلفون أمثال فيبر وفاغنر وبيزيه. وهي دليل فاغنر الرئيسي. إنك إذا تعلمت، أثناء الاستماع إلى أوبرات خاتم النيبيلونغ لفاغنر، على سبيل المثال، ربط أقوال الشخصيات بالموتيفات المحددة كما تعرضها الأوركسترا، فإن عناصر الموسيقا والدراما تقع شيئاً فشيئاً في المنظور

الصحيح في علاقتها مع حبكة القصة. وبعد تكرار الاستماع إلى الأوبرات الفاغنرية، ربما تكتشف أن أسلوب المؤلف المندمج بإحكام باللاتيموتيف يجعل الرجوع إلى الليبريتو أمراً غير ضروري. كذلك الحال في أوبرا كارمن، فإن موتيف القدر الذي يرافق الغجرية، يغدو أكثر بلاغة وفعالية عند كل استماع.

إن الاستمتاع بالأوبرا، في العديد من الأمثلة، يبدأ، ليس مع ارتفاع الستارة، بل مع الميزورات الأولى للافتتاحية. وفي الحقيقة ليس كل افتتاحية أوبرالية كتبت من أجل هدف جدي. لقد افترض المؤلفون الأوائل أن الجمهور سوف يثرثر قبل رفع الستارة، فاكتفوا بكتابة موسيقا ليست ذات صلة بموضوع الأوبرا لتشكل خلفية للحديث ليس غير. وعندما كتب ريتشارد شتراوس سالومي وإليكترا أهمل تماماً الافتتاحية، ففي رأيه أن ارتفاع الستارة المفاجئ سوف يستحوذ بسرعة على اهتمام الجمهور. وسوف تلاحظ ذلك عندما تشاهد هاتين الأوبريين.

ومن ناحية ثانية، ثمة مؤلفون آخرون صمموا افتتاحياتهم الأوبرالية بهدف عرض الثيمات الهامة لأوبراتهم، وخلق مزاج عاطفي مناسب. وهكذا، فان افتتاحيات «كلهن هكذا» و «أساتذة الغناء» و «العروس المبيعة»، وافتتاحيات ليونورا الخاصة بـ «فيديليو»، تهيئ المستمع لما هو على وشك أن يراه ويسمعه على المسرح.

إن من بين الأشياء الهامة حول فهم الأوبرا والاستمتاع بها هو إدراك الاختلافات المحددة المتضادة بينها وبين الدراما المنطوقة. لذا يتوجب على الذاهب لمشاهدة أوبرا أن يكيف نفسه. هنالك من يقول بأن الأوبرا هي مجرد إبنة الفنون السابقة ــ نوع من نسل هجين للباليه والموسيقا والدراما. إذا سلمنا بذلك فهي

ليست شكلاً فنياً نقياً، وتآلفك معها سيقودك لإدراك أنها شكلٌ تعبيري معقد وشديد الخصوصية.نادراً ما تقترب الأوبرا من الدراما الواقعية المستقلة. إذ يمكن أن تكون المسرحية فكرية إذا صح القول ـ عند شو وإبسن و ت.س. إليوت ـ وهي ما زالت محتفظة بعنصرها المنفتح لتحمل أبعادها إلى المسرح. لكن الأوبرا يجب أن تظل مثيرة للعاطفة لأن الموسيقا عاطفية. لا أحد في الحياة الواقعية، على سبيل المثال، يتأنى في التعبير عن أحاسيسه في مناجاة مطولة جداً، التي هي صفة غالبة في العروض الأوبرالية. نعم فمناجاة جيرارد الرائعة في «أندريا شينييه»، أو مناجاة هانس ساكس في «أساتذة الغناء»، أو ياغو في «عطيل» لا تبدو طويلة النفس أو خارج المكان. إنها عميقة ووثيقة الصلة بالموضوع، لأن الموسيقا تحرر التعبير العاطفي من حدود الكلام.

إذا بدا لك أن مغني الأوبرا يتحركون حركة بطيئة، ويومئون بإيماءات شكلية غير ضرورية، فتذكر أنه يتوجب عليهم التزامن مع المرافقة الأوركسترالية، ليس فقط صوتياً بل جسدياً. وعندما يغني المغني عبارة طويلة على كلمة واحدة فإن إيماءاته يجب أن تتزامن وفقاً لذلك. والتزامن الصحيح لن تبدو فيه الإيماءات خرقاء. إن التمثيل الأوبرالي صعب للغاية، والمؤدون متعددو القدرات، والبارعون هم فقط الذين يجعلونه مقنعاً. علاوة على ذلك فإن الغناء يفرض حدوداً معينة على الحركة والإيماءة، ويلقي على عاتق المؤدي متطلبات جسدية شاقة. إن الفنانين الذين يغنون الأدوار الرئيسية في أوبرا «تريستان وإيزولده»، على سبيل المثال، يعلمون أنهم سيفقدون خمسة باوندات من وزنهم أثناء عرض واحد.

عندما يُنظر إلى الأوبرا من خلال إمكاناتها وحدودها ستبدو خلابة بلا نهاية. إنها تقدم الملهاة والمأساة، المواكب وقصص الحب من ذخيرة لا تنضب.

يقول إدوارد إيلسوورث هيبشر في كتابة «الأوبرا الأمريكية ومؤلفوها»: «يوجد في المكتبة الوطنية في باريس مدونات لـ ٢٨٠٠٠ أوبرا، وحتى الآن لا نجد من هذا العدد الهائل سوى أقل من ٢٠٠ أوبرا تضمها برامج دور الأوبرا في العالم». وحتى إن لم يعد أحد يكتب أوبرا أخرى، فان هناك مخزن واسع من الثروة الغنائية في متناول اليد.

إن الأوبرا فريدة بقدرتها على جذب الكبير والصغير على حد سواء، وهي جذابة بآلهتها وإلاهاتها وبملوكها وملكاتها، وهي بمهرجيها تستهوي على نحو خاص الأطفال. وكما قال مغني الباص البارز إيزيو بينزا ذات مرة: «إن الأطفال يولدون ومعهم حس الخيال، وإذا تعامل أحد ما معه، فستغدو الأوبرا طعامهم». إنهم يقتربون من الأوبرا بمباشرة بسيطة ـ إله هو إله، ساحرة هي ساحرة، تنين هو تنين. إنهم يتركون للكبار كل المعضلات الموسيقية التي تغلف تلك الشخصيات.

في كتاب «الطفل وموسيقاه» يقول هازل كينسيلا وإليزابيث تيرني: إن النموذج الأوبرالي المثالي للأطفال هو دراسة أوبرا «هانزيل وغريتل»، فالحبكة مقبولة وأخاذة، والفعل المسرحي بسيط وغني بلحنية سارة. ويمكن تقديم عرض غير رسمي لها في غرفة الدرس دون مستلزمات مسرحية وألبسة وملحقات أخرى».

أوبرا أخرى يُوصي بها وهي «هيا نصنع أوبرا» للمؤلف ب. بريتين. ففي مشهدها الأول يتحدث الأطفال عن الأوبرا، ثم يقررون كتابة أوبرا بأنفسهم وتقديمها، وهذا الذي يفعلونه «عدة مشاهد أوبرالية قصيرة» يقول كينسيلا وتيرني «يمكن إعداده في غرف الدرس وفي ذات الطريقة التي يتضمنها عمل

بريتين. ويمكن بناء المشاهد على أحداث العالم الحقيقية، التاريخ المحلي، مختارات مفصلة من أدب الطفل، أساطير أو حكايات شعبية. كل ذلك يحتاج إلى قصة بسيطة يحدث فيها شيء ما حقيقي. ويمكن للأطفال أن يختاروا موسيقا مناسبة من الأغاني المألوفة أو التسجيلات. إن ما يحبه الأطفال من موسيقا أوبرالية يكفي لتغطية مجال واسع. وعلى أساس من التجريب الواقعي والدراسة إليك هذه العينة: موسيقا من روبين هود؛ كورس الأطفال من كارمن؛ مشهد المباراة من أساتذة الغناء؛ البولكا والفوغ من شفاندا؛ دخول الآلهة إلى الفالهالا من ذهب الراين. وتتضمن التسجيلات المفضلة مقطوعة بيتر والذئب لـ بروكوفييف، وثياب الإمبراطور الجديدة لـ دوغلاس مور. إن الطفل الذي أُرشد إلى عالم الأوبرا يصبح قادراً عندما يكبر على التذوق العقلاني.

سوف تجد العديد من الناس الذين لديهم الاستعداد لتقبل الآراء التقليدية حول الأوبرات ـ إن الـ ترافياتا وتروفاتور وعايدة هي موسيقا أورغن يدوي، وإن لوتشيا دي لاميرمور هي من أجل المغنيات المغردات؟ إن بعض هذه الأفكار التي سادت مدة طويلة من الزمن هي نتيجة المعرفة القليلة بالأوبرا أو عدم التآلف معها مطلقاً. وعندما تفهم الأوبرا تماماً فإن منظورك سيتغير.

عندما تستمع استماعاً كافياً للأوبرا لتجري المقارنات ولتشكل تقييمك الخاص، فالتزم بآرائك الخاصة بك. وسيكون لك الحق التام لتفضل الاستماع إلى موسيقا الناي السحري لـ موتسارت عبر الراديو أو التسجيلات، أكثر من مشاهدتها على المسرح، إن اعتقدت أن حبكتها تعيق استمتاعك بموسيقاها. ومن ناحية أخرى، عندما تعرف إطار الحبكة الذي يتضمن الموسيقا وتقبله على ما هو عليه، فسوف تكون قادراً بصورة أفضل على تقييم العرض.

هناك عدة أنواع من الأوبرات، ولا أحد يستطيع أن يحبها جميعاً ـ تماماً مثلما لا أحد يحب كل الروايات التي يقرؤها، أو الرسوم التي يشاهدها، أو المحاضرات التي يسمعها. لكن الطريق الحقيقي لإدراك أوسع للموسيقا والأوبرا هو في تنمية المعرفة بهما. إنك لكي تستمتع بعمق الأوبرا الحقيقي وجمالها، ينبغي عليك أن تطور فهمك لشكلها.

قبل أن تصغي إلى أوبرا من الأوبرات ــ في الواقع قبل قراءة الليبريتو أو ــ القصة الموجزة ــ من الحكمة أن تعرف متى أُلفت ومن هو مؤلفها. إن المعرفة البسيطة بالفترة الزمنية، وبالمؤلف سيمنحان الأوبرا معنى أعمق، وسيعزز تقييمك لها.

إن معرفة خلفية أوبرا ما فقط، سوف يجعلها أكثر إمتاعاً، وكذلك فإن التآلف مع الموسيقا سيضاف إلى استمتاعك. وقبل أن تذهب لحضور العرض، أو قبل استماعك إلى الأوبرا عبر الراديو، أمضِ وقتاً في الإصغاء إلى التسجيلات الموسيقية المتاحة. لا أحد يستطيع إدراك الموسيقا العظيمة من أول استماع، وحتى الشخص المعتاد سماع الآريات الهامة، يعد نفسه لاستقبال متع جديدة عندما يسمع الموسيقا في إطارها الأوبرالي الكامل.

إن من الناس من يذهب إلى دار الأوبرا فيرتبك ويعبر عن سخطه وضجره، والسبب في ذلك أنه لم يتزود ولو بمعرفة بسيطة حول الأوبرا التي يشاهدها، يجب حث مثل هؤلاء على بذل جهد يسير لفهم أسس الأوبرا، وهذا الجهد هو ثمن زهيد لقاء متعة قد يحصلون عليها. إن الاستمتاع بأي نشاط يستلزم شيئاً من المعرفة حول أشكاله وقواعده. لا يمكنك أن تتوقع الاستمتاع بـ مباراة البايسبول إن كنت لا تعرف شيئاً عنها. إن متع الأدب العظيم تأتي بعد التدرب الطويل الشاق على فن القراءة.

وبالتأكيد فإن كل المتع التي تنشأ من الفنون تتطلب خلفية ثقافية وأساساً ثقافياً. والأوبرا، بوصفها شكلاً فنياً معقداً، تختلف عن الفنون الأخرى على صعيد الخبرة.

عندما تكتسب المعرفة والفهم لتستمتع بأوبرا ما، عند ذلك تقرر الطريقة التي تستمتع بها أكثر. هل بمقدورك أن تذهب لحضور عرض أوبرالي وتضيع نفسك في وهم خشبة المسرح وأنت مستغرق في الموسيقا؟ إذن افعل ذلك. هل تود فقط مقتطفات مسجلة من أوبرات شهيرة؟ أم تسجيلات أوبرالية كاملة؟ لا تدع أحداً يخبرك عن الأفضل، فأنت الحكم. إن استمتاعك هو شأن شخصي، وبالمعرفة يكون استمتاعك مضموناً.

AÏDA عايدة

للمؤلف جوسيبه فيردي G. Verdi 1813-1901، وضع نصها انتونيو غيسلانزوني (شارك فيردي في وضع النص)، وقد اخذه عن نص نثري مترجم إلى اللغة الإيطالية وضعه الفرنسي كاميل دو لوكل عن مخطط قصة وضعها عالم الآثار الفرنسي اوغست مارييت بيي.

الشخصيات

ملك مصر	باص
أمنيريس ، ابنة ملك مصر	ميتسو ـ سوبرانو
عايدة ، فتاة حبشية أمة عند أمنيريس	سوبرانو
راداميس ، قائد الحرس الملكي المصري	تينور
رامينس ، كاهن إيزيس الأعلى	باص
أموناسرو ، ملك الحبشة ووالد عايدة	بايتون
رســـول	تينور
كاهنـة	سوبرانو

كهنة وكاهنات وحراس وعبيد وراقصات وجنود ومصريون وأسرى.

المكان : ممفيس وطيبة في مصر القديمة

الزمان زمن سلالة من سلالات الفراعنة

التقديم الأول : في دار الأوبرا المصرية بالقاهرة في ٢٤ كانون الأول عام ١٨٧١

اللغة الأصلية الإيطالية

كان فيردي في الستين من عمره تقريباً حين ألف أوبرا عايدة بناء على تكليف من خديوي مصر الذي طلب منه تأليف أوبرا مبنية على موضوع مصري بمناسبة افتتاح دار الأوبرا الإيطالية في القاهرة عام ١٨٦٩ كجزء من الاحتفالات بقناة السويس. لكن الأوبرا لم تكتمل إبّان الافتتاح.

وقد أثار اهتمام فيردي السيناريو الذي وضعه عالم الآثار الفرنسي مارييت بيي الذي، كما قيل، بُني على حدث جرى في تاريخ مصر القديمة. لذا فقد عمد هو والكاتب الدرامي دو لوكل على توسيع السيناريو وتحويله إلى دراما نثرية، كذلك تعاون فيردي مع أنتونيو غيسلانزوني لتحويل الدراما إلى ليبريتو.

يبدأ الاستهلال بآلات الكمان التي تعرض بنعومة الثيمة التي ترافق عايدة طوال الأوبرا. وهذا يمهد الطريق أمام موتيف كهنة إيزيس المعتم، منذراً بالحكم النهائي الذي ينطق به هؤلاء الكهنة على عايدة وراداميس. ثم تعود ثيمة عايدة بإيجاز.

الفصل الأول

المشهد الأول: قاعة واسعة في قصر الملك المصري في ممفيس. رامفيس وراداميس يتحدثان. يكشف الكاهن الأعلى عن أن الأحباش عاودوا تحدي القوة المصرية في سهل النيل وهددوا طيبة، وأنه يترقّب كلمة من الرسل في وقت قريب. يسأل راداميس عما إذا كانت الإلهة إيزيس قد استشيرت. يجيب رامفيس، وهو يتطلع إلى راداميس باهتمام، بأن الإلهة إيزيس قد سمّت الرجل الذي سيقود المصريين، ثم يغادر لينقل إلى الملك المرسوم المقدس.

يهتف راداميس قائلاً بأنه ربما سيدرك الآن طموحه الأعظم ــ في قيادة الجيش المصري إلى النصر. ثم سيعود إلى ممفيس منتصراً ـ وإلى محبوبته عايدة. وفي

آريا (Celeste Aida, forma divina) يكشف سرَّحبِّه للأسيرة الحبشية التي تخدم جارية عند أمنيريس.إنه يتخيلها في موطنها ، الذي تحن إليه ، تحكم كملكة جميلة من على عرشٍ قرب الشمس. ويختم راداميس الآريا بنشوة روحية عالية.

تدخل أمنيريس ، فيخبرها راداميس بأنه حقق اليوم رغبته الأكثر مدعاة للفخر. فتسأله عما إذا لم يعد ثمة عاطفة أخرى تمس قلبه. وبينما تتحرك ثيمة غيرة أمنيريس في الأوركسترا يتعجب راداميس ، على حدة ، إن كان في حماسته قد خان حبه لـ عايدة . كذلك تعبر أمنيريس لنفسها عن شبح شكها بأن عايدة منافستها

تظهر عايدة ترافقها ثيمتها . تسألها أمنيريس عن سبب حزنها (Vieni ,O Diletta Appressati) ، وتقود هذه الكلمات إلى ثلاثي آسر. تجيب عايدة بأن الحديث عن الحرب يرعبها ، وأنه يحزنها الخطر المحدق بالبلاد . بهذه الذريعة تنجح عايدة في إخفاء حزنها على بلدها . إن الذين أسروها لم يرتابوا بأنها ابنة الملك الحبشي أموناسرو . وبمرافقة ثيمة الغيرة تستشيط أمنيريس غضباً وتقول ،على حدة ، بأن عايدة تحاول عبثاً خداعها.تعبر عايدة عن هواجسها ، بينما تقلق راداميس نظرة أمنيريس الحاقدة ، خاشياً أن تدمر شكوكها خططه .

فجأة يعلو صوت آلات الترومبيت . يدخل الملك يتقدمه حرسه ويتبعه رامفيس والوزراء والكهنة والضباط . يقدم الرسول تقريراً حول اجتياح الأحباش لمصر وتقدُّمهم نحو طيبة تحت إمرة ملكهم أموناسرو .يصيح الحشد في غضب ، بينما تصرخ عايدة في خوف وذعر لدى سماعها اسم والدها . يلتفت الملك إلى راداميس ويعلن أن إيزيس قررت اختياره لقيادة الهجوم ، ثم يدعوه لدخول معبد فولكان ليلبس الدرع المقدس. وفي نبرة عسكرية (Sul! Del Nilo al

sacro lido!) يدعو شعبه إلى القتال. يخرج الحشد يرافقه غناء الكورس هاتفاً ومهللاً لـ راداميس (Ritorna vincitor!). تغادر عايدة وحدها وهي تردد عبارة (Ritorna vincitor!) «عد منتصراً» التي تمهد لآريا حميمة تتساءل فيها كيف يمكن قول «عد منتصراً»، وتصف كم هي ممزقة بين إخلاصها لأبيها وحبها لـ راداميس. وبمرارة تلوم نفسها لأنها تجرَّأت على لفظ العبارة الفظيعة التي تعني إخضاع والدها. لقد تراءى لها الفاتح ملطخاً بدماء إخوتها، راكباً العربة منتصراً ـ وخلف عربته والدها مكبلاً السلاسل. وفي عبارات مؤثرة (O Numi, Sperdete) تتوسل إلى الآلهة أن تكلل والدها بالنصر. ثم تنتحب، متذكرة حبها لـ راداميس، متابعة صلاتها البليغة (Numi, Pietà). وفي نهاية الآريا يتلاشى صوتها بعد أن تطلق آهة حزن. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: معبد فولكان في ممفيس. في وسط المسرح هيكل منقوش بالرموز المقدسة. سُحُبٌ من البخور تتصاعد من الحوامل الذهبية. يقف رامفيس إلى جانب الهيكل وحوله الكهنة والكاهنات. تغني الكاهنات ترتيلات للإله فتاح (Possente, Phtha!). ثم يبدأ الرقص الطقسي للكاهنات. يدخل راداميس ويتقدم نحو الهيكل. يُلقى حجاب فضي على رأسه، ويضع رامفيس بين يديه السيف المقدس. يطلب الكاهن الأعلى العون من الآلهة لحماية مصر (Nume, Custode e Vindice) يكرِّر راداميس الصلاة. تنبثق من الكورس صيحة هائلة تمجِّد فتاح العظيم (Immenso Phtha!) بينما تسدل الستارة.

الفصل الثاني

المشهد الأول : جناح أمنيريس. خادمات أمنيريس يُلبسنها ثياب مهرجان النصر الذي سيقام على شرف الجيوش العائدة. غلمان مغاربة يرقصون لها ، بينما تغني الإماء بمرح الحب الذي ينتظر المنتصر (Chi mai fra gli inni e i plausi!). يعلو صوت أمنيريس فوق أصوات الكورس حين تدعو بطلها ليسارع إلى ذراعيها.

فجأة ترى عايدة قادمة. تصرف أمنيريس الإماء ، وتحاول انتزاع اعتراف عايدة بحبها لـ راداميس. ثمة ثنائي غنائي دراماتيكي مفعم بالقوة (Fu la sorte dell 'armi) تخبرها أمنيريس في البداية بأن راداميس قد قتل. وحين تفشي عايدة سر حبها له ، تقول لها أمنيريس بأنها أوقعتها في الفخ ـ فراداميس حيٌّ. تشكر عايدة الآلهة بفرح. هنا تأمر أمنيريس بالنظر إلى من تجرؤ أن تقاوم في الحب ابنة الفراعنة. تهم عايدة بالقول إنها من دم ملكي ، لكنها تتمالك نفسها. تركع عايدة طالبة الرحمة ومعترفة بحبها. في الخارج تسمع أصوات آلات الترومبيت ، يتبعها هتافات الحشد مهللة بالفاتح. تخبر أمنيريس عايدة بأنه في مهرجان النصر سوف تلعب دورها الحقيقي ـ أمة تعفّر وجهها في التراب ، وأنها (أي أمنيريس) سوف تجلس على العرش إلى جانب الملك. مرة ثانية تطلب عايدة الرحمة. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني طريق عريض في مدخل مدينة ممفيس على جانبيه أشجار النخيل. إلى الجانب معبد آمون ، وإلى الجانب الآخر عرش مظلّل. في الخلف قوس النصر. المشهد مزدحم بالناس. يدخل الملك مع بطانته الكبيرة. تظهر أمنيريس ،

تتبعها عايدة وخادماتها الأخريات، وتجلس على العرش إلى جانب الملك. ينفجر كورس ضخم (Gloria all'Egitto) هاتفاً بمجد مصر. ثم يرعد كورس الكهنة بصلاة الشكر (Della vitoria agli arbitri).

تدخل القوات المصرية ترافقها موسيقا «المارش الكبير». ينظم المحاربون صفوفهم على الجانبين. الراقصات حاملات غنائم النصر يقدمن باليهاً رمزاً لانتصار المصريين. يتصاعد صوت الكورس حين يدخل راداميس راكباً عربته.

وحين تتردد ثيمة شغف أمنيريس بـ راداميس في الأوركسترا، تضع أمنيريس فوق رأسه تاج النصر. واستجابة لطلبه يجري عرض الأسرى الأحباش مكبلين بالسلاسل وفي مؤخرتهم يسير أموناسرو مرتدياً ثياب ضابط. تشهق عايدة حين ترى والدها. يهتف الجميع في دهشة. وحين تعانقه يحذرها من كشف هويته الملكية. يخبر أموناسرو الملك بأنه بوصفه ضابطاً يقاتل من أجل ملكه الذي قتل في المعركة، وفي لحن نبيل يلتمس رحمة الملك بالمهزومين. تضم عايدة والإماء والأسرى صوتهم إلى صوت أموناسرو. يطالب الكهنة بقسوة بالثأر. بينما يطالب الناس بالرأفة، وحين يُعبِّر راداميس عن حبه لـ عايدة تصيح أمنيريس، التي تراقبهما، مطالبة بالثأر. يقول الملك بأنه يتوجب عليه الإذعان لمشيئة الآلهة. يطلب راداميس من الملك إطلاق سراح جميع الأسرى الأحباش. يتقدم رامفيس الرافض قائلاً بأنه سيقبل إطلاق سراح الأسرى شريطة أن يبقى والد عايدة رهينة. يوافق الملك، ويلتفت إلى راداميس معلناً بأنه سيزوجه أمنيريس مكافأة له على تحقيق النصر. يختم الكورس الفصل.

الفصل الثالث

بجانب نهر النيل. ثمة صخور غرانيتيه تغطيها جزئياً أشجار النخيل.يلوح من بُعد معبد إيزيس ، ومنه تنبعث أصوات الكهنة منشدين ترتيلة لـ إيزيس. ينزل راداميس وأمنيريس من زورق وصل إلى الشاطئ ، ويتجهان نحو معبد إيزيس يتبعهما نساء محجبات. يدعو راداميس أمنيريس إلى دخول المعبد لتلتمس مباركة الإلهة في ليلة زفافها. ثم يدخل الجميع إلى الحرم المقدس.

تظهر الآن عايدة محجبة الوجه وتغني الآريا الشهيرة المعروفة (O patria mia). بادئة الجميع بعبارة (Ocieli azzuri) تُعبِّر عايدة عن توقها اليأس إلى وطنها. وبينما هي واقفة يملؤها الحزن يدخل أموناسرو فجأة. يقول بأنه علم بأنها واقعة في حب راداميس غازي شعبها. وبغضب يذكرها بأن الجنود المصريين دمَّروا وطنها ، ويأمرها بأن تنسى حبها وأن تفكر بالثأر. ثم يردف قائلاً إن الأحباش يتهيئون للهجوم ثانية ، ولكن ينبغي أن يعرفوا اسم الممر الذي سيسلكه المصريون. ويصرخ أموناسرو بأن على عايدة أن تخدع راداميس ليكشف لها عن السر. وبعد احتجاجها الذي لم يثمر ، تستسلم وتعد والدها بإطاعة أمره. يختبئ أموناسرو وسط أشجار النخيل عندما يقترب راداميس.

يحيي راداميس عايدة بصيحة انجذاب ، تستجيب له عايدة ببرود مذكرة إياه بأنه سيتزوج عما قريب أمنيريس. يقسم لها بأنه يحب عايدة فقط ، وأنه لن يتخلى عنها أبداً. أخيراً تستسلم لوعوده وتقول بقي هناك سبيل واحد ـ ينبغي عليهما الفرار من هذا البلد ويلجأان إلى وطنها حيث يستطيعان أن ينعما بسعادة الحب (Fuggiam gli adori inospiti). يتردد راداميس في البداية لكنه يرضخ

راصياً بالذهاب معها (Ah! No! fuggiamo!). يغنيان معاً الأفراح التي تنتظرهما. عندئذٍ تسأله عن الطريق التي سيسلكانها ليتجنبا الجيوش المحاربة. يجيبها راداميس من الممر الذي خطط المصريون لعبوره لمهاجمة الأحباش ـ فسيكون دون حراسة حتى الصباح. تسأله عايدة متعمدة أن يسميه، يجيبها إنه ممر ناباتا.

يخرج أموناسرو من مخبئه ويكشف عن نفسه بصفته ملك الأحباش، ويعلن بأنه أمر قواته بأن تنطلق على الفور. يصيح راداميس قائلاً إنه إكراماً لـ عايدة غدا خائناً لوطنه (Io son disonorato!). يحاول أموناسرو وعايدة تهدئته قائلين بأنه ليس مذنباً وأن فعلته رسمها القدر. في تلك اللحظة تخرج أمنيريس بسرعة من المعبد هاتفة «خائن» يتبعها رامفيس والكهان ورجال الحرس. يندفع أموناسرو نحو أمنيريس وبيده خنجر، لكن راداميس يكبحه ويحثه على الهروب مع عايدة. يأمر رامفيس الحرس بملاحقة الفارّين. وفي صيحة استسلام يسلم راداميس سيفه إلى الكاهن الأعلى. وتسدل الستارة.

الفصل الرابع

المشهد الأول: قاعة في قصر ملك مصر. إلى اليمين باب السجن حيث ينتظر راداميس حكم الكهنة. إلى اليسار مدخل قاعة المحكمة. وأمامه تقف أمنيريس تعلو الكآبة وجهها. ومن خلال ريسيتاتيف تعبر عن تضارب عواطف الغيرة والحب. ثم تأمر الحراس، في محاولة أخيرة لإنقاذ راداميس، أن يحضروه لها.

يلي ذلك ثنائي غنائي دراماتيكي (Già I sacerdoti adunansi). تستعطفه أمنيريس لكي يعترف بذنبه، ويضع نفسه تحت رحمة الكهنة، وينقذ نفسه. يزدري راداميس توسلاتها قائلاً بأنها سلبت منه عايدة ـ وربما تسببت في

موتها - والآن لم يبقَ له شيء سوى الخزي والعار. ترد أمنيريس قائلة بأن عايدة حية، وتخبره بأن أموناسرو هو الذي قتل بينما هربت عايدة، وتعد أمنيريس بحمايته إن هو تخلّى عن عايدة. لكن راداميس يرفض الصفقة بهدوء قائلاً بأنه يتهيّأ للموت.

يعاد راداميس إلى زنزانته، بينما تسمع في الأوركسترا ثيمة الكهنة المتجهمة. تغني أمنيريس قائلة بأن غيرتها الضارية قد حكمت على راداميس بالموت، وعلى نفسها بالأسى الدائم (Ohimè! Morir misento). في الأسفل يناشد كورس دون مرافقة الآلهة لتشهد على عدالة حكمهم.

يعبر الآن راداميس، محاطاً بالحراس، خشبة المسرح وينزل إلى قاعة المحكمة، نسمع صوت رامفيس يعرض تهمة الخيانة العظمى. يطلب منه الكهنة الدفاع عن نفسه (Discolpati!). ليس ثمة رد. يطلب منه رامفيس ثلاث مرات أن يجيب. لكنه يظل صامتاً. وخلال لحظات تلتمس أمنيريس الرحمة من الآلهة.

فجأة، في كورس مفعم بالقوة، يُعلن الحكم: يجب أن يدفن راداميس حياً في قبر تحت هيكل الإله الذي أثير غضبه (Radames, è deciso il tu fato). يخرج الكهنة من القاعة ينشدون قائلين بأن العدالة قد تحققت. تثور أمنيريس قائلة إنهم لإشباع شهوتهم للانتقام حكموا على إنسان بريء. وفي ردهم عليها يرتلون قائلين بأن الخائن ينبغي أن يموت (È traditor! Morrà!). وبينما هم يتحركون ببطء، تصبُّ عليهم اللعنة. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: هذا هو المشهد المزدوج الشهير. في القسم العلوي ثمة معبد فولكان يغمره الضوء، في الجزء الأسفل ثمة قبر غارق في الظلمة. يُقاد راداميس إلى الأسفل. ثمة كاهنان يحركان بلاطة لوضعها فوق القبر. يغني راداميس قائلاً إن

البلاطة أُغلقت عليه (La fatal pietra)، وينتحب لأنه سوف لن يرى عايدة ثانية. فجأة ينبثق شكل من الظلال. يصرخ راداميس، وقد تبيَّن عايدة، دهشاً حين يراها في القبر (Tu – in questa tomba!). يبدأ الآن ثنائي غنائي مؤثر مهيمناً على مشهد الأوبرا الختامي العظيم. تخبر عايدة راداميس بأنها انسلت إلى داخل القبر دون أن يلحظها أحد لتشاركه مصيره (Presago il core della tua condanna). يحتج راداميس على حكمها على نفسها.

في تلك الأثناء تبدأ رقصة طقسية في المعبد، ونسمع أصوات الكهنة يرتلون ترتيلة الموت. وفي مسعى أخير يحاول راداميس تحريك البلاطة، ثم ينهار بين ذراعي عايدة، ويغنيان معاً وداعهما للأرض (Oterra, addio). تظهر أمنيريس وتطرح نفسها على بلاطة المدفن وتصلّي وهي تنشج للإلهة إيزيس. يمتزج صوتها وغناء الكهنة مع العبارات الأخيرة لثنائي العاشقين. تموت عايدة بين ذراعي راداميس. وبينما تسدل الستارة ببطء نسمع صلاة أمنيريس تلتمس فيها السلام (Pace t'implor) وتضرعات الكهنة الأخيرة لـ فتاح.

حفلـــة رقــص تنكــرية

Un Ballo in Maschera

للمؤلف جوسيبه فيردي ١٨١٣ـ١٩٠١ G. Verdi

وضع نصها، المأخوذة عن يوجين سكريب، أنطونيو سوما

الشـــخصيات

صامويل ، متآمر	باص
توماسو ، متآمر	باص
إدغاردو ، وصيف الملك ريكاردو	سوبرانو
ريكاردو ، ملك السويد	تينور
ريناتو ، سكرتير الملك ريكاردو	باريتون
أولريكا ، مشعوذة	كونترالتو
أديليا ، زوجة ريناتو	سوبرانو
سيلفانو ، بحار في خدمة الملك ريكاردو	باص

قاضٍ ، من سكان المدينة ، رجال حاشية ، مقنعون ، راقصون

المكان   السويد

الزمن   القرن الثامن عشر

التقديم الأول: مسرح أبولو في روما في ١٧ شباط عام ١٨٥٩

اللغة الأصلية   الإيطالية

امتازت أوبرا حفلة رقص تنكرية، مثلها مثل العديد من أوبرات فيردي، بكونها شكلت محور عاصفة سياسية في موعد تقديمها الأول. إذ كان من المفروض أن تُقدم عام ١٨٥٨ تحت عنوانها الأصلي «غوستافوس الثالث»، وحبكتها مبنية على أحداث محيطة بحادث اغتيال ملك السويد غوستافوس الثالث في حفلة رقص تنكرية في بلاطه عام ١٧٩٢.

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه التدريبات على الأوبرا حاول أحد الثوريين الإيطاليين اغتيال نابليون الثالث في باريس. ونظراً لأن أوبرا فيردي تتعامل مع مؤامرة ناجحة ضد الملكية لجأت السلطات فوراً إلى منع عرضها. واقترحت السلطات على فيردي أن يكيف موسيقاها لتلائم ليبريتو جديد. لكن فيردي رفض ذلك بصورة قاطعة.

وحين بلغ الخلاف مسامع الجمهور الإيطالي انطلق في مسيرات تأييداً للمؤلف. كانت الحشود تسير في الشوارع هاتفة «يحيا فيردي». وفي الواقع كانت الأحزاب، التي تطالب بوحدة إيطاليا تحت قيادة الملك فيكتور إيمانويل، تستخدم اسم فيردي كصرخة معركة سياسية. فقد اكتشف أحدهم أن الحروف V,E,R,D,I تمثل شعار «Vittorio Emmanuele, Re D'Italia»، أي فيكتور إيمانويل ملك إيطاليا.

وأخيراً حُلت المشكلة بطريقة مرضية. فمن أجل تقديم الأوبرا عام ١٨٥٩، قام فيردي بعدة تعديلات، فغير العنوان إلى حفلة رقص تنكرية، وغير المكان من السويد إلى نيو إنغلند البيوريتانية، وغدا الملك غوستافوس ريكاردو (أو

ريتشارد) إيرل أوف وارويك وحاكم بوسطن. وعُهد إلى زنجيين بلعب دورَيْ المتآمرين صامويل وتوماسو، وتحول اسم السكرتير ريناتو (أو راينهارت) إلى كريول، واسم المشعوذة أولريكا إلى لينغرس. واليوم فإن معظم العروض الحديثة تعود إلى موقع أحداث الأوبرا الأصلي: بلاط الملك السويدي.

الفصل الأول

قاعة اجتماعات الملك ريكاردو الملكية. إثر تمهيد قصير، مجموعة من موظفي البلاط والنبلاء يغنون ممجدين الملك، ويتعهون بالولاء له. يقف صامويل وتوماسو في جانب القاعة مع أتباعهما، مؤكدين بسحنتهما الباطنية الشريرة أنهما لقيا الضيم من الملك وهما الآن يتحرقان للإنتقام. إنهما ينبهان إلى أنه ليست به حاجة للتفكير بضحاياه التي ترقد منسية في قبورها.

يعلن إدغاردو (أحياناً أوسكار) وصول الملك، يدخل الملك ريكاردو ويحيي الجمع، ثم يتلقى المطالب المتنوعة. إنه يعد الجميع بالعدل، ويضيف أن واجب الحكام الأول هو تقديم المساعدة والعون للرعية، ثم يسلمه الوصيف، بناءً على اقتراحه، قائمة المدعوين إلى حفلة الرقص التنكرية الوشيكة. ويأمل ريكاردو ألا تكون أي واحدة من جميلات البلاط قد أُغفلت. ثم يهتف، وهو يبصر اسم أديليا (أحياناً أديليا)، بأنها الأجمل، وأن مجرد اسمها يملأ قلبه بالفرح. تقود هذه العبارات إلى آريا (رومانزا) الوجد «La rivedro nell' estasi» التي يتحدث فيها ريكاردو بحماسة عن حبه لـ أديليا.

يتبع ذلك غناء مؤثر لمجموعة من الأشخاص في القاعة يعبرون فيه عن عواطفهم. ويغني المتآمران أن هذه اللحظة ليست ملائمة إذ إن الملك محاطٌ

بأصدقائه. يلاحظ إدغاردو ورجال الحاشية سيماء السعادة على وجه الملك.

يصرف ريكاردو الوصيف الذي يعلن لدى خروجه عن وصول ريناتو. وعند دخول ريناتو ينسحب رجال الحاشية. يلاحظ السكرتير أن الملك يبدو قلقاً. يعبر الملك على إنفراد عن الفكرة المزعجة في أن يكون هذا الرجل زوج محبوبته الأثيرة. يتعجب ريناتو المخلص من حزن الملك، في حين أن المدينة تضج بالثناء عليه. فيقول ريكاردو بأن محنة غامضة تحزنه. وعندما يعلن ريناتو أنه يعلم مصدر قلق الملك، يطلق ريكاردو بإنكسار صيحة خوف. أن كليهما غير مدرك للمعنى الحقيقي الذي في خلد الآخر. يحذر ريناتو الملك أنه لم يعد آمناً في قصره لأن هنالك عصبة تخطط لموته. يسأله ريكاردو بارتياح، ولكن بشيء من القلق عن تفاصيل أبعد من ذلك. وعندما يبدي ريناتو استعداده للبوح بأسماء، يؤكد الملك أن الأمر على الرغم من ذلك غير هام. ثم يضيف لو أنه علم لتوجب عليه إراقة الدماء، وذلك ما لم يفعله، لأن الله ورعيته المخلصة سوف تحميه.

وفي آريا دراماتيكية «Alla vita che t'arride» ينبه ريناتو الملك إلى أن مصير الآلاف يعتمد عليه، وأنه إذا هلك فإن عز وطن الآباء ومجده سوف يهلكان معه. لكن ريكاردو لا يبالي بتحذير سكرتيره. يدخل إدغاردو مع قاضٍ يحمل معه مرسوماً بالنفي ليوقعه الملك. وعند قراءته يطلب ريكاردو اعلامه باسم المرأة التي ستنفى. يجيبه القاضي بأن اسمها هو أولريكا وأنها من سلالة أجنبية. ويقول إدغاردو مقاطعاً بأن القاصي والداني من الناس يأتون إليها طلباً للنصيحة. ويعلن القاضي أن ملجأ هذه الشمطاء هو ملتقى الأشرار والخارجين على القانون، ثم يصر على تنفيذ الحكم. وعندما يسأل ريكاردو متفكهاً، إدغاردو عن رأيه. يلتمس منه الوصيف الرحمة. وفي آريا منمقة «Volta la terrea»

يرسم الوصيف بحيوية صورة لـ أولريكا بوصفها عرافة استثنائية قادرة على قراءة الحظوظ الجيدة والرديئة في النجوم، وهي دون شك متحالفة مع الشيطان نفسه.

وعند إنتهاء الآريا يكرر القاضي طلبه بإدانة أولريكا. ومرة أخرى يلتمس إدغاردو الرحمة بها. ويستعد الآن ريكاردو لإعلان قراره أمام الجمع. وعندما تعود الحاشية للدخول يعلن أنه يعتزم زيارة كوخ أولريكا متنكراً ، ويدعو مستشاريه إلى مرافقته. يحاول ريناتو أن يثني الملك عن فعل ذلك مشيراً إلى أنه ربما عرفه أحدهم، لكن ريكاردو يتنقص من قيمة تحذيره. ويطلب الملك من الوصيف أن يهيء له بذة بحار ليتنكر بها. يسخر صامويل وتوماسو من نصيحة ريناتو، ثم يفكران بارتياح بنزوة الملك التي ربما تعزز خطتهما.

يدعو ريكاردو الجميع إلى الاستفادة إلى أبعد حدود من هذه المغامرة الطريفة، ويخبرهم بأنه سوف يكون في حجرة المشعوذة في الساعة الثالثة صباحاً. ويعد ريناتو أن يراقب الأحداث بعين يقظة، بينما يعلن إدغاردو بابتهاج أنه يسعى لقراءة بخته. ويطلق صامويل وتوماسو بتكتم مظلم تهديدات رهيبة. يعبر رجال الحاشية عن سعادتهم باللهو المثير الذي ينتظرهم، ويختم الفصل كورس ضخم.

الفصل الثاني.[1]

منزل أولريكا، وهو كوخ واسع من خشب غير مصقول. على اليسار مرجل بخاري كبير موضوع على منصب. في الخلف ثمة سلم يفضي إلى الأعلى وفي

● ـ كانت الأوبرا في الأصل تتكون من ثلاثة فصول، لذا فإن هذا هو المشهد الثاني من الفصل الأول.

قاعدته باب سري. الكوخ مزدحم بأناس يراقبون ما يجري بانتباه مركز، بينما تقف أولريكا أمام المرجل. بعد مقدمة غريبة ومعتمة يغني المجتعون أغنية الجني الشرير الذي سيظهر قريباً. تشرع أولريكا، وهي تحرك شرابها السحري، بغناء آريا التعويذة الشهيرة «Re dell' abisso affretati» إنها تدعو بصورة دراماتيكية ملك العالم السفلي للظهور أمامها. وتتلو ثلاث مرات عبارة صرخ البوم، وثلاث مرات السلمندر[٢] وثب من خلال النار، وثلاث مرات تأوه الميت في القبر.

فجأة يخطو ريكاردو بخطوات واسعة معلناً أنه هو أول من وصل. فتطلب منه النساء في الحشد، وقد روَعهن مقاطعته، البقاء بعيداً، بينما تحملق أولريكا في وجهه. فيتراجع بضحكة لا مبالية ويقبع في الظلال. يلتمع وميض من الضوء منوراً الكوخ، وتلهث النساء في رهبة. ثم تستأنف أولريكا تعويذتها، وتغني في نشوة بدائية؛ الجني الشرير استجاب لدعوتها وجلب لها قوة رهيبة من السحر ستمكنها من التحكم في القدر الإنساني، ينخفض صوتها الآن متحولاً إلى همس خشن وتطلب من الحشد الصمت. يتسم التأثير هنا بقوة دراماتيكية استثنائية.

يحصل شيء من الاضطراب عندما يشق سيلفانو طريقه وسط الحشد طالباً من أولريكا أن تكشف له عن بخته. ويخبرها أنه بوصفه بحاراً في خدمة الملك قد خدم بإخلاص وأنه أنقذ حياة سيده أكثر من مرة. ويشكو من أنه، بعد انقضاء ١٥ عاماً لم يحصل على أية ترقية ولم يزد دخله. ويسألها ما الذي ستكون عليه مكافأته. يطري ريكاردو على انفراد صراحته. تأخذ أولريكا يد البحار وتخبره أنه سيحظى قريباً بتعويض كبير. يعبر سيلفانو عن شكوكه، لكن أولريكا تؤكد له ذلك. يكتب ريكاردو خلسة ملاحظة ويدسها مع بعض المال في جيب البحار،

• ـ السلمندر: عظاية خرافية زُعم أنها قادرة على العيش في النار (المورد).

قاصداً أن يجعل من هذه النبوءة حقيقة. يضع سيلفانو يده في جيبه معلناً أن نبوءة أولريكا المتفائلة لن تذهب دون مكافأة، لكنه يهتف بفرح عندما يكتشف المال ومعه رسالة موجزة بترقيته. وينادي بأولريكا كمتنبئة عظيمة.

في تلك اللحظة يُسمع نقر على الباب السري. يتفاجأ ريكاردو حين يرى خادم أديليا يدخل الكوخ. انه يخبر أولريكا أن سيدته تنتظر في الخارج وأنها ترغب في استشارتها سراً. تجيبه أولريكا بأن عليها أن تصرف الناس. وتنصح زوارها بتركها وحيدة لتتحدث مع وسيط الوحي لكي تكشف لهم عن بختهم. وبعد انسحاب الجميع باستثناء ريكاردو تدخل أديليا في اهتياج كبير. فتسألها المشعوذة ما الذي يقلقها، فتجيبها أديليا هو قلق حب سري، ثم تناشدها أن تنتزع من قلبها حب أحد الذين قُدر له التربع على العرش.

يمتلئ ريكاردو بهجة لدى سماعه ذلك. وفي نبرة مظلمة تدل أولريكا أديليا على عشبة تمتلك قوة التحكم بنزوة القلب. وأياً كانت الرغبات فانه ينبغي عليها جمع هذه العشبة وحدها في منتصف الليل من موضع مخيف حيث تنبت. تسألها أديليا بتلهف إلى أين تذهب؟ قائلة بأنه لاشيء يروعها. وبلهجة دراماتيكية تصف أولريكا مشنقة تنتصب قرب بوابة المدينة الغربية «Della citta all'occaso» في قاعدتها تنبت العشبة البغيضة مزدهرة في تربة تظللها أجساد مجرمين كفّروا عن آثامهم في طرف حبل المشنقة.

تتراجع أديليا في رعب. تلاحظ أولريكا محنتها الفزعة، بينما يرثي ريكاردو لحالها. وعندما تقسم أديليا على عدم التهرب من واجبها، تأمرها المشعوذة بأن تجمع العشبة في هذه الليلة بالذات. يعلن ريكاردو على انفراد أنها سوف لن تذهب بمفردها. يتبع ذلك ثلاثي مؤثر. تصلي أديليا كي توهب القدرة على

مواجهة المحنة، وتلتمس من السماء تطهير قلبها من عاطفته المحرمة «Consentimi O Signore». تؤكد لها أولريكا أن سحر العشبة سوف يشفيها. يعترف ريكاردو بانفعال بحبه ويقسم على حماية أديليا. تقاطعهم أصوات رجال الحاشية في الخارج طالبين الأذن بالدخول، تهرع أديليا إلى الخارج.

يقتحم صامويل وتوماسو ورجال الحاشية الكوخ وهم جميعاً مقنَّعون يتبعهم سكان المدينة، ويطلبون من أولريكا أن تكمل نبوءاتها. يبحث إدغاردو عن الملك، ويحذر ريكاردو وصيفه بألا يفضح هويته. ويقترب من أولريكا طالباً منها الكشف عما يخبئه له المستقبل. وبشخصية البحار التي يلعبها يغني ريكاردو الباركارول الشهير «Di'tu se fidel». وكأي بحار يتساءل عما إذا كانت محبوبته صادقة معه، ثم يقول أنه لايخاف الريح ولا الأمواج، بل يفكر فقط بالحفاوة التي تنتظره عندما تعود سفينته سليمة إلى المرفأ. يجيبه الحشد بحيوية حين يعلن ذلك، مهما تكن نبوءة أولريكا فسوف يسمعها دون خوف. تهاجمه المشعوذة بشراسة محذرة من أن الرجل الذي يجرؤ على السخرية من قدره ربما يندم على تلك الحماقة. وبعد لحظة من التفاوض حول من سيكون أول من يعرف قدره، يقترح ريكاردو بازدراء يده. تعلن المشعوذة أنها يد رجل نبيل ومحارب فيعلق إدغاردو بوقاحة قائلاً إن ذلك صحيح تماماً، يسكت ريكاردو الوصيف. وفجأة تفلت أولريكا يده بفظاظة وتطلب منه أن يغادر دون أسئلة أخرى. يطلب منها الآخرون الاستمرار، لكنها تتردد فيأمرها ريكاردو أن تتكلم.

وفي التو تصيح أولريكا قائلة بأن هلاكه وشيك، فيقول ريكاردو إذا كان ذلك موت جندي فهو مستحب. فتترنم أولريكا قائلة إنه سيموت بيد صديق - هكذا هو مرسوم. يهتف الحشد في رعب، لكن ريكاردو يسخر من النبوءة بوصفها حماقة تافهة بطرفة ساخرة تبدأ بهذه الكلمات « E scherzo od e

follia». وهـذه تـؤدي إلى خماسـي يعـد واحـداً مـن أروع ماخطـه فـيردي. يعـبر إدغاردو عن مخاوفه حين تحملق أولريكا بصامويل وتوماسو، وتكرر تحذيرها من الموت وكأنهـا تقـرأ أفكارهمـا. يخـشى المتـآمران الآن مـن أن تكـون خطتهمـا قـد كشفت.

يسأل ريكاردو أولريكا من هو المقصود لكي يُقتـل. تجيبه أولريكـا أنـه الرجـل الأول الذي يتقدم لمصافحته. يعرض ريكاردو يده بحزم أمام رجال الحاشية، طالباً بجرأة من أحدهم تحقيق النبوءة فوراً في المكـان نفسه. يتراجـع الجميـع برعـب. وفي تلك اللحظة يدخل ريناتو. يخطو الملك بخطوات واسعة نحوه ويقبض على يده بينما يرعد الحشد باسم ريناتو. أما صامويل وتوماسو فقـد استردا راحتهمـا لانهمـا مازالا فوق الشبهة. يعلن الحشد أن النبوءة أخفقت، بينمـا يعلـم ريكـاردو أولريكـا بأن الرجل الذي أمسك بيده هو من أكثر أصدقائه ثقة، عندئذٍ يكـشف ريناتو عـن هويـة الملـك. وببهجـة يخـبر ريكـاردو أولريكـا بـأن الجـني الكلـي الوجـود الـذي استحضرته لم يخفق فقط في إعلامها بوجود الملك، بـل أهمـل أن يقـول لهـا بأنهـا كانت معرضة في هذا اليوم للعقوبة. وحـين تلهـث أولريكـا رعبـاً يطمئنهـا ريكـاردو ويمنحها كيساً من النقود. تشكره أولريكا بتذلل وتحذره ثانية قائلة أن الخـائن يحـوم حول المكـان. ثـم تـضيف ربمـا أكثر مـن واحـد. يسترق صـامويل وتوماسـو الـسمع ويشعران بالخطر.

عندئذٍ تأتي أصوات من الخارج تحيي ريكاردو. ويدخل سيلفانو مـع مجموعـة كـبيرة مـن الأصـدقاء. يعلـن سـيلفانو، مـشيراً إلى ريكـاردو، عـن وجـود الملـك، ويـدعو الجميـع إلى إجلالـه. يفعلـون ذلـك في كـورس صـداح « O figlio d'Inghilterra». ينـضم الجميـع في إجـلال عـدا أولريكـا والمتـآمران، وتكـرر

أولريكا نبوءاتها الأليمة. يؤجج غضب صاموٍيل وتوماسو أكثر واقع أن الملك، المحاط برعيته المتملقة، هو في منأى عن خطتهما.

الفصل الثالث

سهل منبسط مغطى بالثلج تطل عليه مشنقة[٣]

بمصاحبة البريلود تظهر أديليا في المشهد وتمشي بتردد باتجاه المشنقة. وتقول (في ريسيتاتيف) أن منظر المشنقة المرعب، مع العشبة المشؤومة في قاعدتها، يجمدان الدم في عروقها. أن صوت خطواتها ترعبها. لكنها تعلن أنه حتى تهديد الموت لن يثنيها عن تنفيذ مهمتها الشنيعة.

بعدئذٍ تغني أديليا الآريا الدراماتيكية «Ma dall'arido» التي ترثي من خلالها الحب الرائع في قلبها الذي ستحطمه قوة العشبة الشريرة. ثم تتحسر في يأس قائلة أنه عندما يذهب الحب فلا شيء يبقى. ثم تدعو بحزن قلبها أن يتحجر في قراره. ثم تصرخ من أجل الخلاص الذي يستطيع الموت أن يجلبه. وفجأة تلهث في رعب عندما تلمح شكلاً بشرياً يقترب في الظلام. وفي ذعر تتخيل شبحاً بعينين ناريتين وملامح رهيبة. تصلي أديليا بحرارة متوسلة الحماية ثم تخر على ركبتيها مرتجفة عندما يصبح الشكل البشري أقرب إليها.

يهرع إليها ريكاردو ويأخذها بين ذراعيه. وبذهول تحاول أديليا أن تصده، متوسلة إليه أن يذهب. فيرد ريكاردو بحماسة قائلاً أنه سوف لن يتركها لأن قلبه مشتعل بالحب. فتقول للملك أن عليها أن تكون مخلصة للآخر ـ للرجل الذي يتمنى الموت من أجل ملكه. فيصرخ ريكاردو واحسرتاه أنها الحقيقة المرة.

● ـ هو في الأصل الفصل الثاني.

ويضيف بألم أنه على الرغم من أن الندم يمزقه فقد قاوم عبثاً حبها الطاغي. وبألم مبرح يتجاهل شكواها ويلتمس منها كلمة حب واحدة.

تعترف أديليا، مستسلمة لمشاعره الملتهبة، بحبها له. فيستجيب ريكاردو بنشوة. وبحنان تغني أديليا أنه من الآن فصاعداً يتوجب عليه أن يكون مسؤولاً عن شرفها وقلبها، فيجيب ريكاردو قائلاً أنه يزدري مشاعر الإثم كلها ويضحي بكل صداقة. وفي ثنائي طويل وعذب «O qual soave brivido» يبث الإثنان اخلاصهما أحدهما للآخر.

فجأة يُسمع صوت أحدهم يقترب. فيسأل الملك من يجرؤ على القدوم إلى مكان الموت هذا. وفي اللحظة التالية يتعرف على ريناتو. وبسرعة تسدل أديليا الحجاب على وجهها. يخبر ريناتو الملك أنه أتى ليحميه من الخونة الذين هم الآن قيد الملاحقة. يقترب السكرتير ليقول أنه سمع أحدهم يقول بأن الملك شوهد وهو في طريقه إلى لقاء مع امرأة غامضة، وأجاب آخر بأنه ينوي اعتراض لقاء الملك بطعنة سيف.

يلقي ريناتو رداءه حول ريكاردو ليخفي الزي الملكي، ثم يطلب منه الفرار عبر ممر موثوق. يعترض الملك بحجة أنه لا يستطيع ترك مرافقه، لكن أديليا تتوسل إليه، على إنفراد، أن يذهب في الحال، وتناشده أن يهرب مادام الطريق ما يزال واضحاً. لكن الملك يقسم إنه سيموت قبل أن يتركها. وفي يأس تهدد أديليا بنزع حجابها. يلتفت ريكاردو نحو ريناتو، وقد فعل هذا التهديد فعله، بينما تؤكد أديليا، على إنفراد، أنه يفرحها أن تموت لإنقاذ عشيقها الملكي من القدر المشؤوم الذي يطارده.

يطلب ريكاردو من ريناتو أن يقسم على حراسة سيدته وإيصالها سالمة إلى المدينة، وألا يكلمها، وألا يتحقق من هويتها، وألا يحاول رؤيتها ثانية. فيعده

ريناتو المخلص بذلك دون تردد. يتبع ذلك ثلاثي مفعم بالحيوية. ريناتو وأدليا يحذران من الخطر الوشيك، ويدفعان الملك إلى الهرب. يثور ريكاردو غضباً من المتآمرين، ويعترف بأنه خائن للعهد أيضاً. إنه بسبب حب محرم خان بصورة مخجلة أصدق رفاقه.

عندما يهرب ريكاردو، يطمئن ريناتو أدليا قائلاً بأنه سيحميها. وفي اللحظة التالية يظهر في المشهد صامويل وتوماسو برفقة أصحابهما من المتآمرين وهم يصيحون من أجل الثأر. فيناديهم ريناتو. يتوقف المتآمرون صارخين في ارتباك غاضب إنه ليس الملك. يعلمهم السكرتير بتحدٍ أن الملك بأمان، ثم يعرفهم بنفسه. يشير صامويل بسخرية أن ريناتو محظوظ لأنه برفقة سيدة جميلة. ويضيف توماسو بأنه مجبر على كشف النقاب عن الجمال. يستل ريناتو سيفه بغضب. يهم المتآمرون بمهاجمته، لكن أدليا تندفع إلى الأمام لحماية ريناتو. فيسقط الحجاب عن وجهها. يصرخ ريناتو برعب مجروح باسمها. ويصاب المتآمرون بالذهول.

يسخر صامويل من سذاجة الزوج الذي يغازل زوجته عن غير قصد في لقاء سري في ضوء القمر. وينفجر هو والآخرون في ضحك تهكمي، ثم يتأملون بارتياح خبيث بكيفية إمتاع المدينة كلها بهذا الطبق الشهي من فضائح البلاط. يتلو ذلك كورس دراماتيكي مفعم بالقوة. تندب أدليا بحزن وخجل قدرها البائس، بينما يشتعل ريناتو من الغضب والخزي، ويهتف قائلاً إن الملك كافأه على إخلاصه وتفانيه بسلوك شائن وبالإهانة. يصف المتآمرون كيف ستنتشر هذه الواقعة المثيرة في المدينة.

وبتصميم يطلب ريناتو من صامويل وتوماسو أن يأتيا إلى منزله في الصباح. وعندما يلمح صامويل إلى خطة ثأر يجيب ريناتو باقتضاب قائلاً بأنه سيوضح

هدفه عندما يلتقيان. ويبرود يقول ريناتو لـ أديليا أنه سوف يفي بوعده ويوصلها إلى المدينة ، لكن كلماته بدت لها أشبه باصدار حكم. وأثناء انسحاب المتآمرين تبتعد أصواتهم وتتحول إلى همسات تحفل بالظنون. وتسدل الستارة.

الفصل الرابع(٤)

مكتبة في منزل ريناتو ، ثمة لوحة زيتية ضخمة للملك ريكاردو معلقة على أحد الجدران. بعد عدة ميزورات من المقدمة ترفع الستارة ، فتبدو أديليا مع ريناتو. يقول ريناتو لزوجته في غضب بارد أن لا تتوقع شفقه بل الموت. تحاول أديليا بيأس إقناعه بأن ما شاهده ليس سوى مظهر خارجي لذنب ، وليس ذنباً بحد ذاته. إن احتجاجها يهيج غضبه ليس غير، ثم يكرر أن مصيرها قد تعزز. وبألم مبرح تجثو أديليا أمامه ملتمسة ، بعبارات مؤثرة ، معروفاً واحداً أخيراً ، « Morro, ma prima in grazia». انها تسأله السماح لها برؤية ابنها مرة ثانية ، لكي يتسنى لها في ساعتها الأخيرة معانقته.

يتأثر ريناتو على الرغم من غضبه ، ويطلب من أديليا الذهاب إلى غرفتها. وهناك ، وبعد صمت كئيب ، يقول بأنها يمكن أن ترى ابنها وتفكر ملياً بخيانتها ، وعلى إنفراد يقول متأملاً إنه سوف يجنب زوجته وابنه تبعات ثأره. ثم يصيح بحرارة وهو يواجه رسم ريكاردو ، ثمة شخص سيسيل دمه لمحو العار.

ويغني ريناتو الآريا الشهيرة «Eri tu che macchiavi» التي يسكب من خلالها حزنه الذي سببه رجل غدر به. ويستعيد سعادته مع أديليا عندما

---

(٤) ـ الفصل الثالث في الأصل.

كان حبهما طاهراً. ثم يغني وهو في قمة التأثر ذهاب الأمل والحب إلى غير رجعة.

يقف ريناتو أمام اللوحة محني الرأس وقد حطمه اليأس. وفجأة يدخل صامويل وتوماسو. يطلعهم ريناتو على تقرير رسمي، ويعلمهم أنه على علم بخطتهما التي ترمي إلى اغتيال ريكاردو.

يعلن صامويل قائلاً إن ريناتو سوف يخبر الملك بذلك. فيجيب ريناتو قائلاً، بل على العكس تماماً، إنه يرغب في الانضمام إلى المتآمرين.

يُشده صامويل وتوماسو، لكن ريناتو يقول انه سيعطيهما علامة على حسن نيته. إنه لن يقودهما في خطتهما الدموية فحسب، بل سيقدم حياة ابنه غرامة إن هو فشل في أداء دوره. إن التغير المفاجىء في موقف ريناتو يغدو خارج حدود التصديق بالنسبة للمتآمرين. فيطلب ريناتو منهما ألا يجادلا بواعثه، ويكرر أنه سوف ينضم اليهما مع ابنه كرهينة. وفي ثلاثي قصير ودراماتيكي يقسم المتآمرون على الوقوف متحدين من أجل هدف واحد : الثأر.

عند تلك النقطة يطلب ريناتو أن يدعوه ليسدد الضربة المميتة. فيعترض صامويل قائلاً، بما أن ريكاردو حرم والده من وطنه فهو الأجدر بادراك الثأر. يطالب توماسو بذلك الامتياز قائلاً بأنه انتظر عشر سنوات ليصفي حساباته مع ريكاردو لأنه قتل والده. وأخيراً يقترح ريناتو إجراء قرعة بينهم. ثم يعمد الثلاثة إلى كتابة أسمائهم على قصاصات ورقية ثم يضعونها في زهرية.

في هذه اللحظة المتوترة تدخل أدليا وتعلن أن إدغاردو ينتظر حاملاً معه دعوة لحضور حفلة ريكاردو التنكرية الراقصة. يرى ريناتو أن القدر جلب أدليا في هذه اللحظة. وتشعر أدليا المصعوقة أن ثمة كارثة ستحل. ويقول ريناتو مخاطباً

صامويل وتوماسو أن أديليا سوف تقرر حسم المسألة ، ثم يقودها في كياسة بالغة نحو الزهرية ويطلب منها أن تسحب بيدها الطاهرة اسماً واحداً منها ، فتسأل لماذا. فيأمرها غاضباً أن تطيعه دون أية أسئلة. تتمتم أديليا على انفراد ، ان القدر دفع بيدها إلى صنيع دامٍ.

ترتعش في الأوركسترا أكوردات مظلمة وكئيبة بينما تأخذ أديليا بيد مرتجفة قصاصة ورق من الزهرية ثم تناولها لـ ريناتو ، الذي يعطيها لـ صامويل. يسأل ريناتو بنفاذ صبر، من هو الذي اختاره القدر؟ وعندما يقرأ صامويل اسمه يبتهج ريناتو بالنصر الحاقد. تصرخ أديليا قائلة أن الملك سيسقط وهو أعزل أمام أسلحة المتآمرين. وتتحد الأصوات الأربعة في رباعي دراماتيكي ـ تفصح أديليا عن يأسها تجاه قدر الملك ، بينما يتلذذ الرجال بقرب انتقامهم.

عندئذٍ يفسح ريناتو المجال لـ إدغاردو الذي جلب معه دعوة الملك إلى الحفلة الراقصة. يؤكد له الوصيف أن الملك سيكون موجوداً ، ثم يضيف أن الحفلة ستكون رائعة واستثنائية. يعد ريناتو ، وهو ينظر بحدة إلى أديليا ، بأنه سيحضر هو وزوجته. يشير صامويل وتوماسو على انفراد إلى أن الحفلة التنكرية ستسهل خطة عملهما. يشرع إدغاردو في غناء مقطع مفعم بالحيوية «Ah, di che fulgor» ، مقدمة لـ خماسي لامع ينهي الفصل ـ يغني الوصيف حول المباهج والمسرات المعدة للضيوف ؛ أديليا تتفجع لأنها غدت شريكة على الرغم منها في المؤامرة التي تستهدف الملك ، ريناتو وصامويل وتوماسو يبتهجون بانتظار إنجاز انتقامهم في قناع ودومينو(•)

• ـ الدومينو: برنس يُرتدى مع قناع نصفي في الكرنفالات (المترجم).

الفصل الخامس

حجرة الحاشية الخاصة في قصر الملك[٦]. ريكاردو جالس إلى مكتبه. تعزف الأوركسترا بنعومة لحن الآريا التي يغنيها في الفصل الأول، والتي يكشف فيها عن حبه لـ أديليا. وفي مقطع ريسيتاتيف يغني الملك أنه سوف يتخلى عن المرأة التي أحبها، وسيعيد ريناتو إلى إنكلترا، الأرض التي ولد فيها. وسترافقه أديليا. وهكذا، يتنهد ريكاردو، سيفصل المحيط بينه وبين عشيقته للأبد. وبثبات يوقع الوثيقة، ثم يتفجع لأنه قرر قسمته، ثم يغني الآريا « Ma se m' è forza perderti» يسلو فيها عن ألمه ويأسه. إن لديه إحساس داخلي بأن رحيل أديليا سوف لن يُذهب الحب فقط بل سيُذهب الحياة معه. عندئذٍ يتهيأ للذهاب إلى الحفلة الراقصة، تبهجه فكرة رؤية أديليا لبرهة قصيرة أخرى.

يدخل إدغاردو ويسلمه رسالة موجزة قائلاً بأنها رسالة سرية من امرأة غامضة مقنعة. تعلمه الرسالة أن شخصاً يخطط لقتله أثناء الحفلة. يتأمل ريكاردو برهة، ثم يعلن بحزم انه سيحضر الحفلة على الرغم من التهديدات، ثم يغادر بسرعة معبراً عن سعادته برؤية أديليا المرتقبة.

تنفرج الستارة لتكشف عن المشهد الأخير ـ صالة الحفلة الراقصة الكبرى. يغني المدعوون بفرح. يظهر صامويل وتوماسو وريناتو مع أتباعهم مرتدين بذات الدومينو الزرقاء المزينة بأوشحة حمراء.

يعبر ريناتو من خلال محادثته مع صامويل عن شكه في ظهور الملك، بينما يعبر صامويل عن غضبه من احتمال أن يكونا قد خدعا بشأن ضحيتهما. ينبه

● ـ في الأصل المشهد الثاني من الفصل الثالث. وأحياناً يقدم مشهد أول في الفصل الخامس، ويكون مكانه مقدمة خشبة المسرح قبل الستارة.

ريناتو إلى أنهم أصبحوا مراقبين، مشيراً إلى شخص إدغاردو المتنكر. يقترب ريناتو من الوصيف إدغاردو ويمازحه ثم ينزع كل واحد قناع الآخر. يشير ريناتو بمكر إلى أن إدغاردو كان قد إنسل ليتمتع بالرقص بينما الملك نائم. فيجيبه إدغاردو إن الملك موجود، ثم يطلب منه أن يحاول العثور على الملك بنفسه. يستعطفه ريناتو لكي يصف له على الأقل بزة الملك.

وفي آريا مفعمة بالحيوية «Saper vorreste» يسخر إدغاردو من استجواب ريناتو، ويغني انه على الرغم من معرفته مكان الملك فهو لن يخبره بذلك أبداً. أخيراً يلجأ ريناتو إلى المناورة ويقول لـ إدغاردو أنه قبل انقضاء الليلة يجب عليه أن يتحدث مع الملك في أمر مُلح، ويلمح إلى أن إدغاردو سيتحمل المسؤولية إذا لم يتم الاجتماع مع الملك.

وهكذا يكشف إدغاردو، بعد أن خُدع، عن الملك قائلاً أنه يرتدي الدومينو الأسود المزين بوردة حمراء. عند ذلك يقول ريناتو بأن لديه سؤالاً آخر، لكن إدغاردو يطالبه بالتوقف عن الكلام ويغادر. يهيمن ثانية على المشهد الراقصون والمشاركون في الحفل. فجأة يظهر الملك ويراقب الحشد بتأمل.

في تلك اللحظة تهرع أديليا، وقد ارتدت بزة بيضاء، إلى جانبه. وتطلب منه بإلحاح وبصوت مزيف أن يغادر المكان. فيسألها هل هي من كتب رسالة التحذير فتجيبه قائلة أنه في خطر مميت، ويتوجب عليه الفرار في الحال، يسألها ريكاردو عن هويتها ولم هي قلقة إلى هذا الحد. عند ذلك تتكلم أديليا، التي لم تعد تستطيع السيطرة على نفسها، بصوتها الطبيعي، في حين يهتف ريكاردو بحماسة قائلاً أن تنكرها أصبح عبثاً.

وبمصاحبة إيقاع المازوركا الرشيق يغني الاثنان ثنائي الوداع المتقد« T'amo, si t'amo, e in lagrime». ومرة ثانية تتوسل أدليا إلى ريكاردو أن يهرب قبل فوات الأوان. يتجاهل ريكاردو توسلاتها ويخبرها بأنه سوف يرسلها إلى إنكلترا مع زوجها، وعندئذٍ سيجاهر بحبها. ثم يغنيان بألم وداعهما الأخير.

في تلك اللحظة يندفع ريناتو نحو الملك ويصرخ «والآن هو ذا وداعي»، ثم يطلق نار مسدسه من مسافة قريبة، فيسقط ريكاردو(٧). وفي صيحات غضب يطبق الحشد على ريناتو. ينهض الملك الذي يحتضر ويأمرهم أن يُخلوا سبيل القاتل. وببطء يخرج من جيبه قرار تعيين ريناتو في منصب في انكلترا، ويسلمه إلى سكرتيره، ثم بهدوء يؤكد لـ ريناتو أن أدليا طاهرة الذيل. ويعلن الملك انه على الرغم من انه أحبها فهو لم يفعل شيئاً يلوث اسمها. ينتحب ريناتو وأدليا ندماً، ثم يشارك الآخرون في التعبير عن ألمهم من هذه النهاية المأسوية.

وفي الوقت الذي يدين فيه ريناتو نفسه بألم، يصفح الملك عن جميع المتآمرين. يستجمع ريكاردو قواه المهدودة ويهتف بعبارة وداع مدوية، ويسقط مفارقاً الحياة. وعندما يرتفع غناء الكورس إلى الذروة المفعمة بالقوة، تسدل الستارة ببطء.

• ـ في الأصل يطعن ريناتو الملك بسكين، لكن جرت العادة في العديد من العروض الاستعاضة عن السكين بـ مسدس.

البوهيمية
La Bohème

للمؤلف جياكومو بوتشيني G. Puccini 1858-1924

وضع نصها، المبني على رواية لـ هنري مورغر، جوسيبه جياكوزا ولويجي إليكا.

الشخصيات

مارشيلو، رسام	باريتون
رودولفو، شاعر	تينور
كولين، فيلسوف	باص
شونار، موسيقي	باريتون
بينوا، إقطاعي	باص
ميمي، خياطة	سوبرانو
بارپينول، بائع لعب	تينور
ميوزيتا، فتاة الحي اللاتيني	سوبرانو
ألشيندورو، معجب بـ ميوزيتا	باص
حارس في الجمارك	باص

مرتادو الحي اللاتيني، تجار، بائعات، طلاب، بائعو لعب، جنود، نُدُل

المكان   الحي اللاتيني

الزمان   نحو عام ١٨٣٠

التقديم الأول : تياترو ريجيو، تورين، ١ شباط عام ١٨٩٦

اللغة الأصلية   الإيطالية

حين ألف بوتشيني أوبرا البوهيمية كان معروفاً بوصفه مؤلف أوبرا مانون ليسكو التي حققت نجاحاً عظيماً. وقد أكسبته أوبرا البوهيمية، وهي الأوبرا الرابعة له، شهرة أوسع، وقد عده البعض خليفة فيردي.

و يقال إن شخصيات البوهيمية هي صور متقنة لفناني الحي اللاتيني ورواده الذين كانوا أصدقاء لـ هنري مورغر خلال أيام شبابه بصفته كاتباً مكافحاً.

الفصل الأول

ستديو في عِلِّيَّة بباريس. إلى اليمين نافذة عريضة تتيح رؤية الأسقف المغطاة بالثلج . إلى جوار النافذة موقد فارغ. في منتصف الغرفة طاولة وبعض الكراسي. إلى اليمين، سرير. ترفع الستارة حين تبدأ الموسيقا، و نرى مارشيلو واقفاً أمام حامل اللوحات، في حين يقف رودولفو ناظراً خارج النافذة. يشد كلا الرجلين معطفيهما حول جسديهما، وينفخان في أصابعهما، و يضربان الأرض بأقدامهما في محاولة للاحتفاظ بالدفء. تبدأ الموسيقا بلمعان و حيوية، و يظل هذا المزاج مهيمناً على معظم المشهد. بعد استهلال قصير يتوقف مارشيلو عن العمل على رائعته «المرور عبر البحر الأحمر» ليقول إن مياه البحر الأحمر الباردة تبدو وكأنها تجري خلف رقبته، ثم يضيف بغضب ساخر، إنه سيغرق الفرعون. يضرب بفرشاته عدة ضربات قوية ثم يتوجه نحو رودولفو.

يحدّق الشاعر إلى خارج النافذة، و يلاحظ أن جميع مداخن منازل الجيران ينبعث منها الدخان. بينما موقدهما يشبه وغداً خاملاً يحسب نفسه واحداً من الأرستقراطيين. يذكره مارشيلو قائلاً إن موقدهما افتقر إلى الوقود منذ زمن بعيد. حسنٌ، يتنهد رودولفو، الغابات قليلة الفائدة تحت الثلج. يقول مارشيلو إن الواقع الأكيد هو أنه بردان. يوافقه رودولفو. يتذمر ماشيلو قائلاً إن أصابعه متجمدة كما لو أنه يلامس القلب الحجري البارد، قلب ميوزيتا الغادرة. ثم يشرع الاثنان بالتفلسف حول الحب، مشبهانه بالأتون الذي يحترق فيه الرجل، بينما المرأة ـ التي تضرم النار أولاً ـ تراقب العملية.

يختم الاثنان حديثهما بالعودة إلى واقع أنهما يعانيان البرد الشديد والجوع. يندفع مارشيلو ويمسك بالكرسي بغية تكسيره وإشعاله. في تلك اللحظة يهبط الإلهام على رودولفو، فيلتقط من على الطاولة مخطوطاً سميكاً قائلاً إنه ألهمه فكرة لامعة. يقترح مارشيلو بحرارة حرق لوحته «البحر الأحمر»، لكن رودولفو يعترض قائلاً إنها ستنشر رائحة سيئة جداً، ويضيف إن مسرحيته الضخمة ستدفئهما جيداً، يهتف مارشيلو، متظاهراً بأنه مُرَوع، قائلاً إن قراءة المسرحية ستجعلهما أبرد.

يعلن رودولفو أنه سيحرق مسرحيته، وبذلك العمل يرسل روحها إلى حيث أتت. ثم يقوم الاثنان بحشو بعض من صفحات المخطوطة في الموقد ويضرمان بها النار ويتدفئان بلهيبها. وفجأة يندفع كولين إلى داخل الغرفة ويدمدم قائلاً بتذمر، بعد أن يلقي برزمة من الكتب على الطاولة، إن مكتب الرهن مغلق عشية الميلاد. وحين يعلن رودولفو أنه أحرق مسرحيته، يعلن قائلاً بسخرية إن المسرحية تتلألأ حقاً، في حين يطلق مارشيلو بعض الكلمات الخشنة حول

الاستراحات بين فصولها. وحين يقذف رودولفو الفصل الثاني من المسرحية إلى الموقد، يثني مارشيلو بصوت عالٍ على ما تضمنه من عواطف عميقة. يندب الشاعر التضحية بتصريحات الحب المتقدة التي تضمنها الفصل. يتنهد رودولفو بحزن ويقول: صوت طقطقة؟ إنه صوت طقطقة القبل التي تحترق، ثم يرمي الفصول الثلاثة المتبقية في الموقد. وحين لا يبقى في الموقد سوى التوهج، يهتف كولين ومارشيلو قائلين يسقط المؤلف.

وبدون سابق إنذار ينفتح الباب ويلج الغرفة ولدان يحملان حطباً وطعاماً ونبيذاً. يحدِّق رودولفو ومارشيلو وكولين فاغرين أفواههم، ثم يهجموا على الطعام معلنين أنهم الآن على استعداد للاستمتاع بعطلة العيد. يدخل شونار ويلقي بقطع من النقود على الأرض. يلتقط الثلاثة النقود ظانِّين أنها ميداليات. وحين يكتشف رودولفو أنها نقود حقيقية طُبع عليها صورة الملك لويس فيليب، يهلل الأربعة بتكلف للملك.

الآن يقص شونار قصة حصوله على هذه الثروة « Or vi dirò quest'oro»، لكنَّ الآخرين يتجاهلونه تماماً. يجلسون حول المائدة ينشرون الطعام ويُضرمون النار. لكن شونار يصر على سرد قصته ويقول إنه علم أن لورداً إنكليزياً كان يبحث عن مدرس موسيقا، وحين عرض خدماته قبله اللورد فوراً. وحين سأله شونار عن موعد بدء الدروس، أجاب اللورد قائلاً على الفور. ثم أمره، مشيراً إلى ببغاء في منزل الجيران، أن يعزف ويغني إلى أن يموت الطائر. وطوال ثلاثة أيام صوَت شونار وصرخ ولكن دون جدوى. وفجأة هبط عليه الإلهام. فبسحره الذي لا يقاوم كسب ثقة الخادمة الشابة.في هذا الوقت ثمة تفاعل مضحك لحوار موسيقي. يبحث رودولفو ومارشيلو وكولين، وهم مازالوا غافلين عن هذر شونار، عن غطاء طاولة. وأخيراً يقررون استخدام نسخة من

صحيفة الدستور، وبذلك يستطيعون هضم الطعام والأخبار في ذات الوقت. وبينما يهيئون الطاولة يستمر شونار في سرد قصته ويقول إنه أقنع الخادمة أن تحصل له على غصين بقدونس، وبذلك حقق مبتغاه، إذ إن تأثير البقدونس على الببغاء كان كتأثير نبات الشوكران(*) على سقراط.

هنا يدرك شونار أنه تحدث إلى نفسه لا إلى الآخرين، فيتعاظم سخطه ويبعث بهم إلى الشيطان. وحين يبدؤون بالتهام الطعام، يقترب بسرعة من الطاولة ويأخذ ما تبقى من طعام معلناً أنه سيدخره إلى الغد المظلم.

تمتلئ الشوارع الآن بالروائح العطرة، وبإغواء الفتيات الفاتنات. وبمرح كبير يملأ الصحاب أقداح النبيذ. وفي تلك اللحظة يُطرق الباب، إنه المالك بينوا. وبعد مداولة مثيرة يدعه شونار يدخل. يتجاهل الأربعة مطالبته بالإيجار ويحيونه بإسراف. وفي الحال يقدم له رودولفو كأساً من النبيذ. وحين يقول إنه قدم من أجل الإيجار، يرفع المضيفون كؤوسهم ليشربوا نخبه. وبتروٍّ يشير مارشيلو إلى النقود الملقاة على الطاولة، ويقترح عليه أن يسترخي ويمتع نفسه. ثم يجرّونه، وقد حرصوا على أن تظل كأسه مترعة، إلى الحديث حول عمره، وعن ذوقه الرفيع في اختيار السيدات الجميلات. يتفاخر بينوا، وقد استمرأ الإطراء، قائلاً إنه على الرغم من أنه كان جباناً حين كان ولداً، فهو في أحسن حالاته الآن وهو مسن. ثم يعترف قائلاً إنه لا يفضل البدينات جداً ولا النحيفات جداً، لأن النحيفات خبيثات وسيئات المزاج، وأنهن يذكرنه بزوجته.

يتظاهر الأربعة بالغضب من سوء سلوكه المخزي بخيانته زوجته المسكينة. ثم يعلنون قائلين إنه يتوجب عليهم تهوية الغرفة خشية أن تبقى رائحة الفساد

---

* ـ الشوكران / نبات سام أُجبر سقراط على تجرع شراب مُستخرج منه.

معشّشة فيها. ثم يدفعونه إلى خارج الغرفة. عندئذٍ يذكرهم شونار بأن العربدة تنتظرهم في الخارج، ويبدؤون بتقسيم المال بينهم. يستعد مارشيلو وكولين وشونار للخروج، بينما يبقى رودولفو ليكمل مقالة سيرسلها إلى مجلة «القندس».

يغلق رودولفو الباب، ويضع شمعة على الطاولة، ويبدأ الكتابة. وبعد عدة أسطر يمزق بنفاد صبر الورقة ويرميها على الأرض. ثمة نقرة خفيفة على الباب، وبينما ينهض رودولفو لفتح الباب، تُسمع ثيمة «ميمي» الحنونة. يفتح رودولفو الباب فيجد ميمي واقفة أمام باب غرفتها وفي يدها شمعة مطفأة ومفتاح. يدعوها للدخول، وبعد تردد تدخل الغرفة. وحين يراها تعاني سعالاً مؤلماً، يسألها عمَّا إذا كانت مريضة، وما هو سبب شحوبها؟ تقول ميمي لاهثة إن صعود الدرج أنهكها، ثم تخور قواها، فيأخذها بين ذراعيه ويجلسها برقة على مقعد، ويرش الماء على وجهها، ويستفسر ثانية عن سبب شحوبها. وببطء تنتعش من جديد. يقدم إليها كأساً من النبيذ، وتطلب منه وهي تنهض، أن يشعل لها شمعتها. وبعد أن يشعلها لها يودع احدهما الآخر.

وحين تهم ميمي بالذهاب إلى غرفتها تكتشف أنها أسقطت المفتاح في مكان ما. تتساءل ميمي قائلة ترى أين ستجده. يركع الاثنان على الأرض بحثاً عن المفتاح. فجأة يعثر رودولفو على المفتاح، لكنه يكتم الأمر ويدسه في جيبه. يقترب من ميمي متظاهراً بأنه مازال يبحث. وفي اللحظة التالية تتلامس أيديهما. تهتف ميمي بنعومة. يشبك رودولفو يده بيدها ثم يبدأ بغناء آريته الرائعة « Che gelida manina». يقول مغنياً إن يدها باردة، ويطلب منها أن تبقيها في يده لتعود الحرارة إليها. ليس ثمة حاجة للبحث أكثر في الظلام، فعما قريب سيغمر ضوء القمر الغرفة ليساعدهما في إيجاد المفتاح. وأثناء ذلك سيعرفّها بنفسه. تغوص ميمي في المقعد، بينما يتابع رودولفو الغناء قائلاً إنه شاعر يكسب عيشه من

الكتابة، إنه ليس ثرياً، لكن جمال النساء ينقله إلى عالم الخيال الجامح الذي يجد نفسه فيه ثرياً وراء أحلام الجشع.

يخبرها رودولفو قائلاً، بعاطفة متقدة، إن عينيها سرقت كل الجواهر النفيسة من مخيلته ومن أحلامه الأكثر ألقاً. لكنه لم يفقد شيئاً لأنه وجد الآن الحب. ثم يطلب منها بهدوء أن تروي قصتها. تبدأ بالقول إنها تدعى ميمي «Mi chiamano Mimi»، مع أن اسمها هو لوشيا. إن قصتها قصيرة: إنها تطرِّز لتكسب عيشها. وإن الورود و الزنابق التي تضعها على القماش هي رموز للحب ولفصل الربيع ــ إنها مواضيع للأحلام والأشعار. ثم تتابع بتأمل؛ لا أعرف لم يدعونني ميمي. ثم تضيف قائلة: إنها تأكل وجباتها الهزيلة وحدها و نادراً ما تذهب إلى الكنيسة، لكنها تصلي دائماً. إنها تقضي معظم وقتها في عِلِّيتها. لكن حين يحل الربيع تغني بنشوة، وعندئذٍ تغدو حياتها وقد غمرتها الشمس المشرقة وأريج الأزهار. إن ورودها المسكينة تفتقر إلى الشذا العطر. وتختم حديثها قائلة ببساطة؛ لم يعد ثمة ما أخبرك به. أما من ناحية أخرى فلست سوى جارة مزعجة.

تفسد الجو الحنون للمشهد صيحات أصحاب رودولفو وهم يحثونه على الانضمام إليهم. يطلُّ عليهم من النافذة ويخبرهم بأن ثمة ثلاثة أسطر ينبغي عليه كتابتها. ثم يقول لميمي إنهم أصدقاؤه ينتظرونه في الأسفل. ثم يعلمهم أنه برفقة شخص، ويطلب منهم حجز مكانين في مقهى مومس.

يقف رودولفو وميمي أمام النافذة يغمرهما ضوء القمر، وفي ثنائي غنائي طرب يعلنان حبهما. ثم يقبِّلان بعضهما. تحرر ميمي نفسها مذكرة إياه بأصدقائه الذين ينتظرونه، ثم تسأله إن كان باستطاعتها مرافقته. يقترح رودولفو أن يبقيا في

الغرفة، فتهتف ميمي بحرارة قائلة إنها سوف تبقى معه دائماً. وببطء يغادران الغرفة وهما يغنيان حبهما بنشوة. وببطء تسدل الستارة.

الفصل الثاني

ساحة محاطة بالمحلات التجارية. في إحدى الزوايا مقهى موموس. إنها عشية الميلاد، والساحة مزدحمة بالناس. رودولفو وميمي يتمشيان. كولين يتحدث إلى الرّفّاء؛ شونار يساوم أحد الباعة على بوق؛ ووسط الحشد يغازل مارشيلو بعض الفتيات الجميلات. باعة وطلاب وبعض سكان المدينة يغنون، ويدعون الجميع إلى الشراء «Aranci datteri!». يتذمر شونار من صوت البوق، وميمي تود شراء قبعة. يعبِّر كولين عن رضاه بمعطفه المرفوء حديثاً. يدعو مارشيلو كل فتاة لممارسة الحب.

يتفق الأصدقاء على أن يلتفوا أمام مقهى موموس. يصل شونار أولاً ثم ينضم إليه كولين. ثم يصل رودولفو برفقة ميمي الفرحة بقبعتها الجديدة. وحين لا يجد الأصدقاء الثلاثة مكاناً للجلوس على رصيف المقهى يدخلون إلى داخله، في حين يتابع رودولفو وميمي التطلع إلى واجهات المخازن. تُعجب ميمي بعقد معروض للبيع، فيخبرها رودولفو قائلاً إن لديه عمة غنية، وإن رغب الرب في وضع حد لحياتها فسوف يتمكن من شراء عقد أجمل منه.

تدريجياً ينسحب الحشد من الساحة. يبرز من المقهى مارشيلو وشونار وكولين وهم يحملون طاولة، يضعونها ويجلسون حولها. يقترب رودولفو وميمي وهما يتناقشان حول الغيرة. تحلق عبارات الآريا، التي يغنيها رودولفو في الفصل الأول، خلال الموسيقا حين يتحدث عن حبه لـ ميمي. يأتي من بعيد صوت بائع اللعب بارپينول.

يقدم رودولفو ميمي إلى أصحابه، ويخبرهم باسمها، ثم يقول إنها الملهمة التي تلهمه أسمى مشاعر الحب. تثير خاتمة الخطبة هذه المفعمة بالعاطفة ضحكات أصحابه الساخرة، لكنهم يحيّون ميمي بتودد بالغ. يتبع ذلك فاصل موسيقي حيوي حين يظهر بارينول بعربته محاطاً بضجة الحشد من الأمهات والأطفال. يطلب الأولاد من أمهاتهم أن يشترين لهم الألعاب. يتوارى بارينول عن الأنظار مع زُبُنه. يسأل مارشيلو ميمي إن كانت قد تلقت هدية من رودولفو، فتعرض بفخر قبعتها الجديد. تقول ميمي إن الرجل الذي يستطيع قراءة قلب امرأة هو بكل تأكيد شخص متفوق. يوافقها شونار على ذلك بتهكم. ويعلن كولين قائلاً إن رودولفو كان وما يزال شاعر الحب المكلل بالغار. ويعلن شونار قائلاً إن كل ما قيل من ثرثرات يبدو مقنعاً. يضيف مارشيلو قائلاً إن كل ما تحتاجينه هو أن تصدقي، وأن أكثر الأحلام روعة ستتحقق.

يقول رودولفو إن الحب هو أسمى إلهام بالنسبة للشاعر. وتعلق ميمي قائلة إن الحب يمكن أن يكون عسلاً أو خلاً ـ إن الأمر يتعلق بالذوق الشخصي. وفي غم فاتن تعلن أنها قد آذت مشاعر رودولفو. يعكر الصحاب مزاج رودولفو العاطفي حين يقترحون نخباً. ويضيف مارشيلو قائلاً، وهو يفكر بـ ميوزيتا، ليكن الشراب سماً.

في اللحظة التالية تندفع ميوزيتا بخفة يتبعها ألشيندورو، وهو المعجب العجوز الثري. يهتف الجالسون حول الطاولة إعجاباً بجمالها. إنه يجري وراءها كالخادم. تأمره ميوزيتا بحجز طاولة قرب الأصحاب، ثم تجلس مقابلهم.يبدي كولين ملاحظات ساخرة حول ألشيندورو، في حين يدمدم مارشيلو ساخراً من العجوز الأخرق. وحين تستعلم عنها ميمي، يشرع مارشيلو في الشجب المرير. يتبع ذلك ثنائي غنائي قصير يجمع ميوزيتا ومارشيلو«Marcello mi vide».

تعبر ميوزيتا عن غضبها لأن عشيقها السابق ورفاقه عاملوها بازدراء. ويصفها مارشيلو لـ ميمي بقوله إنها متقلّبة المزاج وإنها طائر جارح نهم يقتات بالقلوب البشرية، ولهذا لم يعد له قلب الآن.

وبغضب تهتف ميوزيتا طالبة النادل، ثم توبخه لتأخره في إحضار الطعام، وتقذف بصحنها على الأرض. ويزداد غضبها حين يحاول ألشيندورو تهدئتها، ويتشاجر الاثنان بقسوة. وفجأة يتوقف الشجار، وتبدأ ميوزيتا، وهي ترمق مارشيلو بعينيها، آريتها اللامعة «Qundo me'n vo'soletta» التي تصف فيها جمالها الذي يُدهش كل من تمر بقربه. وبصعوبة يستطيع مارشيلو السيطرة على نفسه حين تغني قائلة إن نظرات الرجال الغيورة تثبت أنها امتلكت قلوبهم. يلومها ألشيندورو بضعف. تُذكّر ميوزيتا مارشيلو بأنه أضاع ذات مرة قلبه من اجلها. أما الآن فإن الموت أسهل عليه من أن يعترف بأنها آلمته.

تعلن ميمي قائلة الآن أصبح واضحاً أن هذين الاثنين عاشقان. ويقول رودولفو إن ميوزيتا رفضت مارشيلو من أجل عاشق آخر. يسخر شونار وكولين من هذا الموقف. يهم مارشيلو بالمغادرة، لكنه يتوقف حين تهتف ميوزيتا قائلة إنها هزمته. تمتزج أصوات الآخرين بصوتها في خماسي غنائي شجي، تسخر ميوزيتا من مارشيلو وتوبخ ألشيندورو. وفجأة تصرخ قائلة إن حذاءها يسبب لها ألماً غير محتمل، وتطلب من ألشيندورو أن يخلعه من رجلها ويشتري لها حالاً زوجين جديدين من الأحذية. وحين يغادر ألشيندورو، يدرك مارشيلو الغرض من خدعة ميوزيتا ويغني لها بسرور بالغ. يندفع الاثنان ويضمان بعضهما. وفي اللحظة التالية يظهر النادل وبيده الفاتورة. يتبادل الصحاب النظرات بغم ساخر، قائلين إنه ليس لديهم المال. تحل ميوزيتا المشكلة بقولها للنادل إن مرافقها سيدفع المبلغ كاملاً حين عودته.

يأتي من بعيد صوت طبل، ويجتمع الحشد في الساحة. وبعد لحظة يدخل رجال الدورية على إيقاع طبل عملاق. يهلل الحشد لهم في كورس مؤثر وهم ينسحبون من الساحة. تحاول ميوزيتا القفز على قدم واحدة بسبب افتقارها للحذاء، لكن مارشيلو وكولين يحملانها على كتفيهما. يتبعهم ميمي ورودولفو، ويسير خلفهما شونار وهو يزمر بمزماره. وحين تخلو الساحة، يندفع ألشيندورو إلى الداخل وهو يتأبط زوجين من الأحذية. وبصمت يناوله النادل الفاتورة. ينظر إليها ألشيندورو، يتأوه، ثم ينهار على الكرسي. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث

فضاء مكشوف أمام واحدة من بوابات باريس. إلى اليسار ثمة حانة عُلقت فوق بابها لوحة مارشيلو الرائعة «البحر الأحمر». ثمة استهلال قصير يعكس جو فجر باريس الشتائي الكئيب. مجموعة من الكناسين يطلبون الإذن للدخول. أخيراً يدعهم الحارس النعسان يدخلون. تأتي من داخل الحانة أصوات المعربدين وهم يغنون أغنية الشراب «Chi nel ber trovò il Piacer». يُسمع صوت ميوزيتا. سائقو عربات وقرويات يحملن منتوجاتهن. يتردد في الأوركسترا صدى ثيمة من آريا ميمي، التي نسمعها في الفصل الأول، حين تظهر ميمي نفسها. تتوقف للحظة وينتابها السعال، ثم تسأل احد الحراس إن كان ثمة نُزل في الجوار يقيم فيه فنان. يشير الحارس إلى الحانة. في تلك اللحظة تخرج امرأة، فتطلب منها ميمي أن تبحث لها عن فنان يدعى مارشيلو وتخبره أن ميمي ترغب في رؤيته. تستجيب المرأة لطلبها. يظهر مارشيلو، فتحييه ميمي بحرارة. يخبرها أنه يقيم في الحانة مع ميوزيتا، ولكي يدفعا أجرة إقامتهما تعطي ميمي دروساً في الغناء وهو يرسم لافتات للحانة بدل اللوحات الفنية.

يدعو مارشيلو ميمي إلى الدخول، وحين تعلم أن رودولفو هناك تتردد في الدخول. وفي يأس ترجو مارشيلو أن يساعدها «Oh, buon Marcello, aiuto» قائلة إن رودولفو، على الرغم من أنه يعبدها، يرفض الرجوع إليها. وتتابع قائلة بمرارة إن غيرته الشديدة جعلت حياتهما لا تطاق. يعلن مارشيلو قائلاً إن من الحكمة، على ضوء الظروف، أن ينفصلا. توافقه ميمي بحزن وتستعطفه ليعمل على لمّ شملهما. يقول مارشيلو إنه ذاهب لإيقاظ رودولفو الذي ينام على المقعد، ويشير إليه من خلال النافذة. تنتابها نوبة من السعال، فيعبّر مارشيلو عن قلقه إزاء سعالها الدائم. في تلك اللحظة يصحو رودولفو، فينصحها مارشيلو أن تختبئ. يخرج رودولفو من الحانة ويعلن باضطراب أنه ينبغي عليه الانفصال عن ميمي. يسأله مارشيلو عمّا إذا كانت هذه نزوته الأخيرة. يجيب رودولفو على نحو دراماتيكي قائلاً إن حماسته تجاه ميمي قد تضاءلت «Già un'altra volta creditti»، لكن نظرة واحدة إلى عينيها تؤجج من جديد ولعله بها. يعلق مارشيلو قائلاً حين يجلب الحب الدموع لا يستحق التمسك به ـ ينبغي أن يجلب الحب الضحك. ثم يذكّر رودولفو قائلاً إنه غيور بصورة غير معقولة وحاد الطبع وعنيد.

وعلى انفراد تتأمل ميمي ثورة رودولفو الغاضبة. فالشاعر يحتج قائلاً إن ميمي امرأة مغناج عديمة الإحساس تحاول ان تبرز مفاتنها أمام أي رجل تراه. فيقول مارشيلو بحدة إنه لا يصدق. يتراجع رودولفو عن أقواله المرة، ويعلن بعبارات مؤثرة أنه على الرغم من عذاباته فإن ميمي هي أعز مخلوق لديه. ويضيف، لكن ثمة أمراً أكثر جدية وهو أن ميمي مريضة جداً ويخشى عليها من الموت.

حين تقترب ميمي يحاول مارشيلو مراوغة رودولفو لكي لا يحسب أن ميمي تسترق السمع. فيعترف رودولفو قائلاً إنه في الوقت الذي كان السعال يدمرها

ببطء كانت تشاركه غرفته الفقيرة والباردة والكئيبة. وهي ما زالت تحتمل كل شيء دون تذمر. ويصرخ قائلاً إن العوز دمر هذه الوردة الرقيقة، والآن لا يستطيع حتى حبه أن ينقذها. يحاول مارشيلو تهدئته. تبكي ميمي وقد سمعت كل شيء وتقول إن قدرها قد تقرر.

تظهر ميمي وهي تنشج وتهتز من سعالها، فيأخذها رودولفو بين ذراعيه. ويأسف مارشيلو لسماعها كلمات رودولفو المشؤومة. يدعو رودولفو ميمي للدخول إلى الحانة فترفض. وفجأة تُسمع ضحكة ميوزيتا المجلجلة. يثور غضب مارشيلو ويندفع إلى داخل الحانة.

تطلب ميمي من رودولفو أن ينفصلا، إذ ينبغي عليها العودة إلى عِلّيتها التي تركتها بسببه. والآن فإن الحب والحياة قد شارفا على النهاية. وتطلب منه أن يلف ممتلكاتها ـ السوار الذهبي، وكتاب الصلوات ـ ويضعهما جانباً من أجلها، لكنها تخبره قائلة إنه يمكنه أن يحتفظ بكنزها للذكرى. ثم ينضم الاثنان في ثنائي غنائي مؤثر «Addio, o dolce svegliare» يعبر عن ألم الحب اليائس والفراق المحتوم.

يخرج مارشيلو وميوزيتا من الحانة وهما يتشاجران. يتبع ذلك رباعي غنائي؛ ميمي ورودولفو يعلنان حبهما ويتعهدان الانتظار حتى مجيء ربيع قادم قبل أن يفترقا؛ ميوزيتا ومارشيلو يلومان بعضهما بقسوة. إثر ذلك يصرخ مارشيلو في وجه ميوزيتا قائلاً وداعاً، ويعود إلى الحانة. وتُنزل ميوزيتا لعنتها الأخيرة عليه وتبتعد مسرعة. رودولفو وميمي يتمشيان ببطء. ومن بعيد يأتي صوت نهاية غنائهما الجذل. وتسدل الستارة.

الفصل الرابع

ستديو في علية، كما في الفصل الأول. حين ترفع الستارة نرى مارشيلو واقفاً أمام حامل اللوحات، ورودولفو جالساً إلى الطاولة. الاثنان يبذلان الجهد ليبدوا مستغرقَيْنِ في عملهما. في الواقع، تتجه أفكارهما نحو ميمي وميوزيتا. يقول رودولفو إنه شاهد ميوزيتا راكبة في عربة فخمة. وحين سألها عن حالة قلبها أجابته قائلة إن المخمل الذي ترتديه يمنعها من سماع دقاته. يقول مارشيلو من خلال ضحكة مفتعلة إنه سعيد جداً لسماعه ذلك. وعلى انفراد يتمتم رودولفو قائلاً إن مارشيلو دجال ـ إنه في الحقيقة متألم. وبنزق يقول مارشيلو إن كان قلبها لا يخفق فذلك حسن وجيد، ويتابع الرسم بانفعال. وبعد لحظة يعكس الوضع مشيراً إلى أنه رأى ميمي راكبة عربة وتبدو كملكة. يصرخ رودولفو قائلاً إنه سعيد جداً، فيصفه مارشيلو بالمتيَّم الكذاب.

وبعد محاولتهما اليائسة متابعة عملهما، يتوقف الاثنان عن العمل بقرف ويحدقان في الفراغ. يدير مارشيلو ظهره لـ رودولفو ويخرج من جيبه وردة صغيرة ويضعها بين شفتيه. إثر ذلك يغني الاثنان ثنائياً شجياً « Ah, mimi, tu più non torni». يأسف رودولفو لخيانة ميمي ويتذكر سعادته معها التي فقدها. ويغني مارشيلو قائلاً إن فرشاته تأبى رسم أي شيء عدا عينيها وفمها الباسم. يلتقط رودولفو قبعة ميمي من على الطاولة ويضمها إلى صدره. وفي أغنية تجيش بالعاطفة يعبر الاثنان عن قلبيهما المنسحقين.

فجأة يدخل شونار وكولين، شونار يحمل أربعة أرغفة، بينما يحمل كولين شريحة من سمك الرنكة. يضعان الطعام فوق الطاولة، ويجلس الأربعة حولها بتكلف وكأنهم يحضرون وليمة رسمية. يضع شونار إناء الماء في قبعة كولين

المقلوبة معلناً أنه يضع الشمبانيا في وعاء الثلج. يقدم رودولفو لـ «البارون» مارشيلو رغيفاً من الخبز ويسأله إن كان يفضل سمك السلمون أو الفلاوندر. وينصح الـ «الدوق» شونار بصحن من لحم الطير اللذيذ، ويقدم له رغيفاً آخر. يقول شونار يفضل ألا يأكل لأنه سيرقص الباليه هذا المساء. ثم يسكبون الماء وكأنه نبيذ نادر.

ينهض كولين بتباه ويخبرهم بأنه سيقابل الملك. يتظاهر الآخرون بالاهتمام الشديد، لكن كولين يرفض الكشف عن طبيعة عمله في القصر. ينهض شونار ويرفع كأس الماء مقترحاً نخباً. يقول إنه يشعر بقدوم الإلهام الشعري، لكن الأصحاب يرغمونه على الجلوس. وحين يبلغ المرح الذروة تظهر ميوزيتا فجأة والقلق بادٍ على وجهها، وتقول إنها أحضرت ميمي التي صعدت الدرج بشق الأنفس. يهبُّ رودولفو ومارشيلو ويساعدان ميمي على دخول الغرفة ويضعانها في السرير. تتوسل ميمي إلى رودولفو ليسمح لها بالبقاء، فيؤكد لها أن بإمكانها البقاء إلى الأبد. تخبر ميوزيتا الآخرين قائلة إن ميمي تخلت عن صديقها الثري، وقد وجدتها أقرب إلى الموت من الحياة، وطلبت منها أن تأخذها لـ رودولفو.

تأتي من الأوركسترا عبارات من آريا ميمي التي غنتها في الفصل الأول وهي تعني سعادتها بالعودة إلى رودولفو. ويغني رودولفو سعادته بعودتها. يفصح الآخرون عن عدم وجود طعام ودواء من أجل الفتاة المريضة. ويهمس شونار، وهو يتطلع إلى وجه ميمي، إن النهاية قريبة. ومن خلال السعال تتمتم ميمي قائلة إن يديها باردتان وإنها تفتقر إلى القفازات الصوفية. يقول رودولفو إنه سوف يدفئ يديها بيديه. تقول ميمي بحزن إنها اعتادت على سعالها ثم تحيي الآخرين. فيحثونها على ألا تتكلم. وبلطف تخبر مارشيلو قائلة إن عليه أن يؤمن بطيبة ميوزيتا. وجواباً على ذلك يمسك مارشيلو يد ميوزيتا.

تقود ميوزيتا مارشيلو إلى أحد الجوانب وتخلع قرطيها و تعطيه إياهما لكي يبيعهما و يشتري بثمنهما دواءً ويحضر طبيباً. يجلس رودولفو جانباً، تتوسل إليه ميمي لكي لا يتركها، ثم تغمض عينيها. تهمس ميوزيتا لـ مارشيلو قائلة إن طلبات ميمي المسكينة ستكون على الأرجح الأخيرة، ثم تنصرف برفقة مارشيلو لجلب قفازات ميمي. أثناء ذلك يخلع كولين معطفه الأثير لديه ويغني مودعاً ذلك المعطف «Vecchia zimarra, senti». يتأبط المعطف ويشرع بالمغادرة. لكنه يتوقف ويخبر شونار قائلاً: على الرغم من أنهما تصادما حول أفكارهما فإنهما يستطيعان في هذه اللحظة أن يتّفقا على فعلين: على بيع المعطف وعلى ترك العاشقين وحدهما. يوافقه شونار بتأثر عميق، ثم يغادران. وحين خروجهما تخبر ميمي رودولفو قائلة «Sono andati?» إنها تظاهرت بالنوم لأنها تريد الإنفراد به، وتضيف، إن ثمة العديد من الأشياء يجدر الحديث عنها: إنه معبودها، حياتها الحقيقية، و تسأله هل مازالت جميلة في نظره؟ يجيبها قائلاً إنها جميلة كالفجر. تقول ميمي إن التشبيه خطأ ـ يجب تشبيبها بغروب الشمس. ثم تغني وكأنها في حلم عبارة مؤثرة من آريتها التي غنتها في الفصل الأول ـ إنهم يدعونها ميمي، لكنها لا تعرف لماذا!

يغني رودولفو عبارة أخرى من أغنيتها، ثم يحضر لها قبعتها الصغيرة، فتهتف فرحة و هي تضعها على رأسها. و على أنغام ثيمات من الفصل الأول ـ موسيقا الحب، يسترجعان أحداث ماضيهما السعيد ـ كيف وقعا في الحب، كيف بحثا عن المفتاح في ظلام تلك الليلة، و تذكّره بالخطة التي ابتدعها حين وجد المفتاح ودسه في جيبه. فيقول رودولفو إن القدر دفعه لذلك، وتغني ميمي بنعومة العبارات الافتتاحية من أغنية رودولفو التي غناها حين أمسك بيدها في الظلام. وفجأة تجتاحها نوبة من السعال. و حين يصرخ رودولفو، يهرع شونار ويقف إلى

جانب السرير. وحين تهدأ تطمئنهما. يعود مارشيلو وميوزيتا و هما يحملان قفازات ميمي وزجاجة دواء. و يخبر مارشيلو رودولفو قائلاً إن الطبيب في طريقه إليها. تهتف ميمي في فرح طفولي قائلة إن يديها سوف تنعمان بالدفء. تتنهد قائلة إنها سوف تنام الآن.

يبتعد رودولفو عن السرير ويهمس لأصحابه. تصلي ميوزيتا من أجل ميمي، ثم تطلب من مارشيلو أن يحجب ضوء الصباح عن عيني ميمي. وفي اللحظة التالية يهمس شونار، وهو يمشي على رؤوس أصابعه، قائلاً إن ميمي ميتة. يلتفت رودولفو، الذي يحاول حجب أشعة الشمس الأولى عن عيني ميمي فيرى الرعب و اليأس في وجوه أصدقائه. و في صوت ملؤه الرعب يسألهم عما حصل. وحين يحثه مارشيلو على التحلي بالشجاعة يدرك المصاب الرهيب. يهرع نحو السرير و يضم ميمي الميتة بين ذراعيه. وبألم مبرح يهتف باسمها. ترعد أكوردات مفعمة بالقوة في الأوركسترا، و تحوم عبارة ميمي التي غنتها لـ رودولفو حين كانت تتظاهر بالنوم. وتسدل الستارة.

بوريس غودونوف

Boris Godunov

للمؤلف موديست موسورسكي M. Mussorgsky 1839-1881، وضع نصها، المأخوذ عن دراما «بوريس غودونوف» لـ بوشكين، المؤلف نفسه.

الشخصيات

ضابط شرطة	باص
ميتيوخا ، فلاح روسي	باص
الأمير شويسكي ، مستشار بوريس غودونوف	تينور
أندريه شيلكالوف ، سكرتير مجلس الدوما	باريتون
بيمن ، راهب ومؤرخ	باص
غريغوري ، راهب مبتدئ (بعد ذلك المدعي ديمتري)	تينور
بوريس غودونو	باص
مضيفة في حانة	ميتسو ـ سوبرانو
فاسيل وفارلام	تينور وباص
كسينيا ، ابنة بوريس	سوبرانو
فيودور ، ابن بوريس	ميتسو ـ سوبرانو
مربية كسينيا	كونترالتو

مارينا منيشك، ابنة إقطاعي بولوني	ميتسو ـ سوبرانو
رانغوني، كاهن جزويتي	باص
كراشكوف، بويار	باص
المعتوه	تينور
لافيتسكي } كاهنان جزويتيان	تينور
شيرنوكوفسكي	باريتون

روسيون من الشعب، جنود، حراس، بويار، حجاج، أطفال، سيدات وسادة البلاط البولوني

المكان: روسيا وبولونيا

الزمن ١٥٩٨ ـ ١٦٠٥

التقديم الأول : مسرح مارينسكي في بطرسبورغ في ٢٤ كانون الأول عام ١٨٧٤

اللغة الأصلية: الروسية

تدور أوبرا بوريس غودونوف أساساً حول الشعب الروسي. وعلى الرغم من أن محاور العمل تدور حول شخصيات محددة، إلا أن روح الشعب المكافح هي التي تهيمن على خشبة المسرح. وقد انعكست هذه الروح درامياً في مواكب الأوبرا اللامعة وفي الجوقات الرائعة. ثمة في الأوبرا بعض الآريات بالشكل التقليدي الأوبرالي. ويتطور العمل من خلال الريسيتاتيف والحوار الموسيقي تدعمهما مرافقة أوركسترالية معقدة.

الأوبرا مبنية على حدث حقيقي جرى في التاريخ الروسي. فقد كان بوريس غودونوف وزيراً في بلاط القيصر فيودور، ابن إيفان الرهيب. وطبقاً لحبكة موسورسكي، يدبر بوريس جريمة اغتيال ديمتري، الأخ الأصغر لـ فيودور

ووريث العرش، وحين يموت فيودور يجبر بوريس الناس على المطالبة بتنصيبه قيصراً، ثم يعتلي العرش زاعماً أنه يستجيب لإرادة الشعب الروسي.

في تلك الأثناء يفر شاب روسي طموح يدعى غريغوري إلى بولونيا ويعلن أنه ديمتري ابن القيصر إيفان الرهيب، ويتزعم حركة ثورية تسرِّع في سقوط بوريس وموته. ومن الهام ملاحظة أن المؤرخين لم يحمِّلوا بوريس مسؤولية موت الغلام ديمتري.

تُقدم الأوبرا عادة من المدونة الموسيقية التي كان أعدها ريمسكي ـ كورساكوف، والتي عدلها عام ١٨٩٦، وعدلها ثانية عام ١٩٠٨. وقد نُشرت مدونة الأوبرا التي وضعها موسورسكي في العهد السوفييتي عام ١٩٢٨.

الفصل الأول

المشهد الأول: فِناء أمام دير نوفوديفتشكي قرب موسكو. في هذا الوقت يكون بوريس قد انسحب من الدولة إثر موت القيصر فيودور. حشود من الناس تتحرك في الفِناء مذعنة لأوامر ضابط شرطة فظ. يسمع ميتيوخا وسط الحشد وهو يحاول تفسير السبب الذي من أجله أُجبروا على الاستغاثة بـ بوريس. يقول ميتيوخا إن الشعب الروسي بلا قائد، وأن بوريس وحده يستطيع حماية روسيا من الدمار. يعبر البويار* الفِناء، يتقدمهم الأمير شويسكي، ويدخلون الدير. تركع الحشود، مهدَّدةً بهراوة رجل الشرطة، في حالة توسل.

يخرج شيلكالوف من الدير ويُعلم الحشد رفض بوريس للعرش، ثم يضيف قائلاً روسيا هالكة، ويتلو صلاة يتوسل فيها إلى السماء لكي تنير روح بوريس. يُسمع من خلف المشهد إنشاد الحجاج القادمون إلى الدير. يدخلون في موكب

---

* البويار : أفراد من طبقة النبلاء.

بطيء وهم يحضُّون الحشود على أن ينادوا بـ بوريس قائداً لهم، ويقدمون التذكارات المقدسة. وحين يختفون، يأمر الشرطي الناس بخشونة أن يعيدوا تجميع أنفسهم في ساحة الكريملين في تظاهرات أخرى. يتحرك الحشد، بينما تسدل الستارة.

المشهد الثاني: صومعة الراهب بيمن في دير تشودوف. بيمن جالس إلى الطاولة يكتب، بينما ينام على سرير صغير بجانبه الراهب المبتدئ غريغوري. يسرد الراهب بيمن قائلاً إنه عما قريب سينهي تسجيل تاريخ روسيا. تبدو المرافقة الخفيفة وكأنها تتابع حركة ريشته وهو يكتب، من الخلف تُسمع أصوات الرهبان الناعمة وهم ينشدون.

فجأة يستيقظ غريغوري. ينهض ويقول «دائماً ذلك الحلم»، ثم يردف إنَّ كابوساً يلازمه باستمرار. يحدِّق إلى بيمن ويقص عليه حلمه ـ كيف تسلَّق سلماً إلى برج عالٍ ونظر إلى الأسفل وأومأ إلى حشد كبير. وقد لعنه الشعب وسخر منه، ثم تهاوى رعباً. واستيقظ إثر ذلك الرعب.

يخبره بيمن بأن حلمه ما هو إلا تعبير عن فورة الشباب، ثم يهدئه ناصحاً إياه بالصلاة والتأمل. لكن غريغوري يجيب قائلاً إن حياة الرهبنة تغيظه، وإنه يحنُّ إلى الفرار إلى العالم في الخارج ـ ليتذوق رعشة المعارك ومباهج الأعياد. يجيبه الراهب قائلاً إن العالم يهب الأفراح الضحلة والخادعة فقط، التي لا تقارن بهدوء الصومعة المقدس. وبعد تفكير عميق يتذكر بيمن أيام القيصر إيفان الرهيب وابنه فيودور ـ كيف عاشا وحكما بسلام. لكن روسيا الآن تئن تحت كعب قاتل لا يرحم.

يقول غريغوري، وقد فتنته كلمات بيمن، إنه علم أن الراهب شهد جريمة قتل ديمتري ابن القيصر. إثر ذلك يصف بيمن كيف ذبح المتآمرون الثلاثة الصبي بتحريض من بوريس. يسأله غريغوري كم كان عمر الصبي حين وقوع الجريمة، يتأمل الراهب

قليلاً ثم يجيب قائلاً إنه لو قُيِّض للصبي أن يعيش حتى اليوم لكان عمره يقارب عمر غريغوري ـ ولكان على عرش روسيا. يقفز غريغوري عند سماعه هذه الكلمات وهو في حالة اهتياج ، لكنه سرعان ما يسيطر على نفسه متخذاً مظهر الراهب المتواضع.

يتابع بيمن الكتابة ، ثم يغادر الصومعة ببطء. تُقرع أجراس الدير داعية الرهبان إلى صلاة الفجر. يسير غريغوري نحو الباب ثم يتوقف لحظة ويصرخ «بوريس ، بوريس» ، إن ما سُجِّل من أخبار في هذه الصومعة المنعزلة سيعرِّض الطاغية المجرم لحساب رهيب. وتسدل الستارة.

المشهد الثالث: ساحة أمام الكريملين في موسكو. إلى الجانب كاتدرائية الصعود ، وفي الجانب الآخر كاتدرائية الملائكة العليا. في الخلف واجهة القصر الإمبراطوري. نشهد الآن مشهد التتويج الشهير الذي يتوج فيه بوريس قيصراً على روسيا. تمتزج المرافقة الأوركسترالية المتدفقة بأصداء الأجراس الكبيرة حين يخرج الموكب متجهاً نحو كاتدرائية الصعود (صعود العذراء).

يُرى الأمير شويسكي وشيلكالوف في طليعة الموكب الذي يضم البويار والحرس الإمبراطوري وأصحاب المقامات الرفيعة في الكنيسة والدولة. يتوقف الأمير شويسكي على درج الكاتدرائية ويدعو الحشد إلى الهتاف للقيصر الجديد. يرد الحشد في كورس راعد مُحيِّياً بوريس. وحين تصل الموسيقا إلى قمة متألقة ، يخرج بوريس من الكاتدرائية مع ولديه. يعبر بوريس دون أن يسمعه أحد عن الخوف الذي يعذب ضميره ويصلّي باضطراب طالباً من الله المعونة والهداية. يستردُّ رباطة جأشه ويحث الناس على إجلال ذكرى القياصرة الروس ، ويدعو الجميع إلى وليمة التتويج الملكية. يتحرك الموكب خلف بوريس ويعبر الساحة إلى كاتدرائية الملائكة العليا ، ثم يواصل سيره إلى القصر. يصل هتاف الكورس إلى ذرا عالية قوية أثناء انسدال الستارة.

الفصل الثاني

المشهد الأول: حانة قرب الحدود الليتوانية*. بعد مقدمة قصيرة وحيوية ترفع الستارة. ثمة مضيفة منشغلة بمهام مألوفة. إنها تغني لنفسها أغنية صغيرة مرحة وساخرة تدور حول بطة صغيرة. يقاطع غناءها صوت ضحك آت من الخارج. تصغي إلى الصوت فتسمع صوتين ينشدان مستجدين الصدقات لبناء كنيسة. تنظر المضيفة من النافذة فترى رجلين من رجال الدين يقتربان من الحانة. تفتح الباب وتنحني أثناء دخول فارلام وميسائيل. إثرهما يدخل غريغوري المتنكر بثياب فلاح. إنه هارب من روسيا بسبب صدور مذكرة باعتقاله. فقد علمت الشرطة بنشاطاته في نشر شائعة تقول: إن ديمتري المقتول مازال حياً وينبغي أن يعتلي عرش روسيا بدلاً من بوريس.

يطلب رجلا الدين من المضيفة بتواضع بعض الخمر، فتذهب مسرعة لإحضاره. يجلس غريغوري إلى طاولة ويحدق إلى الفضاء بقلق. يحاول فارلام أن يبهجه، لكن غريغوري يبادر قائلاً: إنه يود الوصول إلى الحدود الليتوانية. تعود المضيفة ومعها الخمر، فيملأ فارلام وميسائيل كأسيهما بجشع، ويتجاهل غريغوري الدعوة للانضمام إليهما.

بعد عدة دقائق من الشرب يحرك فارلام الزجاجة ويغني الأغنية الشهيرة التي تدور حول مدينة كازان. إنه يروي حكاية القيصر إيفان حين حاصر قلعة التتار في كازان، وكيف حفر مهندسوه نفقاً تحت أسوارها ونجح في دخولها ودحر التتار. وحين يلاحظ فارلام أن غريغوري لا يشرب يُعيِّره لأنه ظل صاحياً. يتابع فارلام الشرب حتى يسقط على الطاولة وقد أنهكه السكر، ثم يغفو.

---

* المشهد الثاني من الفصل الأول في المدونة الأصلية.

يقترب غريغوري من المضيفة ويسألها، مشيراً من النافذة، إلى أين تؤدي هذه الطريق، فتجيبه، إلى ليتوانيا. الحدود ليست بعيدة، ولكن ينبغي على المرء أن يكون حذراً من حرس الحدود فهم يستجوبون كل من يعبرها، لأنهم بفتشون عن هارب. يحاول فارلام متابعة الغناء. يسأل غريغوري وقد ذعر من الخوف، ترى من هو الذي تبحث عنه السلطات؟ تجيبه المضيفة، ربما لص وتضيف لكنهم لن يتمكنوا من القبض عليه لأنه سيختار ممراً سرياً يهرب منه. ثم تصف المضيفة بلطف الممر بتفصيل كبير.

يقاطعها قرع على الباب، فتذهب لفتح الباب متذمرة من عودة الجنود للتفتيش ثانية. تفتح الباب فيدخل الجنود ويحدقون إلى الزوار الثلاثة. وفي الحال يقدم فارلام وميسائيل، وقد روعهما الذعر، معلومات حول شخصيتهما قائلين نحن رجلا دين فقيرين مسكينين، وهذا الفلاح ـ مشيرين إلى غريغوري ـ هو بصحبتهما. ويشرح غريغوري قائلاً إنه قاد الرجلين المؤمنين إلى الحانة وهو الآن ماضٍ في سبيله.

يتحول الضابط، متصنعاً العاطفة، إلى فارلام ويسأله عن أحواله، فيجيبه بأنها سيئة إلى أبعد حد. وفجأة يعرض المستجوب وثيقة رسمية ويقرأ فيها؛ أن القيصر أمر بالبحث عن راهب مرتد يدعى غريشكا أوتريبييف هرب من موسكو، وفي حال القبض عليه فمصيره الشنق. يكفُّ عن القراءة ويسأل فارلام «هل تعرف ذلك الرجل؟». يجيبه فارلام متلعثماً أنه لا يعرفه.

يلتفت الضابط، ذو القدرة المحدودة على القراءة، ويسأل الحاضرين؛ من باستطاعته قراءة تفاصيل التفويض. يتطوع غريغوري. وبعد لحظة تردُّد يبدأ قراءة الوثيقة التي تقول إن خائناً يدعى غريشكا أو غريغوري أوتريبييف استسلم لاغراءات الشيطان وفر من دير تشودوف، وهو الآن في طريقه إلى ليتوانيا. وحين

يصل غريغوري إلى أوصاف الهارب المدونة في الوثيقة يرمق فارلام بنظرة سريعة. ومتظاهاً بالقراءة يصف فارلام بالتفصيل. وبسرعة يأمر الضابط الذي يراقب فارلام عن قرب بالقبض عليه. يقاوم فارلام، الذي شعر أنه خُدع، الجنود وينتزع الوثيقة من يد غريغوري ويقول؛ مع أني لا أجيد القراءة إلا أني استطيع تهجئة الكلمات حرفاً حرفاً.

وبجهد كبير يقرأ أوصاف غريغوري الذي تحرك أثناء ذلك نحو النافذة. وحين ينتهي فارلام يحدِّق إلى غريغوري صائحاً إنه الرجل المطلوب. يستل غريغوري سكينه ويفر من النافذة. يقف الجنود برهة مذهولين ثم يخرجون لمطاردته. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: جناح القيصر بوريس في الكريملن بموسكو*. كسينيا جالسة إلى طاولة تنظر إلى صورة شاب وبجانبها مربيتها. وإلى طاولة أخرى يجلس شقيقها فيودور ينظر باستغراق في كتاب جغرافي. تغنِّي كسينيا بحرقة نادبة محبوبها الميت. يمتزج صوت فيودور بنُواحها حين يسرد بصوت عالٍ أسماء البلدان والمدن والبحار التي يتعلم شيئاً حولها. تحاول المربية مواساة كسينيا قائلة لها: إنها ستجد عما قريب السعادة مع محبوب جديد. وحين لا تستجيب الفتاة تحاول المربية إدخال البهجة إلى نفس الفتاة بغناء أغنية البرغوث. إنها حكاية حول البعوضة صديقة البرغوث التي كدحت في مزرعة القندلفت. فذات يوم اجتاح جدجد جشع المزرعة وأتلف قش الحقل. وحين حاولت البعوضة صدَّ الجدجد بعصا المِدْمَة نجحت فقط في جرح نفسها جرحاً مميتاً. حاول البرغوث حملها إلى البيت فمات من الجهد ـ وهكذا هلك الاثنان.

---

* الفصل الثاني في المدونة الأصلية.

يعترض فيودور على النهاية الحزينة للأغنية ويقول إنه سوف يغني أغنية أبهج منها تدور حول وزةٍ. ثم يلاطف المربية لتنضم إليه في اللعبة، ويرقص الاثنان ويصفقان ويغنيان قصائد حضانة مقفّاة. يتوقف اللعب حين يدخل بوريس. وعندما يلاحظ حزن ابنته يحاول مواساتها حاثاً إياها على نسيان حزنها برفقة أصدقائها الشبان. تخرج كسينيا والمربية. يقترب فيودور من بوريس ويخبره كيف درس خريطة روسيا.

وبكل فخر يُكبر القيصر ابنه على تعلمه الدروس بشكل جيد، ويحثُّه على الاجتهاد، لأنه سوف يحكم في يوم من الأيام هذا البلد العظيم. يعود فيودور إلى كتابه. وفي مناجاة دراماتيكية يستسلم بوريس لهواجسه الكئيبة. لقد حكم طوال خمس سنوات بجدارة، لكن النجاح الذي تكهّن به العرافون ما هو إلا زيف. كل من حوله خونة متآمرون. الناس في حقدهم الأعمى يثقلونه باللوم، وكأنه سبب كل الشرور في المملكة. إن الندم والإثم يمزقان روحه، إنه ـ وهو القيصر القوي ـ يتذلل إلى الله من أجل الرحمة، ويبحث عن لحظة سلام لروحه. إنه يغني بشرود قائلاً: إن المشهد الرهيب للمقتول ديمتري يلازم أحلامه بقسوة. إن هذا المشهد المثير يقويه في هذه اللحظة إلحاح الإيقاع المهدِّد في الأوركسترا. وفي نوبة ألم يقف على قدميه ثم يسقط بتثاقل على مقعد، متمتماً صلاة طلباً للرحمة.

في الخارج ثمة هرج ومرج وأصوات نساء حادة. إثر ذلك يدخل أحد البويار معلناً وصول الأمير شويسكي للقاء بوريس. يهمس البويار قائلاً لبوريس إن الأمير شويسكي ومعه آخرون قد خططوا لشيء ما، وقد وصل رسول من كراكاو. يأمر بوريس بالقبض على الرسول. يهرع البويار إلى الخارج، ويقترب فيودور من أبيه وينظر إليه بخجل. ينسى بوريس غضبه حين يفسر الولد البريء سبب الضجة في الخارج قائلاً إن السبب في ذلك أن إحدى المربيات أغاظت

البيغاء بولي، فطار غاضباً وحاول أن يعضَّها. يعانق بوريس ولده ويشكره على قصته، وينبِّهه بقسوة قائلاً إنه في حال حكم البلاد ينبغي عليه أن يحمي نفسه من المتآمرين الماكرين أمثال شويسكي.

يدخل شويسكي وينحني بتذلل. يلتفت إليه بوريس بازدراء. يتجاوز شويسكي الإهانة ويخبره أن ثمة متآمر يخطط لثورة ضده، وقد ساند هذا المرتد الكنيسة والشعب. يسأله بوريس عن اسم الخائن. وحين يقترب فيودور أكثر ليصغي، يجيب شويسكي بقلق زائف أن الخائن استخدم اسم ديمتري، ويضيف قائلاً إن الناس يعرفون ذلك الاسم جيداً. يُخرج بوريس، وقد اشتد غضبه، فيودور من الغرفة.

يطلب بوريس من شويسكي إغلاق حدود روسيا استعداداً للحرب، ثم يسأل الأمير باهتياج إن كان من الممكن أن يخرج الأطفالُ المقتولون من القبور لتلازم أشباحهم القيصر، ويضيف بضحكة مسعورة، القيصر الذي اختارته السماء، ثم يندفع نحو شويسكي ويُكرِهه على أن يروي كيف شاهد جسد ابن القيصر المقتول في أوغليش. وبارتياح شيطاني يصف شويسكي تفاصيل المشهد. يأمره بوريس، وقد فقد السيطرة على نفسه بالخروج. يتبع ذلك مشهد دراماتيكي يبدي فيه بوريس ندمه وشعوره بالذنب الذي يمزقه. ويتخيل بوريس، وكأنه مخبول، شبح ديمتري المقتول يقترب منه. وبوحشية ينكر إثمه ويناشد الطفل أن يجنِّبه هذا الرعب. وبوضاعة يصلِّي طالباً الرحمة. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث

المشهد الأول: مخدع مارينا منيشك في قلعة ساندومير ببولونيا. مارينا جالسة تنظر في المرآة، والخادمة تمشط لها شعرها. في حين تغني وصيفاتها جمالها الذي يفتن جميع معجبيها. توقفهم مارينا بنفاد صبر وتقول: إنها

ضجرة من أغاني العشاق المضنية وتتوق فقط إلى سماع أبطال بولونيا الشجعان وأخبار فتوحاتهم.

تصرف مارينا مرافقيها، ثم يبدأ مقطع لحني في صورة إيقاع مازوكا بولونية. تعبر مارينا عن تذمرها من كثرة الخطاب المداهنين الأبديين. لكن ثمة واحداً أحدث في حياتها تأثيراً جديداً ومثيراً ـ إنه الشاب ديمتري من موسكو الذي يُتوقع أن يلعب دوراً في تحقيق طموحاتها. سوف تسلب منه إرادته بإغراءات الأنثى، وتدفعه إلى الإطاحة ببوريس وإعلان نفسه قيصراً. عندئذٍ ستشاركه، بصفتها قيصرة، العرش محققة بذلك القوة والمجد اللذين تتوق إليهما. وتنهي مارينا أغنيتها بضحكة انتصار مجلجلة.

في تلك اللحظة، ترى القس الجزويتي رانغوني واقفاً في المدخل. تطلب منه بتذلّل أن يتحدث معها. يتبع ذلك حديث طويل ودراماتيكي، يخبرها فيه الجزويتي أن من واجبها المقدس الذهاب إلى موسكو مع ديمتري ومساعدته في تقوية وضع الكنيسة البابوية. ويضيف قائلاً إنه ينبغي عليها استخدام فتنتها الأنثوية لكي تجعل من ديمتري عبداً لهواها. وحين يصبح عاجزاً أمام قوتها، ينبغي عليها أن تنتزع منه ضمان الولاء للكنيسة البابوية. وحين تتراجع مارينا أمام مخطط الجزويتي التآمري، يهددها القس باللعنة الأبدية. عند ذلك تذعن مارينا للأمر برعب. وفي حين يقف رانغوني مبتهجاً بانجازه، تسدل الستارة.

المشهد الثاني: نافورة في حديقة قلعة منيشك. الليلة مقمرة. يدخل الراهب غريغوري المنتحل شخصية ديمتري. يتمتم بنشوة «في منتصف الليل بالحديقة أمام النافورة»، مردّداً كلمات مارينا التي عينّت بها مكان اللقاء. يغني بشغف توقه إليها. وبينما هو ينظر نحو القلعة مردداً اسم مارينا، يخرج رانغوني من الظل ويقترب منه. يعنفه ديمتري بسبب مطاردته له، فيقول رانغوني إنه يحمل رسالة من مارينا ـ إنها تشتعل حباً، وإنها ستأتي للقائه. يغني ديمتري قائلاً إنها سترافقه إلى

موسكو ساعة انتصاره. وفجأة يساوره الشك في رانغوني، فيحذره من مغبة الكذب حول مارينا. يؤكد له الجزويتي إخلاصه، ثم يقول بخبث إن مارينا مخلصة في حبها على الرغم من الشائعات التي تدور بين النبلاء وزوجاتهم الغيورات. يقر ديمتري بعزمه على جعل مارينا ملكته متحدياً بذلك أفراد الحاشية وألسنتهم المفترية. ويطلب من رانغوني مساعدته لكسب ودّ مارينا، واعداً الجزويتي بتحقيق ما يطلبه منه لقاء هذه الخدمة. يجيب رانغوني قائلاً إن كل ما يرغب فيه هو أن يظل إلى جانب ديمتري كصديق وناصح. يوافق ديمتري على ذلك باندفاع.

يقاطعه رانغوني طالباً منه الحذر من بعض المدعوّين الذين دخلوا الحديقة، وينصحه بالاختباء للحظة. تظهر مارينا يرافقها نبيل عجوز تردُّ على مداعباته بمزاج ساخر. ثمة فاصل لامع من الموسيقا البولونية ومن عبارات الكورال أثناء رقص المدعوين، التي تتحول إلى غناء حول المعركة المجيدة التي سيخلع بعدها الأبطال البولونيون بوريس مغتصب العرش.

تعود مارينا إلى القلعة تتبعها الحاشية، فيهرع نحوها ديمتري باهتياج كبير. ثم يعبر عن سخطه حيال مكيدة رانغوني، وينفّس عن غضبه حين يشاهد مارينا تحدق بولع في عيني نبيل مسنّ. ثم يعود إلى تأكيد حبه، ويقسم على بذل جهوده للسير نحو موسكو كفاتح.

في تلك اللحظة تتقدم مارينا وتهتف باسمه. يندفع ديمتري نحوها بعاطفة مشبوبة. يتبع ذلك ثنائي حب متقد. في البداية تسخر مارينا بترو من اندفاعات حبه، وتوبخه لأنه يضع عواطفه فوق طموحه. يصرخ ديمتري قائلاً، وقد أحس أنه طُعن في الصميم، إنه سيخوض المعركة وحده، وعندئذٍ سيضحك العالم أجمع ساخراً من المرأة التي ازدرت قيصر روسيا الجديد.

وعلى الفور تغيِّر مارينا سلوكها، وتتصرف برقة وإغراء. ثم تؤكد لديمتري حبها وإخلاصها الأبديين. يمتزج صوتاهما في ثنائي غنائي جذل. وبينما هما يتعانقان يخرج رانغوني من مخبئه ليضم صوته إلى صوتهما في عبارة نصر شرير. وتسدل الستارة.

الفصل الرابع

المشهد الأول: رقعة من الأرض في غابة كرومي القريبة من موسكو* الوقت ليلاً. بعد مقدمة قصيرة نسمع أصوات حشد من الناس. ثم يندفع فلاحون يسحبون البويار خروشوف مقيد اليدين وملابسه ممزقة. يعذبه الفلاحون دون رحمة وهم يغنُّون «بوريس اغتصب العرش». ثم يدفعون عجوزاً شمطاء نحوه قائلين من غير اللائق أن يكون النبيل دون عشيقة، ويرحبون به بسخرية وهم يرقصون حوله.

يجذب انتباه الحشد ظهور المعتوه واضعاً على رأسه قِدْراً من التنك كخوذة. يتخلص من الأطفال ويجلس على صخرة ويبدأ بغناء مقطع حزين كلماته دون معنى تدور حول القمر والقطة الباكية. يُخرج من جيبه قطعة نقد، فينتزعها منه الأطفال ويهربون. يبكي المعتوه ضياع كنزه ويصرخ. تمتزج صرخاته بصوت فارلام وميسائيل وهما ينشدان مدائح للقيصر بوريس لأنه خرَّب روسيا وظلم الناس. وبتشجيع من الرهبان يضم الفلاحون أصواتهم مشكِّلين كورساً قوياً يتعهدون فيه بالولاء لديمتري، ويُقسمون على الانتقام من بوريس.

الآن يُسمع صوتان ينشدان باللغة اللاتينية، ويظهر الجزويتيان لافيتسكي وتشيرنوكوفسكي. يلتفُّ الفلاحون حولهما ويوثقون أيديهم بالحبال. وبتحريض من فارلام وميسائيل يطالب الفلاحون بشنق الجزويتيين، ويُجرُّ الاثنان إلى داخل الغابة.

---

* المشهد الثاني للفصل الرابع في المدونة الأصلية، والمشهد الأخير في الأوبرا.

يسمع من بعيد صوت آلات الترومبيت. تظهر فرقة من الجنود الذين يهتفون بحياة ديمتري ابن القيصر. وبعد لحظات يظهر ديمتري نفسه. يتوقف ويخاطب الناس طالباً منهم السير معه إلى موسكو، إلى النصر، وبينما هو يبتعد مع جنوده يتبعهم الحشد، تقرع الأجراس. يخلو المكان ويبقى المعتوه وحده. يقف على قدميه ويلتفت محدقاً إلى توهج نار عظيمة في الأفق، ويغني منتحباً الرعب والموت اللذين سيحلان على روسيا في ليل هذا القدر المشؤوم. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: قاعة مجلس البويار في الكريملين بموسكو(*). جلسة طارئة لمجلس الدوما أو مجلس البويار. يدخل شيلكالوف ويقرأ رسالة القيصر للبويار. تقول الرسالة إن خائناً يدَّعي أنه ابن القيصر إيفان يقود تمرُّداً ضد بوريس بمساعدة خونة من البويار. يشجب أعضاء المجلس ديمتري المزيف ويطالبون بإعدامه فوراً. يقول البعض مهلاً ليقبض عليه أولاً.

يدخل شويسكي. وخانعاً كعادته يعتذر عن تأخره قائلاً إنه قلق بشأن القيصر، ويخبر الأعضاء أنه رأى في القاعة الملكية القيصر وهو في حالة خوف رهيب. لقد بدا وكأنه يرى شبح ديمتري المقتول، وأنه توسل مراراً إلى الشبح أن يبتعد عنه.

وبينما يعبر أعضاء المجلس عن دهشتهم يدخل بوريس، وفي صوت واجف يؤكد للسادة أنه غير مذنب. ثم يتمتم «ديمتري حي»، وينبغي أن يعاقب شويسكي لنشره أكاذيب خسيسة حول جريمته.

وفجأة يعود إلى نفسه ويحيي أعضاء المجلس بجلال وثقة ثم يعتلي العرش. يقترب منه شويسكي بتردد ويخبره أن الراهب الموقر ينتظر ليتحدث إلى القيصر في

---

* المشهد الأول من الفصل الرابع في المدونة الأصلية.

موضوع هام جداً. يأمر بوريس بالسماح له بالدخول قائلاً : ربما يجلب هذا الرجل المقدس بعض السلام إلى روحه المضطربة.

يدخل الراهب بيمن. ينتظر لحظة قرب الباب ، ثم يقترب ببطء من بوريس الذي يدعوه إلى الكلام. وفي آريا مؤثرة يروي بيمن قصته. يقول إن راعياً مسناً زاره وأخبره عن معجزة. وقد شرح الراعي قائلاً : إنه فقد البصر في طفولته ، وفشلت جميع الأدوية لاسترداده ، فاستسلم للظلام الدائم. ثم سمع في الحلم صوت شاب صغير يطلب منه الذهاب إلى كاتدرائية في أوغليش ويركع مصلياً إلى جانب قبره. وفي الحال ذهب الراعي إلى أوغليش ، وبالكاد انهى صلاته حتى رُد إليه بصره. وهناك رأى ديمتري واقفاً أمامه.

فجأة يضع بوريس يده على قلبه ويصرخ طالباً العون. يلتفُّ حوله أعضاء المجلس دهشين. يستعيد بوريس شيئاً من حيويته ثم يأمر بإحضار ابنه فيودور. يدخل فيودور ويهرع نحو ذراعي والده. يأمر بوريس الجميع بالخروج. يتبع ذلك مشهد الوداع المؤثر حين يغني بوريس «وداعاً يابني».

وبمرافقة ثيمة كئيبة تعزفها الأوركسترا ، يقول بوريس لابنه إنه سيأخذ مكانه قريباً ويتربع على عرش روسيا ، وينبغي عليه ألا يسأل عن الطريقة التي نال بها والده السلطة ، وأن يحمي نفسه جيداً من المتآمرين. ثم ينصح الولد بمراعاة إرادة الشعب ، والحكم بالحق والعدل. وبلطف يطلب منه رعاية كسينيا. ثم يضع يده على رأس الغلام ويصلي متوسلاً إلى الله أن يحفظ ابنه.

تأتي من بعيد أصوات الأجراس وتراتيل الشعب وهو يقيم الصلاة على ملكه المحتضر. يصيح بوريس وهو في النزع الأخير طالباً من السماء الرحمة ، بينما يدخل أعضاء المجلس والرهبان القاعة بوقار. وفي جهد يائس ينهض القيصر المحتضر ويأمرهم بالوقوف. ثم مشيراً إلى ابنه يلفظ لاهثاً «هذا قيصركم» ، ثم يسقط ميتاً. وتسدل الستارة.

Carmen كارمن

للمؤلف جورج بيزيه G. Bizet 1838-1875، وضع نصها، المأخوذ عن رواية بنفس الاسم للروائي الفرنسي بروسبير ميريميه، هنري ميلهاك ولودفيغ هاليفي.

الشخصيات

موراليس، ضابط	باص
ميكائيلا، فلاحة شابة	سوبرانو
زونيغا، نقيب في سلاح الفرسان	باص
دون خوسيه، عريف في سلاح الفرسان	تينور
كارمن، غجرية شابة	سوبرانو
ميرسيدس } غجريتان ترافقان كارمن	ميتسو- سوبرانو
فراسكويتا } غجريتان ترافقان كارمن	ميتسو- سوبرانو
إسكاميلو، مصارع ثيران	باريتون
إل ريمندادو } مهربان	تينور
إل دانكيرو } مهربان	باريتون

عاملات، فرسان، صاحب نُزُل، مهربون، راقصون

المكان داخل إشبيليا وبقربها

الزمان نحو عام ١٨٢٠

التقديم الأول : مسرح أوبرا ـ كوميك بباريس في ٣ آذار عام ١٨٧٥
اللغة الأصلية الفرنسية

أوبرا كارمن واحدة من الأعمال المسرحية المحبوبة عالمياً. فقد استغل بيزيه في تلحين قصة ميريميه مواهبه في التصوير الموسيقي المفعم بالحيوية، وفي التوزيع الأوركسترالي اللامع، وفي استخدام اللون الدرامي المحلي، وهو المزاج والجو الإسبانيين.

ويقال إن الأوبرا فشلت فشلاً ذريعاً أدى إلى موت بيزيه بعده متأثراً بالخزي والخيبة. لكن تلك القصة لم تصمد. صحيح أن المؤلف توفي بعد ثلاثة أشهر من العرض الافتتاحي، لكن موته نُسب إلى علة فيزيولوجية فاقمها العمل المضني.

وفي الواقع، استُقبلت الأوبرا ببرود شديد لعدة أسباب: لم تكن الأوبرا في الصيغة التقليدية لذلك العصر؛ اتهام بيزيه باستخدام الأسلوب الفاغنري الذي كان مرفوضاً في ذلك الوقت؛ عدم وجود نهاية سعيدة في الأوبرا؛ وأخيراً شخصية كارمن البوهيمية التي صدمت جمهور باريس.

وعلى الرغم من سحب الأوبرا من مسرح أوبرا ـ كوميك، هللت لها العواصم الأوربية الأخرى بعد بضعة شهور من عرضها الأول. وفي نهاية الأمر أحرزت الأوبرا الرضا والحب ليس فقط في باريس بل في العالم أجمع.

يبدأ الاستهلال بإيقاع نشيط يعكس الجو المهرجاني لمصارعة ثيران في فصلها الأخير. يلي ذلك مقطع من لحن أغنية مصارع الثيران المؤثر. يليه موتيف كئيب يعكس مصير كارمن المأسوي ـ الذي يُعرف بـ موتيف القدر. ثم يحطم أكورد متفجر كل ذلك. ثمة توقف دراماتيكي ثم ترفع الستارة.

الفصل الأول

ساحة عامة في إشبيلية. إلى اليمين مدخل إلى مصنع التبغ، وإلى اليسار مخفر. الوقت ظهراً. يعبر سكان المدينة الساحة. موراليس يتمشى مع بعض الحراس أمام المخفر. يغني الجنود حول الحشد العابر. وحين ينتهي الكورس الوجيز يدخل موراليس ويلفت النظر إلى فتاة جميلة تقترب. يعبِّر الحراس عن اهتمامهم الملحوظ بها.

يسأل موراليس بلطف ميكائيلا عن ماذا تبحث. تجيبه إنها تبحث عن العريف دون خوسيه. يقول موراليس إن الجميع يعرفونه لكنه ليس معهم الآن. ويتابع الضابط قائلاً إنه يتوقع مجيئه قريباً عند تغيير الحرس، ثم يدعوها لتنتظره في داخل المخفر. تشكره ميكائيلا رافضة الدخول. يؤكد موراليس قائلاً إنها ستكون بأمان، لكنها تجيب قائلة إن من الأفضل لها أن تعود لاحقاً، ثم تنصرف، يعلن موراليس في تأمل قائلاً إن العصفور قد هرب، وليس ثمة ما يفعله سوى مراقبة الحشد.

عندئذٍ تبدأ موسيقا تغيير الحرس العسكرية. وأثناء تغيير الحرس تسير مجموعة من الفتيان حول المكان وهم يغنون مقلدين في مشيتهم العسكرية الجنود الحقيقيين.

يخبر موراليس دون خوسيه عن الفتاة الجميلة ذات الشعر المضفور والثوب الأزرق التي أتت إلى المخفر تبحث عنه. يهتف دون خوسيه قائلاً لابد أنها ميكائيلا. ينسحب الحراس الذين انتهت مهمتهم يتبعهم الفتيان وهم يغنون.

يسأل زونيغا، من خلال ريسيتاتيف، دون خوسيه عما إذا كانت الفتيات يعملن في مصنع التبغ. يجيب دون خوسيه بأنهنَّ مازلن يعملن، وأنهنَّ فتيات

مغناجات، وحين يسأله هل هن جميلات؟ يجيبه بأنه لايعيرهنَّ اهتماماً، وأنهن سيظهرن قريباً، وعليه أن يحكم إن كن جميلات أم لا.

يقرع الجرس، وتخرج العاملات والعمال من المصنع، يتقدم الرجال أولاً وهم يغنون «La cloche a sonné»، ثم تتقدم الفتيات وهن يدخِّنَّ السجائر ويتجولن في الساحة. يصف الرجال، يرافقهم لحن رشيق، حركات الفتيات المغرية وهن يدخن السجائر.

يتعجب الرجال حين لا يرون كارمن بين الفتيات. يلي ذلك موتيف القدر منبعثاً من الأوركسترا، يليه ظهور كارمن وتوقفها أمامهم. يهلل لها الحشد على نحو شهواني، ويناشدها الرجال أن تخبرهم متى ستمنحهم قلبها. تجيب كارمن، وهي ترمق دون خوسيه بنظرة حادة، إنها لا تعرف، ربما غداً، وربما أبداً، وعلى أية حال لن يكون اليوم.

وعلى إيقاع خافق تبدأ كارمن بغناء «الهابانيرا» الشهيرة. يكرر الكورس كلماتها بنبرات إيقاعية تنتهي «الهابانيرا» ويتوسل الرجال ثانية كارمن لكي تجيب عن طلبهم. وحين يُسمع موتيف القدر ثانية تتوجه كارمن نحو المصنع. ثم تلتفت فجأة وتقترب من دون خوسيه. وبضحكة مجلجلة تأخذ زهرة من ملابسها وترميها في وجه دون خوسيه وتعدو مبتعدة. تلتف حول دون خوسيه مجموعة الفتيات ويرددن بسخرية مقطعاً من «الهابانيرا». في تلك اللحظة يقرع جرس المصنع داعياً الرجال والنساء للعودة الى عملهم.

يقف دون خوسيه وحيداً. وببطء يلتقط الزهرة متعجباً من سلوك كارمن الوقح. ويتذكر كيف انطلقت الزهرة من يدها كانطلاق الرصاصة، ويتمتم، الزهرة جميلة وعطرها مُسكر.

تظهر ميكائيلا وتنادي دون خوسيه، فيحييها بحبور. وحين تخبره بأنها تحمل له تحيات والدته، يسألها باهتياج عما تحمله من أخبار أخرى. تقول إنها تحمل رسالة من والدته وبعض المال، وتضيف قائلة إنها تحمل إليه أيضا قبلة من والدته، ثم تقترب منه وتقبله بدلاً عن والدته.

يتبع ذلك ثنائي غنائي يغنيان فيه ذكرياتهما عن مسقط رأسيهما وطفولتهما. تقاطع الغناء ثيمة القدر المشؤومة، ويقول دون خوسيه متأملاً إن القبلة التي بعثتها والدته أنقذته من خطر كبير يتهدده. تسأله ميكائيلا أي خطر؟ يتجاهل دون خوسيه تساؤلها ويسألها متى ستعود إلى بيتها. تجيبه قائلة إنها ستلتقي والدته في الغد. يحمِّلها دون خوسيه رسالة إلى والدته. ثم يستأنف الاثنان الغناء.

وحين تغادر ميكائيلا يفضُّ رسالة والدته. بعد ذلك نراه يفصح عن حبه لـ ميكائيلا، ويتطلع إلى الزواج بها. ثم فجأة يرتد ذهنه إلى كارمن «الساحرة» وزهرتها. وحين يهم برمي الزهرة تعلو ضجة منبعثة من المصنع. يندفع زونيغا من المخفر متسائلاً عما حدث. يهرع العاملون نحو الساحة وتصرخ النساء طالبات النجدة. يلغو بعض الحشد المتجمع حول زونيغا متهماً كارمن، أما البعض الآخر فيدافع عنها. وفي النهاية ينحِّي بعضهم زونيغا جانباً ويسردون عليه الحكاية. لقد وقع شجار عنيف بين مانويليتا وبين كارمن. يحاول زونيغا تهدئه الجميع ثم يبعث دون خوسيه مع جنديين لاستطلاع ما حدث في المصنع.

فجأة تظهر كارمن يرافقها دون خوسيه والجنديان. ويخبر دون خوسيه زونيغا أن كارمن تبادلت اللطمات مع العاملة مانويليتا التي أصيبت بجروح، عندئذٍ يطلب الكابتن من كارمن تفسيراً حول الحدث. تبدأ كارمن بالغناء لنفسها، ثم تجيبه قائلة إن التعذيب لا يستطيع إجبارها على الكلام، ثم تضيف أنها ستتحدى

السلاح ، بل حتى السماء نفسها ، يخبرها زونيغا أن تدخر غناءها لوقت آخر ، وأن ترد على التهم. ترد كارمن قائلة إن الجواب هو سرها الذي تحتفظ به ، يخبرها زونيغا قائلاً بغضب إنها ستكمل غناءها في السجن. وأخيراً يطلب زونيغا من دون خوسيه أن يتولى أمرها.

بعد مغادرة الكابتن تسأل كارمن دون خوسيه إلى أين سيأخذها. يجيبها أنه لا يستطيع سوى إطاعة الأوامر القاضية بأخذها إلى السجن. تعلمه الغجرية ببرود بأنه سوف لن يساعدها فقط بل سينحني لكل نزوة من نزواتها لأنه يحبها. وحين يحتج دون خوسيه ، تعلن أن الزهرة التي منحته إياها فتنته. يأمرها دون خوسيه بغضب أن تهدأ. وبدلاً من إطاعته تبدأ بإغوائه.

وبمرافقة إيقاع الـ سيغويديلا تغني قائلة إنها ذاهبة لترقص وتحتسي شراب الـ مانزنيلا في الحانة مع حبها الجديد (تقصد دون خوسيه). يأمرها دون خوسيه بالصمت. تجيبه بأنها تغني لنفسها.يحتج دون خوسيه قائلاً إنه سيصاب بالجنون وبعاطفة متقدة يسألها : هل ستظل صادقة معه وتحبه إن هو عاملها بلين. ثم ، وكأنه منوم مغناطيسياً يحررها من قيودها ، ويطلب منها وعداً بحبه. تتابع كارمن أغنيتها التي تنهيها بنصر وقح.

يخرج زونيغا من المخفر ويعطي أوامره لـ دون خوسيه ، محذراً إياه من كارمن. تنفرد كارمن جانباً وتُطلع دون خوسيه على خطتها للهرب : في لحظة معينة ستدفعه دفعة قوية ، وعليه أن يتظاهر بالسقوط تاركاً إياها دون رقابة ، وتذكره ثانية بموعدها. عندئذٍ تعيد ، وهي تضحك بغطرسة في وجه زونيغا ، مقطعاً من الـ هابانيرا. بعد ذلك يقتادها دون خوسيه والجنود. وحين يصلون إلى الجسر تنفذ كارمن خطتها وتفر وهي تضحك بصخب. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

ثمة فاصل قصير تحوم فيه ثيمة سيغنيها دون خوسيه بعد ذلك في الفصل. ترفع الستارة فتبدو حانة ليلاس باستيا. ثمة غجر ومهربون يجلسون إلى الطاولات ومعهم موظفون وجنود. ينطلق الراقصون على إيقاع موسيقا غجرية. يتوقفون حين تبدأ كارمن بغناء أغنية غجرية نارية «Les tringles des sisters tintaient» وحين تغدو الموسيقا أكثر وحشية يعود الرقص ثانية بألوان وحركات مسعورة. تنضم فراسكويتا وميرسيدس إلى كارمن في أغنيتها، وينتهي المقطع بذروة غنائية راقصة.

بعد ذلك تعلن فراسكويتا حلول وقت الإقفال. يقترح زونيغا أن تغادر معه هي وميرسيدس، لكنهما ترفضان. فيدعو كارمن، فترفض أيضاً. فيعلن قائلاً، وقد أزعجه رفضها، إنها تبدو غاضبة. وحين تسأل لم يتوجب عليها أن تغضب، يجيب الكابتن الغيور قائلاً ربما بسبب ذلك الجندي الذي سُجن عقاباً على تركها تهرب. تسأله كارمن بسخرية إن كان سيُعدم بسبب جريمته، فيقول زونيغا لقد جرى إطلاق سراح دون خوسيه. تهتف كارمن معبرة عن فرحتها، ثم تودع كارمن والفتاتان زونيغا الساخط والجنود بأدب ساخر.

فجأة تسمع من خارج الحانة صيحات حشد يهلل لـ إسكاميلو. يصيح زنيغا إنه موكب حملة المشاعل، ثم يدعو إسكاميلو للشراب. تزدحم الحانة بالناس الذين يشربون نخب البطل مصارع الثيران. وفي رده على ذلك يغني أغنية مصارع الثيران الشهيرة. إنه يصف الحلبة الكبيرة بجماهيرها الغفيرة التي تهتف باسم بطل اليوم. وبعد مقطع للكورس، يتابع إسكاميلو آريته واصفاً فيها اندفاع الثور الهائج وطعناته السريعة التي وجهها إلى فريسته. يعود الكورس للغناء ليصل إلى ذروة مثيرة.

وبعد انتهائه من الغناء يتبختر إسكاميلو أمام كارمن، ويسألها عن اسمها، الذي ربما يكرره في وقت لاحق حين يكون في خطر. يتدخل زونيغا قائلاً لها إن هي لم تذهب معه الآن فسوف يعود إليها لاحقاً. فتجيبه بأن ذلك سيكون مضيعة للوقت. يرد الكابتن باحتقار قائلاً إنها راغبة في انتهاز الفرصة.

وعلى أنغام موسيقا مصارع الثيران النشطة، يخرج إسكاميلو مزهواً يتبعه الحشد. تتوجه فراسكويتا نحو إل دانكيرو وتسأله حول الخطط المقترحة من أجل عملية التهريب. يجيبها بأن فرص النجاح جيدة، لكن المهربين سيحتاجون إلى مساعدة بارعة من النساء لتنفيذها. يتبع ذلك خماسي غنائي يشترك فيه فراسكويتا وميرسيدس وإل دانكيرو وإل ريميندادو وكارمن. إنهم يصرحون أن التخطيط لأي نوع من التآمر واللصوصية والتضليل يستدعي أولاً التأكد من مشاركة النساء، إذ إن موهبتهن الطبيعية في الخداع سوف تؤمن النجاح. توافق فراسكويتا وميرسيدس على الانضمام للمهربين، لكن كارمن ترفض. وحين يسألها إل دانكيرو وإل ريميندادو عن السبب، تجيبهما قائلة إنها في حالة حب. لكنهما يشككان في الأمر. تكرر كارمن قائلة إنها مجنونة حباً. يعلن المهربان قائلين إن كارمن تتوصل دائماً إلى التوفيق بين الحب والواجب، لكن كارمن تصر على موقفها. عند ذلك يسألها إل دانكيرو فيما إذا كانت تنتظر أحداً، فتجيب إنها تنتظر الجندي الذي سُجن بسببها. يعلق إل ريميندادو قائلاً بسخرية ذاك شيء مؤثر، في حين يذكّر إل دانكيرو قائلاً لـ كارمن إن جنديها ربما غيرّ رأيه بصدد المجيء.

في تلك اللحظة يُسمع من بعيد صوت دون خوسيه وهو يغني لحناً قصيراً دون مرافقة. تعبر كارمن عن فرحتها. تنظر فراسكويتا وميرسيدس إلى الخارج. يحث المهربان كارمن على أن تطلب من دون خوسيه الانضمام إلى عصابتهما. تحيي كارمن دون خوسيه بلهفة. يخبرها دون خوسيه أنه أمضى في السجن

شهرين، وأنه كان على استعداد للبقاء في السجن مدة أطول من أجلها. ثم يؤكد لها حبه. تغيظه كارمن بقولها إنها رقصت أمام بعض من رفاقه، إنها تستفزه ليظهر غيرته. يعترف دون خوسيه بأنه غيور. وفي استهزاء مرح تقول إنها ستغني الآن وترقص من أجله وحده. تباشر كارمن الرقص وتغني لحناً بلا كلمات بمرافقة الكاستانيت. فجأة يلعلع من بعيد صوت الأبواق. يوقفها دون خوسيه قائلاً إن وقت العودة قد حان. تعلق كارمن قائلة إن دون خوسيه ضجر من غنائها ورقصها، وتستأنف رقصتها. مرة أخرى يحاول دون خوسيه أن يفسر لها أنه ينبغي عليه أن يلبي نداء الواجب والعودة إلى مقره. لكن كارمن تلوم نفسها بغضب لأنها كانت حمقاء حين حاولت أن تسعده برقصها وغنائها. ثم تلتقط سيفه وخوذته من على الطاولة وتقذفه بهما، ثم تنصحه بالهرولة إلى مقر عمله.

يلومها دون خوسيه، وقد صُدم بتصرفها، على قسوتها، ويؤكد لها أنه كاره الذهاب، وأن ما من امرأة حركت قلبه بعمق مثلها. ويؤكد لها من جديد في عبارات درامية حبه، ويسألها أن تصغي إلى كلماته. ثم ينتزع الزهرة التي أهدته إياها من سترته ويبدأ بغناء «أغنية الزهرة» الشهيرة «La fleur que tu m'avais jetée». بعد ذلك يلعن، يمزقه الشوق والحنين، اليوم الذي رآها فيه أول مرة، والقدر الذي ساقها إلى دربه. لكن ذلك كان تجديفاً، إذ كان في قلبه رغبة وحيدة وأمل واحد للعودة إليها. فقد سكنت روحه من النظرة الأولى. ويقسم أن ليس لديه شيء سوى الحب الذي يكنه لها.

لكن كارمن تجيبه قائلة إنه لا يحبها، ولو كان يحبها حقاً لرافقها إلى موطنها في الجبال. وهناك سيكونان أحراراً ليتحابا. وتتابع كارمن، متجاهلة احتجاجات دون خوسيه اليائسة، قائلة إن عليه أن يتبعها إلى الجبال، إلى حرية ما وراء القانون.

ينتزع دون خوسيه نفسه من ذراعي كارمن ويعلن أنه لن يعرض نفسه لعار الفرار. يعتري كارمن بسبب رفضه غضب وحشي، وتبدي بغضاً تجاهه معلنة تخليها عنه إلى الأبد. يغني دون خوسيه أغنية الوداع ويتهيأ للرحيل. في تلك اللحظة ينقر زونيغا الباب منادياً كارمن. تطلب من دون خوسيه أن يلزم الصمت يدخل زونيغا ويتوجه نحو كارمن. ويسألها لماذا اختارت جندياً في حين ثمة ضباط على استعداد لتقديم خدماتهم، ويأمر دون خوسيه بغضب أن يرحل، لكن دون خوسيه يرفض بهدوء. يتوعد زونيغا دون خوسيه مهدداً، فيستل دون خوسيه سيفه ويطلبه للقتال. تقف كارمن بين الاثنين وتستدعي الغجر الذين يلجون بسرعة الغرفة. يجرد إل دانكيرو وإل ريمندادو زونيغا من سلاحه بلطف. وتعلن كارمن قائلة إن الحب خدعة حين وصل في لحظة غير مناسبة. ويطلب إل دانكيرو وإل ريمندادو من زونيغا مغادرة المكان في الحال.

تلتفت كارمن نحو دون خوسيه وتسأله هل قرر الآن الانضمام إلى المهربين. وحين يجيب بأنه ليس أمامه خيار آخر، توبخه بعنف لافتقاره إلى الكياسة. ثم تبدأ بغناء ثيمة أغنية الحرية. يأخذ الكورس بغناء المقطع منهياً الفصل.

الفصل الثالث

بعد الفاصل ترفع الستارة على مشهد المهربين في الجبل قرب واد صغير منعزل. بعض أفراد العصابة مستلقون بعباءاتهم. وثمة آخرون يدخلون بحذر وهم يتغنون بلحن شبيه بالمارش. ثم يبدأ المهربون بغناء دراماتيكي يعبرون من خلاله عن الحذر لأداء مهمتهم. وفي النهاية تتلاشى النغمات ويعم الصمت.

تقترب كارمن من دون خوسيه وهي تحدق إلى السهل وتسأله عما يرى. يجيبها قائلاً بحزن: في الأسفل تعيش امرأة طيبة وشجاعة ما زالت تعتقد بأنه

رجل مستقيم. ويضيف بمرارة إنها مخطئة. تسأله كارمن ومن هي هذه المرأة؟ يقول دون خوسيه إنه يتحدث عن أمه. تنصحه كارمن بسخرية بالذهاب إلى بيته لأنه غير مؤهل للعمل مع المهربين. وتضيف أنه سوف يندم إن هو لم يفعل ذلك. يبدي دون خوسيه ذعره من صلابتها وقساوتها حين تقترح عليه أن يفترقا، وفي حين تكرر كارمن قولها بأن عليهما أن يفترقا، يُسمع في الأوركسترا موتيف القدر. وفي غضب شديد يحذرها دون خوسيه من قول ذلك. فترد قائلة إنه ربما سيقتلها إن فعلت، ثم تلاحظ نظرة شريرة بادية على وجهه. وحين لا يجيب بشيء تقول كارمن دون اكتراث: لا شيء مهم لأن القدر هو الذي سينتصر على الرغم من كل شيء.

على بعد مسافة قصيرة تجلس فراسكويتا وميرسيدس وهما تلعبان الورق. إنهما تغنيان ثنائياً فاتناً تلتمسان فيه من الورق أن يخبرها عن عشيقيهما المنتظرين. ترى فراسكويتا عشيقها شاباً غيوراً متحمساً. في حين ترى ميرسيدس من سيحبها رجلاً عجوزاً غنياً يطلب يدها للزواج. تتمشى كارمن نحوهما وتلتقط ورقتين ـ الأولى ورقة ديناري والثانية بستوني. ثمة موتيف مشؤوم يسمع في الأوركسترا أثناء قراءة كارمن مستقبلها المأسوي: الموت ـ أولاً موتها، ثم موته.

فجأة يظهر إل دانكيرو ويعلن أن المهربين سوف يعبرون الممر مع سلعهم المهربة، ويطلب من دون خوسيه البقاء في الخلف للحماية. ويضيف أنه رأى ثلاثة حراس في الممر لذا ينبغي الحذر. وبعد مغادرة المهربين تظهر ميكائيلا تبحث عن دون خوسيه. إنها تغني أغنية مؤثرة تطلب فيها من الله أن يحميها. وتصمم على مقاومة شر المرأة المغوية التي ستدمر دون خوسيه. تنتهي آريتها بتوسل دراماتيكي إلى السماء من أجل الهداية.

فجأة ترى ميكائيلا دون خوسيه عن بعد، فتهتف باسمه. لكنها ترتجف رعباً حين تراه يصوب بندقيته على هدف غير مرئي، ثم تختبئ. بعد لحظة يتقدم إسكاميلو عبر الممر وقبعته في يده. إنه يبحث عن الفجوة التي أحدثتها الرصاصة في قبعته، ثم يقول بمرح، لو أن الطلقة كانت أخفض قليلاً لقضت عليه. يندفع دون خوسيه ويطلب اسمه، فيكشف إسكاميلو عن نفسه. يحييه دون خوسيه ويضيف بأنه خاطر بحياته عندما تقدم عبر الممر وحده. فيقول إسكاميلو إن الحب دفعه للمخاطرة لرؤية محبوبته وحين يسأله دون خوسيه عنها، يجيبه قائلاً إنها فتاة غجرية تدعى كارمن. يسأله دون خوسيه بحدة هل تدرك أن من يأخذ غجرية عليه أن يدفع الثمن. يسأل إسكاميلو ببرود وما هو الثمن؟ يجيب دون خوسيه بحدة: طعنة خنجر. عندئذٍ يدرك إسكاميلو أن غريمه هو عشيق كارمن السابق، ويعبر بسخرية عن عزمه للقاء خصمه. يبدأ التحدي وينبري الاثنان للمنازلة وبيد كل منهما خنجره. يندفع الاثنان نحو بعضهما فيسقط إسكاميلو ويهم دون خوسيه بطعنه في رقبته، إلا أن كارمن تندفع في تلك اللحظة وتوقفه.

يشكر إسكاميلو كارمن على إنقاذها حياته. ثم يلتفت نحو دون خوسيه ويقول؛ إن النتيجة متعادلة الآن لكن الفائز سيتحدد في الجولة الثانية. يتدخل إل دانكيرو ويطلب من إسكاميلو الانصراف. يتوقف إسكاميلو لحظة ويدعو الجميع لحضور جولة مصارعة الثيران التي سيخوضها في إشبيلية ـ خصوصاً تلك التي يحبها، ثم ينسحب وعيناه ترمقان كارمن.

يلتفت دون خوسيه نحو كارمن، وقد لاحظ تعلقها بإسكاميلو، ويحذرها من القيام بأي عمل يعذبه. فجأة يكتشف ريمندادو ميكائيلا ويجرها من مخبئها. يتجاهل دون خوسيه تحيتها ويسألها لماذا أتت. تخبره بأن والدته في أسفل الوادي تصلي بدموع حارة ليعود إليها ابنها، وتتوسل إليه ليعود معها. تنصحه كارمن ساخرة بالذهاب. يتهمها دون خوسيه، وقد أحس بأنه طُعن، بالعمل على

التخلص منه لتلحق عشيقها الجديد مصارع الثيران. ويقسم بأنه لن يتخلّى عن كارمن، وأن الموت وحده يستطيع أن يحطم الرباط الذي يجمعهما. ثم يتخلص من ميكائيلا ويجابه كارمن قائلاً إنه سيجبر كارمن على الإذعان لمشيئة القدر الذي جمعهما، ويقسم ثانية على ألا يتخلّى عنها.

تقترب ميكائيلا من دون خوسيه وتخبره بأن أمه على حافة الموت وتود أن تصفح عنه قبل موتها. يصرخ دون خوسيه بألم ويتهيأ للذهاب مع ميكائيلا. ثم يندفع نحو كارمن ويقول محذراً سوف نلتقي ثانية. يسمع في الأوركسترا موتيف القدر.

من بعيد يأتي صوت إسكاميلو وهو يغني مقطعاً من أغنية مصارع الثيران. تحاول كارمن الذهاب إليه، لكن دون خوسيه يمنعها بإشارة تهديد. يتحرك المهربون ببطء على وقع الموسيقا الشبيهة بالمارش. وتسدل الستارة.

الفصل الرابع

فاصل موسيقي بإيقاع إسباني لامع يمهد لمشهد مصارعة الثيران الذي يفتتح الفصل. ترفع الستارة على ساحة لمصارعة الثيران في إشبيلية. ثمة صيحات وهتافات. المشهد يتألق بألوان المهرجان. ثمة راقصون وفرسان حلبة وموظفون.

يُقابل إسكاميلو، لدى دخوله برفقة كارمن، بتصفيق حاد. ويغني أغنية تقول؛ إن كانت كارمن تحبه حقاً فستكون فخورة به اليوم. تجيبه كارمن بحرارة قائلة إنها لم تحب أحداً كما أحبته. تقترب فراسكويتا وميرسيدس وتحذران كارمن من دون خوسيه المتواري بين الحشد. تجيب كارمن قائلة إنها ليست خائفة منه، وستبقى لتتحدث معه. تبتعد فراسكويتا وميرسيدس، وفي اللحظة التالية نرى كارمن وجهاً لوجه مع دون خوسيه.

يحيي أحدهما الآخر. تقول كارمن إن صديقتيها حاولتا أن تقنعاها بأن دون خوسيه قادم لقتلها. يجيب دون خوسيه إنه لم يأت لإيذائها، بل جاء فقط ليعبر لها عن حبه، ويتوسل إليها لكي تنسى مرارة الماضي وتتبعه إلى مكان قصي ليبدأا حياة جديدة. تجيبه كارمن إن كل ما بينهما قد انتهى. يتوسل إليها دون خوسيه ثانية لتدعه يقوم بحمايتها وحماية نفسه، فتجيبه بخشونة قائلة إنها تعلم أنه ربما سيقتلها إن رفضت عرضه، لكن ذلك لن يثني عزيمتها ويغير قرارها. يمتزج صوتاهما في ثنائي غنائي قصير لكنه دراماتيكي. تكرر كارمن رفضها. ويناشدها دون خوسيه باهتياج.

يصرخ دون خوسيه يائساً ويصرح بحبه، لكن كارمن تبدي لا مبالاتها تجاهه وتقول إنها ولدت حرة وستموت حرة. ثم تندفع نحو الحلبة لدى سماعها الصيحات محيية مصارع الثيران، لكن دون خوسيه يمنعها بعنف، ويسألها إن كانت مغرمة حقاً بمصارع الثيران. تجيبه كارمن إنها ستعترف بحبها له حتى لو واجهت الموت.

تحاول كارمن الإفلات من دون خوسيه لتدخل الحلبة. يلعنها دون خوسيه ويطلب منها للمرة الأخيرة أن تستسلم له. وإجابة علية تنتزع من إصبعها الخاتم الذي قدمه لها وترميه على الأرض. يندفع دون خوسيه نحوها صارخاً ويغمد خنجره في صدرها.

يرتد الناس برعب حين يرون دون خوسيه راكعاً بجانب جسد كارمن. وبينما يرعد موتيف القدر بعنف، يصيح دون خوسيه قائلاً: لقد ذبحتها ـ ذبحت كارمن التي أعبدها. وتسدل الستارة.

الفروسية الريفية

CAVALLERIA RUSTICANA

للمؤلف بيترو ماسكاني 1845-1863 P. Mascagni. وضع نصها، المأخوذ من قصة لجيوفاني فيرغا، جيوفاني تارجيوني ـ توتسيتي وغويدو ميناشي.

الشخصيات

سانتوزا ، فتاة قروية جميلة	سوبرانو
لوتشيا ، والدة توريدو	كونترالتو
ألفيو ، سائق عربة في القرية	باريتون
توريدو ، جندي شاب	تينور
لولا ، زوجة ألفيو الشابة	ميتسو ـ سوبرانو

قرويون وفلاحون

المكان : قرية في صقيلية

الزمن القرن التاسع عشر

التقديم الأول : مسرح كونستانزي في روما ، ١٧ أيار عام ١٨٩٠

اللغة الأصلية الإيطالية

الفروسية الريفية هي الأوبرا الأولى لـ ماسكاني، وقد حققت نجاحاً مثيراً في أول عرض لها، وحولت مؤلفها بين عشية وضحاها من شخصية مغمورة إلى شخصية ثرية وشهيرة. ومنذ ذلك الحين أخذت مكانها على المسرح الأوبرالي بوصفها واحدة من أكثر الأعمال شعبية.

كان ماسكاني، في الوقت الذي كتب فيه رائعته، يعمل مدرساً للموسيقا في بلدة إيطالية صغيرة. وكان قد سمع عام ١٨٨٨ بأن الناشر سونزونو يعرض جائزة لأفضل أوبرا مكونة من فصل واحد. وقد اشترك ماسكاني في المسابقة يحدوه أمل في الحصول على الجائزة التي هو بأمس الحاجة إليها. وألهمه نص وضعه تارجيوني وميناشي، فباشر على الفور التأليف. في بداية عام ١٨٩٠ قدم ماسكاني مدونته الموسيقية إلى لجنة الحكام في روما فنالت الجائزة الأولى. وخلق تقديمها اللاحق تاريخاً أوبرالياً.

إنه لمن عجائب التقادير أن يطلق على الأوبرا اسم «الفروسية الريفية»، فهي تتعامل مع أمور كثيرة عدا الفروسية. إنها قصة مروعة عن حب محرم وثأر، ويضفي واقع الأحداث التي تجري في صباح عيد الفصح أثراً دراماتيكياً إضافياً.

يتمحور العمل حول الجندي الشاب توريدو، الذي تدير والدته حانة في ساحة القرية. وكان قبل ذهابه إلى الجندية مخطوباً لـ لولا، لكنه يجدها بعد عودته قد تزوجت من ألفيو سائق العربة. يلجأ توريدو الذي فقد لولا إلى علاقة جنسية مع فتاة قروية أخرى هي سانتوزا. وقبل مضي وقت طويل تخونه، فيهجرها محولاً عواطفه ثانية نحو لولا التي تنتهز عن طيب خاطر فرصة غياب زوجها المتكرر وتشجع توريدو على إقامة علاقة جنسية سرية معها. هو ذا حال العلاقات المتشابكة في ذلك الحين عندما ترتفع الستارة.

تعرض المقدمة الأوركسترالية عدة ثيمات هامة بالنسبة لتطوير الدراما. وبعد مقطع موسيقي هادئ يعكس سلام يوم عيد الفصح تأتي ثيمة سانتوزا الملتهبة العاطفة تنشد حب توريدو. وفجأة يعترض المقدمة صوت توريدو قادماً من وراء الكواليس، وبمرافقة إيقاعية من الهارب يغني «Siciliana» سيريناد غزلية بأسلوب صقيلي تقليدي. يشَّبه توريدو شفتي لولا بالتوت الأحمر الناضج، ويتحدث عن وهج الحب في عينيها، ويشَّبه حمرة وجنتيها بالكرز البري. إن الرجل الذي يستطيع الفوز بهذه الكنوز لنفسه هو في الواقع محظوظ. عندئذٍ يتخيل توريدو، وهو يحس بنذير كارثة مشؤومة، دماً على درجة باب لولا، لكنه يقول مغنياً، حتى توقع الموت أمام عينيها لن يرعبه. فقط إن لم تكن لولا في الفردوس لترحب به فسوف يستلم للأسى. تتلاشى السيريناد، وتتابع الأوركسترا عرض الثيمات المؤثرة لمأساة سوف تقع.

ترتفع الستارة على قرع الأجراس. نرى ساحة قرية مقفرة في صقيلية. على اليمين مدخل كنيسة، وعلى اليسار حانة ماما لوتشيا ومنزلها. إنه الفجر. وعندما تغدو الموسيقا أكثر تألقاً وبهجة، يَعْبُرُ الفلاحون وسكان القرية الساحة، ترتفع أصواتهم فوق المرافقة الأوركسترالية في عبارات قصيرة وبسيطة. يدخل بعضهم إلى الكنيسة، بينما يتجول بعضهم الآخر في الشارع. تسمع أصوات النساء وهن يغنين مبتهجات بيوم الفصح. وبينما تدخل النساء ببطء في المشهد، تسمع أصوات الرجال تُطري كدَّ النساء وفتنتهن التي تأسر القلب. يظهر الرجال الآن، وتمتزج جميع الأصوات بتناغم كورسي مترنمة بأفراح الربيع والحب. ويتردد صدى آخر النغمات من خلف الكواليس فتبدو وكأنها آتية من بعيد. يتسكع الناس ثم يتفرقون حتى تقفر الساحة من جديد.

فجأة يتحول مزاج الموسيقا، ويبرز موتيف المأساة المهدد الكئيب. وبينما هو يتصاعد بشدة تظهر سانتوزا وتواجه ماما لوتشيا الخارجة من حانتها وتسألها عن توريدو، وعندما تسألها لوتشيا عن السبب الذي دفعها إلى المجيء لرؤية ابنها، تكرر سانتوزا سؤالها وحسب. تجيب لوتشيا باهتياج بأنها لا تعرف مكان ابنها وتضيف أنها ليست بحاجة إلى إزعاج. تناشدها سانتوزا بيأس أن تكون شفوقة بها ـ كما كان المسيح شفوقاً بـ ماغدالينا، وتتوسل إليها أن تخبرها عن المكان الذي يختبئ فيه توريدو.

أخيراً تقول لوتشيا إن توريدو ذهب ليجلب النبيذ من فرانكوفونت، فتأكد سانتوزا أن توريدو كان شُوهد في القرية الليلة الأخيرة. تسأل لوتشيا بذعر عن الذي أخبرها بذلك، لأن توريدو لم يكن في البيت. عندئذ تتحرك مشاعر لوتشيا بتأثير من ألم الفتاة وتدعوها إلى داخل البيت. تصيح سانتوزا قائلة بأنها لا تجرؤ على الدخول لأنها محرومة كنسياً. تعود لوتشيا لتسأل سانتوزا إن كانت تعرف شيئاً عن ابنها، لكن سانتوزا تتحدث فقط عن آلام قلبها المبرحة.

في تلك اللحظة تتحول الموسيقا بنعومة إلى ستاكاتو إيقاعي يتصاعد بتسارع إلى أعلى. وتطقطق ضربات سوط بحدة، وتجلجل الأجراس بمرح حين يدخل ألفيو سائق العربة المرح الساحة يحوط به أصدقاؤه. ويستهل ألفيو الغناء بأغنية مفعمة بالحيوية تدور حول حصانه الرائع وأجراسه المجلجلة وسوطه المفرقع «Il cavallo scalpita». إنه غير عابئ إن كان الجو ماطراً أم صحواً. ينضم الرجال يحيون سائق العربة وكأنه شخص استثنائي لديه حرفة لا يجاريه فيها أحد. ويغني ألفيو بابتهاج النعيم الذي ينتظره في عيد اتحاده من جديد بزوجته الفاتنة لولا. يتوقف الجيران للإصغاء، ثم ينضمون بسرعة إلى ألفيو مشكلين كورساً نشطاً.

عندما يتفرق الحشد، تحيّي لوتشيا ألفيو الذي يسألها هل مازال لديها شيء من النبيذ الجيد، فتخبره بأن توريدو كان ذهب إلى البلدة المجاورة لجلب مؤونتها منه، لكن ألفيو يعلن أنه كان شاهد توريدو هذا الصباح بالقرب من كوخه (كوخ ألفيو). وعندما تهتف لوتشيا دهشة، تسألها سانتوزا أن تبقى هادئة. عندئذٍ يمضي ألفيو في طريقه حاثاً جيرانه على دخول الكنيسة.

في داخل الكنيسة يبدأ الكورس بإنشاد أنشودة «Regina Coeli» المهيبة. ثم يبدأ سكان البلدة في الساحة إنشاد ترنيمة البعث المناسبة لصباح عيد الفصح. ويحلق صوت سانتوزا فوق صوت الكورس وهي ترافق اللحن دافعة العبارات إلى ذروة عظيمة.

وفي الحال يدخل الناس إلى الكنيسة بينما تبقى في الخارج سانتوزا ولوتشيا. تسأل لوتشيا سانتوزا لماذا أمرتها بالصمت أثناء حديثها مع ألفيو؟ وجواباً على ذلك تبدأ سانتوزا بغناء الآريا الشهيرة «Voi lo sapete» التي تخبر المرأة العجوز من خلالها القصة الموجعة بكاملها. إنها تذكر في الأغنية أن توريدو كان مرتبطاً بـ لولا قبل التحاقه بالجندية، وعند عودته يجدها قد تزوجت من آخر. ولكي يُسلّي نفسه يتخذ من سانتوزا عشيقة له. لكن الحسد والغيرة يدفعان لولا إلى إغواء توريدو ليعود إليها من جديد، والآن، تغني سانتوزا، لم يبق لديها شيء سوى البكاء والنحيب.

تصاب لوتشيا بالرعب لدى سماعها القصة الآثمة في هذا اليوم المقدس. وتصرخ سانتوزا قائلة بأنها ملعونة، وتتوسل إلى لوتشيا أن تصلي من أجل روحها، وتردف بأنها ستعود إلى توريدو ثانية وتلتمس حبه. تدخل لوتشيا الكنيسة ببطء وهي تتمتم بصلاة من أجل سانتوزا، تاركة الفتاة وحيدة في الساحة.

في تلك الأثناء يظهر توريدو ويصرخ دهشاً عندما يرى سانتوزا « Tu qui Santuzza» ، ويحاول تجنب أسئلتها حول المكان الذي أتى منه ، ويقسم بأنه قدم تواً من فرانكوفونت ، فترد سانتوزا بحسم قائلة بأنها رأته بنفسها في القرية ، والأنكى من ذلك أنه شوهد قرب منزل لولا هذا الصباح. يستولي الغضب على توريدو ويتهم سانتوزا بالتجسس ، تنكر سانتوزا ذلك قائلة بأن ألفيو نفسه روى القصة ـ وسوف ينشرها في القرية. يلجأ توريدو إلى المخادعة فيعنف الفتاة على ارتيابها ويأمرها بالابتعاد. إنه ينكر حبه لـ لولا. تحتدم سانتوزا غيظاً وتلعنه ، وبينما يرتد توريدو برعب تقول بأن لولا غررت به. آنئذٍ تندمج الإتهامات الغاضبة في ثنائي دراماتيكي عنيف «Bada, Santuzza, schiavo non sono». وبقسوة يأمر توريدو سانتوزا بالصمت ، ويؤكد أن غيرتها لن تستعيده. فتصرخ سانتوزا قائلة بأنه على الرغم من أنه قد يدوسها ويلعنها إلا أنها ستظل تعبده.

فجأة يقاطع كلماتهما صوت امرأة آتياً من بعيد ، إنها تغني بمرح واستهزاء حول (ملك الورود) «Fior di giaggiolo» ، ثم تظهر لولا ، وتسأل توريدو وهي تتصنع الدهشة إن كان قد رأى ألفيو. تتجاهل لولا رد توريدو المرتبك وتضيف بلا مبالاة بأن ألفيو قد يكون يتحدث مع الحداد ، ثم تسأل بخبث مدروس كلاً من توريدو وسانتوزا عما إذا كانا يؤديان طقوس عبادتهما في الساحة. يحاول توريدو الذي ارتبك بصورة كاملة أن يفسر شيئاً ، لكن سانتوزا ترد بغضب قائلة إنه عيد الفصح وإن الله يرى الجميع. وتسألها لولا : هل هي ذاهبة لحضور القداس؟ فتجيب سانتوزا بصورة جارحة قائلة إن الذين بلا خطيئة هم فقط من يتوجب عليهم الذهاب. وباستهانة تشكر لولا الله على أنها بلا خطيئة ، إثر ذلك تثني عليها سانتوزا بتهكم. يقاطع توريدو ذلك بنفاد صبر ويهم باللحاق بـ لولا إلى داخل الكنيسة ، لكن لولا تطلب منه بسخرية أن يبقى مع

سانتوزا، التي تعود لتتوسل إلى توريدو. وتدخل لولا الكنيسة بعد أن تبارك سانتوزا مباركة تجديفية ساخرة.

يعود توريدو للشجار ثانية مع سانتوزا التي تحاول كبح جماحه ومنعه من دخول الكنيسة، وتَناشده ألا يتركها «No, Turiddu, rimani». يتساءل توريدو بوحشية: لمَ تصرُّ على التجسس عليه؟ ويبلغ الثنائي ذروة الانفعال عندما تتضرع سانتوزا إلى توريدو أن لا يهجرها، في حين يطلب منها توريدو بغضب أن تدعه وشأنه. وفجأة يدفعها في غضب وحشي إلى الأرض ويهرع إلى داخل الكنيسة، فتلاحقه سانتوزا بلعناتها وتنعته بالخائن.

تتطلع سانتوزا إلى أعلى فترى ألفيو يقترب منها، فتستعيد بسرعة رباطة جأشها وتقف على قدميها، وتقول لـ ألفيو إن الرب أرسله في هذه اللحظة. يسألها سائق العربة إلى أي مدى بلغ القداس، فتجيب بأنه كاد أن ينتهي، ثم تضيف بنغمة ذات مغزى قائلة بأن لولا وتوريدو يحضران القداس معاً. يسألها ألفيو بلهجة لا ارتياب فيها: ماذا تعني؟ وبحقد بارد تخبره سانتوزا بأنه في الوقت الذي كان غائباً عن البيت من أجل الرزق كانت لولا تبحث عن متعتها مع شخص آخر. يسألها ألفيو مذعوراً إيضاح ما تعنيه بكلامها. تجيب سانتوزا ببساطة إنها الحقيقة، فتوريدو هجرها لأنه لم يستطع مقاومة فتنة لولا. يهددها ألفيو بأنه سيمزق قلبها إن كانت كاذبة. ترد سانتوزا بحسم أن الكذب ليس من شيمها ثم تقسم بأن ما قالته هو الحقيقة بعينها.

يتبع ذلك توقف طويل، وبعد ذلك يشكر ألفيو سانتوزا بهدوء. تُعبّر سانتوزا عن خزيها مما قالته، لكن ألفيو يعلن بأن الخزي يجلل الحبيبين المذنبين، فقد وقعا في الشبكة، وسوف ينتقم قبل انقضاء اليوم. يتبع ذلك ثنائي عاصف

تصرخ فيه سانتوزا بمرارة نادمة على خيانة توريدو، في حين يقسم ألفيو على الانتقام الرهيب. «Infami Loro». وفي نهاية المقطع يهرعان بعيداً مخلفين المشهد مقفراً تماماً.

ثم يتبع ذلك الـ إنترميتزو الشهير تعزفه الأوركسترا بينما تبقى الساحة خالية تماماً، وتوفر هذه الموسيقا الهادئة الجميلة لحظة سكون مريح، لكنه يشبه السكون الذي يسبق العاصفة، فالمأساة توشك أن تحدث، ولأن العاشقين يؤديان طقوس العبادة، فهما الآن في أمان من انتقام ألفيو.

وعند انتهاء الـ إنترميتزو يخرج سكان القرية والفلاحون من الكنيسة، إنهم في مزاج طيب. بعضهم يتجمع أمام حانة لوتشيا ويملؤون كؤوسهم. ويغني الرجال بنعومة ويحثون الجميع على الذهاب إلى البيت للاستمتاع بالموقد بعد انقضاء الواجبات الدينية. تكرر النساء العبارات ثم يغني الجميع معاً. يخرج توريدو ومعه لولا من الكنيسة، يشير توريدو إلى الحشد، ويسأل لولا بمرح هل ستفوت فرصة لقاء الأصدقاء القدامى، ترد لولا أنه يتوجب عليها الذهاب إلى البيت لأنها لم تر حتى الآن ألفيو. يجيب توريدو بلا مبالاة بأن من المحتمل أن ترى زوجها في الساحة.

يدعو توريدو الجمع لاحتساء كأس ثم تبدأ أغنية الشراب الشهيرة « Viva il vino spumeggiante». وعندما تنتهي الأغنية بكورس جذل يظهر ألفيو فجأة. يغني ألفيو محيياً فيجيبه أصدقاؤه بحيوية. يقدم له توريدو كأس نبيذ، فيرفضها ألفيو قائلاً بأنه لا يثق بشراب يقدمه له توريدو ـ فربما كان مسموماً. يشعر توريدو بالإهانة فيسكب الخمر على الأرض بلا مبالاة. تهتف لولا برعب بينما تحثها النساء على مغادرة المكان. يسأل توريدو ألفيو إن كان لديه أي قول يقوله. وعندما يأتي الرد بـ لا، يعلن توريدو التحدي التقليدي، فيقبل ألفيو

التحدي، عندئذ، وطبقاً للتقليد الصقيلي الحقيقي، يتعانق الرجلان، ويعض توريدو أذن ألفيو، فيعلق ألفيو قائلاً بأن كل واحد منهما يفهم الآخر.

وفي تغيير مفاجىء في المزاج يعترف توريدو بأنه كان مخطئاً بحق ألفيو وأنه يستحق الموت مثل الكلاب. ويقول بتفجع إنه لو قتل في هذه المبارزة فإن سانتوزا المسكينة ستفقد عشيقها. لكنه يضيف بجرأة أنه مازال ينوي إغماد خنجره في قلب ألفيو. فيجيب ألفيو ببرود أنه سيلاقي توريدو وراء جدار الحديقة، ثم ينصرف.

يدعو توريدو أمه ويخبرها بأنه أفرط كثيراً في الشراب، وأنه ذاهب ليتمشى حتى يصفو ذهنه. وقبل أن يذهب يلتمس بركتها ـ كما فعل ذلك قبل التحاقه بالجندية. ثم يطلب من لوتشيا بعبارات ملتهبة أن تكون أماً لـ سانتوزا ـ التي أقسم على العناية بها ـ إن هو لم يعد «Voi docrete fare».

تسأله لوتشيا بجزع عن معنى كلماته الغريبة، فيجيبها بأن الخمرة ذهبت بعقله. ثم يتوسل إلى الله أن يمنحه المغفرة، ويقبل أمه قبلة الوداع. تحلق الموسيقا الآن ويطلب توريدو من أمه ثانية أن تعتني بـ سانتوزا، ثم يندفع خارجاً.

تحاول لوتشيا اللحاق به وهي تناديه، تندفع سانتوزا وتمسك بذراعي لوتشيا. يتجمع الناس هلعين في الساحة. وفجأة تندفع امرأة وهي تصرخ «توريدو قُتل!» يصرخ الجميع برعب؛ تسقط سانتوزا ولوتشيا على الأرض في حالة إغماء. وتسدل الستارة.

كلهن هكذا

Così fan tutte

اوبرا من فصلين للمؤلف فولفغانغ اماديوس موتسارت

W. A. Mozart 1756-1791. وضع نصها لورنزو دا بونته

الشخصيات

فيراندو، ضابط شاب يحب دورابيلا	تينور
غويليلمو، ضابط شاب يحب فيورديليجي	باص
دون ألفونسو، كهل أعزب	باريتون
فيورديليجي، سيدة من فيرارا	سوبرانو
دورابيلا، شقيقتها	ميتسو- سوبرانو
ديسبينا، خادمتهما	سوبرانو

سكان مدن، جنود، مغنون، موسيقيون، سيدات وسادة، خدم

المكان: نابولي

الزمن: القرن الثامن عشر

التقديم الأول: بورغتياتر، فيينا، ٢٦ كانون الثاني عام ١٧٩٠

اللغة الأصلية: الإيطالية

إن أوبرا «كلهن هكذا» التي كتبها موتسارت بتكليف من الإمبراطور فرانزجوزيف الثاني، هي واحدة من أوبرات المؤلف الأخيرة، فقد أتبعها بأوبرا «رأفة تيتوس» و«الناي السحري». وعلى الرغم من أن العمل أخفق نسبياً في تقديمه الأول ـ والسبب في ذلك كما يقال هو ضعف الليبريتو ـ إلا أنه يتضمن بعضاً من موسيقا موتسارت الأكثر إمتاعاً. أما العنوان الكامل للأوبرا فهو «كلهن هكذا أو مدرسة للعشاق».

تؤكد الافتتاحية اللامعة، على نحو بارز، ثيمةً واحدة ستسمع في نهاية الأوبرا تقريباً. سيغنيها دون ألفونسو، و فيراندو، و غوبليلمو، حين يعبِّرون عن الفكرةالأساسية للأوبرا نفسها ـ «كلهن هكذا».

الفصل الأول:

المشهد الأول: مقهى في نابولي. فيراندو وغوبليلمو يجادلان بحرارة دون ألفونسوحول ما إذا كانت النساء قادرات على الإخلاص أم لا. يستشهد الضابطان بمحبوبتيهما فيورديليجي ودورابيلا بصفتهما مثالاً للفضيلة والوفاء، في حين يسخر دون ألفونسو بثقتهما الساذجة بالجنس اللطيف. يتبع المجادلة ثلاثي غنائي«la mia Dorabella capace none è». وأخيراً يُراهنُ دون ألفونسو على مئة قطعة نقدية سيدفعها إذا برهنت السيدتان الشابتان على إخلاصهما بعد وضعهما في الاختبار. يقبل العاشقان التحدي. وفي نهاية المشهد يناقش فيراندو وغوبليلمو مسألة كيفية إنفاق المال بعد أن يكسباه.

المشهد الثاني: حديقة فيلا فيورديليجي ودورابيلا في خليج نابولي. تحدق الشقيقتان إلى صورتي عشيقيهما وهما تغنيان إعجاباً بهما « Ah guarda , sorella» وحين تعبران عن نفاد صبرهما بسبب تأخر السيدين عن المجيء،

يدخل ألفونسو ويخبرهما قائلاً : إن فيراندو وغويليلمو أُمرا بأن يلتحقا غداً بالفوج ، ثم يتابع قائلاً : وعلى الرغم من رغبة الخطيبين في تجنب محنة الوداع المؤلمة ، فهما ينتظران خارجاً وسوف يحضران إن رغبت المرأتان في ذلك. و هكذا يدعو ألفونسو الضابطين ، و يتبع ذلك خماسي غنائي ممتع. يتظاهر فيراندو بالغم من تحول الأحداث المؤسف ، في حين تئن الشقيقتان قائلتين إنهما تفضلان أن تقتلا بدلاً من أن تفصلا عن عشيقيهما. يؤكد الضابطان على حدة ، لـ ألفونسو أن ذلك الوفاء كافٍ لإثبات الإخلاص ، لكن الدون يعلق قائلاً بقناعة إنه سيفوز بالرهان.

يعانق فيراندو و غويليلمو المرأتين ويؤكدان لهما حبهما الذي لن يموت ، في ثنائي غنائي عاطفي «Al fato dan legge quegli occhi vezzosi». يقاطع وداعهما صوت طبول يسمع من بعيد ، ويعلن دون ألفونسو أن الفوج يتهيأ للصعود إلى السفينة.

زمرة من الجنود يتبعها بعض السكان المدنيين تسير على نحو منظم ، و نسمع كورساً عسكرياً يرافقها. يستمر الخماسي الغنائي فيغني فيراندو وغويليلمو وداعهما و ترجوهما المرأتان أن يكتبا لهما باستمرار ــ على الأقل رسالتين في اليوم ، كما قالت دورابيلا. ثمة إعادة للكورس ، وعندئذ ينضم الرجلان إلى صف الجنود و يبتعدان. يغني دون ألفونسو وفيورديليجي ودورابيلا ثلاثياً غنائياً فاتناً ، متمنين للبطلين سفراً ميموناً. وحين تغادر الشقيقتان يعبر دون ألفونسو عن رضاه عن التقدم الذي أحرزته خطته ، مضيفاً ملاحظة مفادها أن من يضع ثقته بالنساء هو كمن يكنس البحر ، ويزرع في الرمال ، ويلتقط الريح بشبكة ، فكل ذلك عبث في عبث.

المشهد الثالث: غرفة مجاورة لغرفتي الشقيقتين. تدخل ديسبينا وهي تحمل صينية.ومن خلال أغنية قصيرة تتذمر من وضع الخادمة المشغولة دائماً و التي تحاول الإسراع في تنفيذ نزوات سيدتين شابتين. تدخل دورابيلا وهي في حالة انفعال شديد. وتأمر ديسبينا بإغلاق النوافذ وإسدال الستائر قائلة إنها لم تعد تحتمل النور ولا النسيم منذ غادر عشيقها. وحين تخرج الخادمة تغني آريا دراماتيكية «Smanie implacabili» تعبر فيها عن حزنها وأساها. تعود ديسبينا مع فيورديليجي التي تعبِّر عن تعاطفها مع شقيقتها. تتجرأ ديسبينا وتقول: إن السيدتين تأخذان غياب عشيقيهما على نحو جاد جداً. ثم تضيف متفلسفة: حتى إن قتلا في المعركة فذلك يعني فقد رجلين فقط، تاركين السيدتين حرتين في اختيار رجلين آخرين من هذا العالم. ثم تعمق أحاسيسها في الآريا « In uomini, in soldati» التي أثارت سخط السيدتين من ذلك التهكم.

يدخل ألفونسو بحذر ويستطلع رأي ديسبينا حول مشكلة السيدتين. تقر الخادمة قائلة بأنهما تستحقان المواساة من رفيقين ذكرين. إثر ذلك يرشو دون ألفونسو الخادمة لكي تساعده في تنفيذ خطته التي أعدها مسبقاً. لقد أحضر معه مرشحين، إنهما بالطبع فيراندو و غويليلمو متنكرين ومنتحلين شخصية ألبانيين مع لحية كثة. وحين لا تبدر من ديسبينا إشارة تدل على أنها تعرفت على الضابطين، بل عبرت عن عدم رضاها عن ظهورهما البربري، يستنتج المتآمرون الثلاثة أنهم سيكونون في مأمن من اكتشاف السيدتين لهذين الشخصين. ولدى سماع صوت اقتراب دورابيلا وفيورديليجي يتوارى دون ألفونسو عن الأنظار.تدهش الشقيقتان من ظهور الرجلين في المنزل، وتوبخان ديسبينا لأنها سمحت للغرباء بدخول المنزل. وازدادت حيرتهما حين انحنى «الألبانيان» أمامهما وهما يصرحان عن حبهما. هنا ينمو الحوار على نحو مسلٍ. يطمئن سلوك

السيدتين الحانق فيراندو وغويليلمو على إخلاصهما، بينما تتعجب ديسبينا من قابلية جنسها على استحضار عرض مقنع للعواطف في طرفة عين. يظهر دون ألفونسو و يعرّف بنفسه ثم يحيي الألبانيين بصفتهما صديقين منذ فترة طويلة، ويطلب منهما، على انفراد، أن يلعبا دورهما وفقاً لإرشاداته. تزداد حماسة الضابطين وهما يلتمسان ود السيدتين. فتأمرهما فيورديليجي، بعد أن أغاظها إصرارهما، بمغادرة المكان«Stelle che dir! » ثم تعلن أن حبها ثابت ثبات صخرة في قاع المحيط، وتعنف الغريبين لمحاولتهما حرف منحى عواطفها. إنها تعبر عن هذه الأفكار العاطفية في آريا شهيرة «Come scoglio» تتميز بمقاطعها اللامعة ومساحة مداها الصوتي الرائع.

لكن احتجاجات فيورديليجي تؤجج حماسة الغريبين وتجعلهما أكثر إلحاحاً في توسلاتهما، في حين يتدخل دون ألفونسو لوضع الأمور في مسارٍ مرضٍ، إذ يقول إن صديقيه فارسان نبيلان محترمان. ثم يغني غويليلمو بطريقة زائفة أغنية يتوسل فيها إلى السيدتين أن تتفحصا بحذر ثم يقترحا أي تغيير من شأنه أن يجعلهما أهلاً لهما. لا تؤثر شهامته في السيدتين و تنسحبان من الغرفة على نحو متغطرس. يتبع ذلك ثلاثي غنائي مرح «E voi ridete?» يعرب فيراندو وغويليلمو عن رضاهما في حصولهما على دليل مقنع على إخلاص السيدتين ووفائهما، ويضحكان من دون ألفونسو لأنهما كسبا حتى الآن ثلاثة أرباع الرهان. يعلق دون ألفونسو قائلاً : من يضحك أخيراً يضحك أكثر، وإن الرهان الأصلي ما زال قائماً. يقبل الرجلان التحدي ويوافقان على المضي طبقاً لأوامره حتى اليوم التالي.

المشهد الرابع: حديقة منزل الشقيقتين. في ثنائي غنائي عذب تنوح الشقيقتان على غياب عشيقيهما «Ah! che tutta in un momento». يندفع

فيراندو وغوليلمو، وهما لا يزالان متنكرين إلى الداخل يتبعهما دون ألفونسو، الذي يظهر وكأنه يحاول تهدئتهما. لكن الاثنين يشربان محتوى قارورة صغيرة بعد أن يعلنا أنهما ليسا بقادرين على الاستمرار في الحياة إن كان حبهما غير متبادل. يخبر دون ألفونسو السيدتين الهلعتين قائلاً: إن الألبانيين تجرعا السم. يلوم الاثنان، بعد أن يرتميا على الأرض، دورابيلا وفيورديليجي على عدم مبالاتهما، ثم يتظاهران بالاستسلام إلى تأثير السم.

تنادي السيدتان ديسبينا وقد أفزعهما ما يجري. تطلب ديسبينا، بعد أن عبرت عن هلعها، من السيدتين مواساة الضحيتين، ثم تهرع ومعها دون ألفونسو لجلب طبيب. وحين يذهب الاثنان لإحضار الطبيب، تركع دورابيلا وفيورديليجي بجانب الرجلين تجسان نبضهما وتصغيان لسماع دقات قلبيهما.

تعود ديسبينا متنكرة بزي طبيب يرافقها دون ألفونسو. تفحص الضحيتين وهي تتمتم بعبارات لاتينية، تجس نبضيهما وتتحسس جبينيهما بطريقةحِرفية. يعلن «الطبيب» قائلاً: إن وضعهما ناتج عن الجرعة التي تجرعاها. تعلمه دورابيلا قائلة: إن الرجلين اضطربا بفعل الحب فتجرعا الزرنيخ. يحضر الطبيب مغناطيساً عريضاً ويطلب من الجميع أن يكونوا شهوداً على القوة الشافية لاختراعه الجديد. تغني ديسبينا وهي تمرر المغناطيس فوق جسدَيْ الرجلين «Questo e quel pezzo».

يبدأ فيراندو وغوليلمو بالارتجاف ثم بالانتعاش بعودتهما إلى الحياة. يسأل فيراندو وغوليلمو، وهما يحدقان إلى دورابيلا وفيورديليجي، إن كانا يحدقان إلى ملاكين أم إلى إلهتين، ثم يتظاهران بالفرح لاكتشافهما أن هاتين الجميلتين هما ما يبحثان عنه للموت من أجله. ترتبك الشقيقتان من حماسة الألبانيين، ويزداد ارتباكهما حين يلتمس الرجلان بعض القبلات من أجل الشفاء الكامل.

تستشيط دورابيلا وشقيقتها من وقاحة الرجلين على الرغم من نصح ديسبينا ودون ألفونسو بقبلة بداعي الشفقة. يغني الرجلان قائلين إن رفض السيدتين منحهما القبل لهو دليل مريح على إخلاصهما. يُعبر عن هذه العواطف المختلفة في خماسي غنائي ينهي الفصل الأول.

الفصل الثاني

المشهد الأول: غرفة في منزل الشقيقتين. تتجاذب دورابيلا وفيوردليجي أطراف الحديث مع ديسبينا. تحاول ديسبينا تأكيد أن السيدتين تحرمان نفسيهما من المتعة برفضهما تودد الألبانيين. وتجزم قائلة: إن النساء خُلقن للحب، وقد زودت العناية الإلهية الرجال بالقدرة على الحب، ثم تؤكد لسيدتيها أن الألبانيين نبيلان شهمان، وإن بدا تصرفهما غريباً بعض الشيء فإن مرد ذلك هو تأثير السم الذي تجرعاه. تبدي الشقيقتان بعض الاهتمام، وتسألان عما ستكون طبيعة سلوكهما إن رضيتا صحبة الألبانيين.

تشرح ديسبينا نظرياتها حول فن الحب في آريا فخمة « una donna a quindici anni». إنها تغني قائلة: حتى الخادمة ابنة الخامسة عشرة ينبغي أن تعرف فنون الحب، النظرات الماكرة، تصنُّع الرفض، التعذيب المخادع ـ الذي يجعل الرجل عبداً للمرأة. ثم تختتم الآريا بتقديم نصيحة حول هذه المواضيع. وبعد أن تغادر تسوغ الشقيقتان قبولهما بمجاملة الألبانيين.وفي ثنائي غنائي تعلن دورابيلا قائلة: إنها تفضل «الشاب الأسمر» بهدوئه وتصرفه الرقيق، في حين تقرر فيوردليجي أخذ الشاب الآخر، الأشقر المفعم بالحيوية. ثم تتسلى الشقيقتان بوصف الطريقة التي ستتبادلان فيها التنهيدة بتنهيدة، والنظرة بنظرة مع الألبانيين. يقاطع دون ألفونسو محادثتهما، إذ يهرع ليطلب منهما الانضمام إليه في آخر الحديقة، فهناك قرب شاطئ البحر ستجدان التسلية التي تروقهما.

المشهد الثاني: بقعة جميلة على الشاطئ مع ميناء صغير في الخلفية. يُرى قارب جميل في المرسى على متنه فيراندو وغويليلمو (بزي ألباني) وبصحبتهما موسيقيون وضيوف. حين تظهر دورابيلا وفيورديليجي ترافقهما ديسبينا ودون ألفونسو، يغني الرجلان سيرينادا شجياً «secondate, aurette amiche» ثم يتقدمان ويحييان السيدتين اللتين تستجيبان بخفر. تمثل ديسبينا ودون ألفونسو بتكلُّف دور من سيصبح عشيق الآخر ثم يتركان الأربعة وحدهم.

ترافق فيورديليجي فيراندو في حين ترافق دورابيلا غويليلمو، ويتجول الثنائيان في الحديقة. وحين تتوارى فيورديليجي وفيراندو وسط الأشجار تتابع دورابيلا وغويليلمو محادثتهما الودية في شكل ثنائي غنائي «Il core vi dono». يقنع غويليلمو دورابيلا بأن تقبل، كرمز لحبه، قلادة في شكل قلب، ثم يخلع عقدها الذي يحمل صورة منمنمة لـ فيراندو، ثم يطوقه بعنقه.

يعود فيراندو و فيورديليجي للظهور، ولكن يبدو واضحاً أن فيراندو لم ينجح في إغوائها فقد شُجب بشدة كوحش شرير يحاول إغواء عذراء بريئة بالغش و الخداع، وأُمر بالرحيل. يصرح فيراندو عن حبه الشديد بأغنية عاطفيةٍ « Ah! io Veggio quell anima bella»، ثم ينسحب مظهراً خيبة أمل كبيرة.

تعبر فيورديليجي عن انزعاجها وريبتها في ريسيتاتيف دراماتيكي « Ei Parte! Senti! Ah! no!» وفي آريا «Per pietá, ben mio Perdona». في البداية تعبر عن ارتياحها برحيل الغريب، إذ نجت من الوقوع في التجربة وإلا كان من الممكن أن تستسلم. ثم تعترف بأنها كانت عرضة لتنساق وراء الرغبات التافهة. ثم تبتعد مضطربة مشوشة.

يعود الرجلان ليقيِّما غزواتهما. فيراندو يشجع غويليلمو بإعلانه عن رفض فيورديليجي تودده، ويهنئه على امتلاكه خطيبة مخلصة ووفية. لكن غويليلمو

يُكرهه على الاعتراف بأن دورابيلا بدت مستجيبة لتودده، حتى إنها أعطته صورة فيراندو المنمنمة رمزاً لحبها. يغلي فيراندو غضباً ويقسم على الانتقام. لكن غويليلمو يهدئه ويحذره من ارتكاب عمل قد يدمر حياته، وكل ذلك فقط بسبب امرأة. يتلو ذلك آريا يتحدث فيها غويليلمو بمرارة عن نزعة المرأة المهلكة للخداع. وحين تنتهي الآريا يسير مبتعداً ، تاركاً فيراندو ليعبر عن تحرره من الآمال الكاذبة والغم في آريا دراماتيكية. وعلى الرغم من خيانة دورابيلا يعترف بأنه ما زال يحبها.

يدخل دون ألفونسو في الوقت المناسب فيسمع هذه العواطف النبيلة، وبسخرية يهنئ الشاب على حبه الشديد. يلتفت إليه فيراندو بغضب قائلاً له إنه مسؤول على نحو جزئي عن ذلك الوضع المشؤوم. لكن دون ألفونسو يتنصل من أية مسؤولية زاعماً أن غضب فيراندو طبيعي في مثل هذه الظروف. يعود غويليلمو ليؤكد قائلاً بتعالٍ: إن من المنطق أن تستسلم دورابيلا لإنسان مثله يتمتع بجاذبية أكبر. ويذكّر دون ألفونسو أيضاً بأن رفض فيورديليجي لفيراندو كلفه نصف الرهان. يجيب دون ألفونسو قائلاً: إن الاختبار لم ينته بعد، ويحذره من عد الفراخ قبل أن يفقس البيض.

المشهد الثالث: غرفة في منزل الشقيقتين. ديسبينا تخبر دورابيلا بأنها تصرفت على نحو طبيعي بوصفها امرأة. فتقول دورابيلا غاضبة بأنها لم تكن قادرة على مقاومة الألباني. تدخل فيورديليجي غاضبة من الطريقة التي حدثت بها الأمور. وتعترف بأنها تحب الخاطب الجديد. لكنها تنوح قائلة لا تنسوا أنه ليس غويليلمو. تنصحها دورابيلا بأن تدع الطبيعة تأخذ مجراها، وتضيف قائلة: إن إله الحب معجب بمن يطيع نزواته، لكنه يظلم من يعاكسها، ثم تغادر برفقتها ديسبينا.

تفصح فيورديليجي عن عزمها على البقاء مخلصة لحبيبها الحقيقي. يُرى من خلال الباب المفتوح فيراندو وغويليلمو ودون ألفونسو يراقبونها من الغرفة الأخرى وفجأة تخطر لها فكرة. تنادي ديسبينا وتطلب منها أن تجلب من غرفة الملابس سيفين وخوذتين وألبسة موحدة. وبعد عودة ديسبينا تكشف فيورديليجي بعد انصراف ديسبينا، خطتها: سوف تتنكر هي ودورابيلا بزي عشيقيهما وتلحقان بهما إلى أرض المعركة وتسلمان نفسيهما إلى ما يخبئه لهما القدر. وعلى الفور ترتدي فيورديليجي اللباس وتعبر عن حماستها بالمضي في مغامرتها. وبعد أن تغادر دورا بيلا الغرفة يدخل فيراندو فيجد فيورديليجي وحدها. وعلى الرغم من تنكرها يتبينها، وبما أنه ما زال غاضباً من غويليلمو من نجاحه مع دورابيلا، يجد الفرصة مؤاتية ليبدأ بمغازلة فيورديليجي بشراسة. في هذا الوقت تجد فيورديليجي صعوبة في مقاومة الألباني المتحمس فتستجيب لتودده، ويتعانق الاثنان.

يندفع غويليلمو إلى الداخل يتبعه دون ألفونسو. وفي غضب يلوم فيورديليجي على عدم إخلاصها. يعود فيراندو إلى الظهور ويهم الاثنان بالاقتتال، إلا أن دون ألفونسو يهدئهما وينصحهما بالزواج من السيدتين. وفي مقطع قصير يغني قائلاً: إن النساء، في مواضيع الحب، يتصرفن على نحو لا يمكن التنبؤ به «Così fan tutte ـ كلهن هكذا». يردد فيراندو وغويليلمو العبارة معه.

المشهد الرابع: غرفة الولائم حيث يحتفل الأزواج الأربعة بحفل العرس. يرحب بهم دون ألفونسو وديسبينا وكورس الخدم. ثم يغني العشاق بعضهم لبعض بسعادة. يعلن دون ألفونسو عن وصول موثق العقود لتوثيق عقدَيْ الزواج. يجلب ديسبينا المتنكرة بهيئة موثق عقود، تقرأ ديسبينا شروط العقد ـ

ستتزوج فيورديليجي «سيمبرونيو» وستتزوج دورابيلا «تيزيو». وحين يتم توقيع العقدين يُسمع من خلف المشهد صوت كورس الجنود. يغادر دون ألفونسو ليستطلع الأمر ويعود بعد لحظة بأخبار مفزعة تفيد بأن فوج فيراندو وغويليلمو قد عاد.

تصاب فيورديليجي ودورابيلا بالذعر وتدفعان زوجَيْ المستقبل إلى غرفة أخرى، وتلحق بهما ديسبينا. يحاول دون ألفونسو تهدئة السيدتين مؤكداً أن كل شيء سيكون على ما يرام. يظهر فيراندو وغويليلمو وقد نزعا لباسهما التنكري ويحييان خطيبتيهما. يبدي الضابطان اهتماماً كبيراً بالسيدتين المهتاجتين، في حين يعلن دون ألفونسو أن الشقيقتين كانتا ضحية نفاقهما. يهتف غويليلمو متظاهراً بأنه ذاهب إلى الغرفة الأخرى لوضع حقيبته، بأن موثق العقود هناك. إثر ذلك تدخل ديسبينا وهي تقول إنها قادمة من حفلة رقص تنكرية حيث تنكرت بزي موثق عقود.

في تلك اللحظة يطلب دون ألفونسو، على حدة، من الضابطين التقاط عقدَيْ الزواج اللذين أسقطهما. يلتقط فيراندو الأوراق ويتفحصها مع غويليلمو، ثم يلتفتان نحو المرأتين وعلى وجهيهما تعابير مهددة بالانتقام من الخائنتين. تتوسل السيدتان وقد شعرتا بالندم، إلى عشيقيهما بأن يقتلاهما لأنهما لم تكونا مخلصتين.

يعلم دون ألفونسو الضابطين بأن ثمة برهاناً مأسوياً ينتظرهما في الغرفة المجاورة، ثم يقودهما إليها. وبعد لحظات يعود ومعه رجلين متنكرين بزيٍّ ألباني. هنا تنجلي الأمور بسرعة. يكشف فيراندو لـ فيورديليجي عن هويته الحقيقية، ويقدم غويليلمو لـ دورابيلا الصورة المنمنمة ويطلب منها إعادة قلادته. ثم يغني الضابطان قائلَيْن إن كل هذا كان اختراعاً.

تلوم السيدتان دون ألفونسو على ما أصابهما من عناء، فيرد قائلاً بطيبة إنه سعى فقط لإثبات إيمانه بالزعم القائل بأنه في أمور الحب فإن النساء في العالم هن ضحية ضعفهن. ويحث الأربعة على نسيان تعقيدات الماضي وعلى أن يضع كل واحد ثقته في الآخر، يغني الستة الأساسيون بفرح ختام الأوبرا.

دون جيوفاني
Don Giovanni

للمؤلف فولفغانغ أماديوس موتسارت.

وضع نصها لورنزو دابونتي.

الشخصيات

دون جيوفاني ، نبيل شاب داعر	باريتون
دون بيدرو ، حاكم إشبيلية	باص
دونا آنا ، ابنة دون بيدرو	سوبرانو
دون أوتافيو ، خطيب دونا آنا	تينور
دونا إلفيرا ، نبيلة من بورغوس	سوبرانو
ليبوريلو ، خادم دون جيوفاني	باص
زيرلينا ، فلاحة شابة	سوبرانو
مازيتو ، فلاح ، خطيب زيرلينا	باص

فلاحون ، راقصون ، موسيقيون ، عفاريت

المكان   في إشبيلية وفي القرب منها

الزمان   القرن الثامن عشر

التقديم الأول   المسرح الوطني في براغ في ٢٩ تشرين الأول عام ١٧٨٧

اللغة الأصلية   الإيطالية

بنيت الأوبرا على عمل أدبي، يعود تاريخه إلى القرون الوسطى، يروي قصة دون جيوفاني (أو دون خوان بالإسبانية) العاشق الإسباني الأسطوري، زير النساء الفاسق القاسي الذي يطارد النساء، والذي استحق على سلوكه التجديفي عقاباً دراماتيكياً.

الفصل الأول

المشهد الأول: ساحة أمام قصر الحاكم دون بيدرو في إشبيلية. الوقت نحو منتصف الليل في ضوء القمر. ليبوريلو ينتظر دون جيوفاني، الذي دخل سراً القصر لإغواء دونا آنا. يتذمر الخادم، الذي تعب وفقد صبره، من نشاطات سيده التي تجعله يصل الليل بالنهار (Notte e giorno faticar)؛ إذ ينبغي عليه أن يراقب بينما ينتقل سيده من امرأة إلى أخرى. الأجرة سيئة، والطعام أسوأ. إنه أذكى من أن يكدح هذا الكدح، وسوف يترك الدون ويغدو سيداً. لكنه ما إن يسمع وقع خطوات حتى تتلاشى كلماته الجريئة.

يخرج دون جيوفاني من القصر مسرعاً. ثمة شكل يشبه العباءة في نزاع مع دونا آنا التي ترتدي ثياب النوم. إنه يحاول الهرب، لكنها تتشبث بذراعه محاولة رؤية وجهه ومتسائلة عن اسمه. وحين تصرخ طالبة النجدة يهددها. تجلب صرخات دونا آنا والدها الحاكم الأشيب إلى المشهد. وحين تراه قادماً تعود وتدخل القصر. يندفع والدها لنجدتها وهو يحمل مشعلاً بيده اليسرى وسيفاً بيده الأخرى، ويصرخ قائلاً للدون «استل سيفك ودافع عن نفسك». يمتنع دون جيوفاني عن التورط في مبارزة مع عجوز، لكن الحاكم يصر. وبهدوء يتفادى دون جيوفاني طعنات دون بيدرو، ثم يحتدم القتال بينهما على نحو جاد. وأخيراً يطعن دون جيوفاني الحاكم طعنة قاتلة يموت بعدها وهو يلفظ بضع كلمات. يبرز

ليبوريلو المختبئ ويتظارف أمام سيده، لكن سيده لا يعبأ به. يعلن ليبوريلو قائلاً «فعلة حسنة، إغواء الابنة ثم قتل الوالد»، يجيبه دون جيوفاني قائلاً «إياك أن تتفوه بكلمة». وحين يضاء القصر وتعم الفوضى يهرب الاثنان.

تخرج دونا آنا من القصر يرافقها خطيبها دون أوتافيو وسيفه بيده، والخدم يحملون المشاعل. وحين يجدون دون بيدرو المقتول، تصرخ دونا آنا «أبي!» وترتمي فوق جثمانه. يحاول أوتافيو إنهاضها ومواساتها من خلال ريسيتاتيف تراجيدي. وأخيراً يقودها بعيداً ويأمر الخدم بحمل جثمان الحاكم. ويختتم المشهد بثنائي غنائي تصدُّ دونا آنا فيه أوتافيو الذي يحاول مواساتها برقة. لكنه يقسم بأنه سيجد القاتل، ثم يقسم الاثنان على الانتقام بمعونة السماء. وبينما يقود أوتافيو دونا آنا إلى القصر تسدل الستارة.

المشهد الثاني : طريق منعزل خارج المدينة، صباح اليوم التالي. ليبوريلو يحتج على سلوك جيوفاني وحياته ويخبره بأنه وغد، لكنه يتظاهر بالتذلل حين يهدده سيده. يقول دون جيوفاني لخادمه، وقد نسي أحداث الليلة الفائتة، إن ثمة سيدة جميلة يطاردها، وينبغي عليه أن يقابلها الليلة. فجأة يستنشق الدون الهواء ويقول «آه، اكتشفت عطراً أنثوياً»؛ فيقول: ليبوريلو «يا لها من حاسة شم قوية»، يتابع الدون «وصاحبته جميلة أيضاً»، فيقول ليبوريلو «يا لها من حاسة إبصار قوية».

يقول الدون، إن ثمة امرأة ذات خمار قادمة فلنراقبها. تغني المرأة بحزن عميق الرجل الذي أغواها أول مرة ثم هجرها (Ah! Chi mi dice mai). فيقرر الدون مواساتها. وحين يقترب منها لمواساتها يكتشف أنها السيدة إلفيرا التي خانها قبل سنوات في بورغوس، وهي الآن تبحث عنه لتثأر منه. وحين تكتشف

أنه الدون توبخه بسبب هجره لها بعد أن أعلن لها أنها ستكون زوجته مدى الحياة. يخبرها الدون قائلاً: إن لديه سبباً وجيهاً. وحين ترتاب بكلامه يقول لها مشيراً إلى ليبوريلو «هذا الشخص الصادق سيفسر لها كل شيء»، ثم يفر.

وحين تكتشف إلفيرا فرار جيوفاني تقف حائرة والحزن يعصر قلبها. يواسيها ليبرويلو ويطلب منها ألا تحزن فـ جيوفاني ليس جديراً بحزنها. فتقول «لكنه خانني»، فيقول ليبوريلو «واسي نفسك، فلستِ الأولى ولا الأخيرة». ثم يبدأ آريته الكوميدية الشهيرة (Madamina! Il Catalogo). يخرج كتاباً من جيبه، يفتحه ويقرأ معدداً السيدات اللواتي غزاهن الدون: ٦٤٠ في إيطاليا، ٢٣١ في ألمانيا، ١٠٠ في فرنسا، ٩١ في تركيا، ١٠٠٣ في إسبانيا؛ ثمة عذراوات، ونساء متزوجات، وكونتيسات، ودوقات، عجائز وشابات، بدينات ونحيلات، غنيات وفقيرات. وبعد انتهائه من الغناء يفر. والآن بعد أن أدركت إلفيرا طبيعة الدون تقرر الانتقام.

المشهد الثالث: مرج بجانب حانة. ذات الصباح. ثمة احتفالات وغناء ورقص. تجري مراسم زواج زيرلينا بـ مازيتو، وهما يرقصان ويغنيان مع مرافقيهما. يصل دون جيوفاني مع ليبوريلو. تقع عين الدون بسرعة على زيرلينا الجذابة. يقترب جيوفاني ويعرض صداقته على زيرلينا ومازيتو، ويدعوهما إلى قصره مع مرافقيهما ليحتفلوا فيه، ويطلب من ليبوريلو أن يركز انتباهه على مازيتو. يتعمد جيوفاني الانفراد بـ زيرلينا. يعترض مازيتو، لكن ليبوريلو يطمئنه قائلاً: إن جيوفاني سيعتني بها جيداً. لكن مازيتو يتابع احتجاجه، عند ذلك يلمس جيوفاني سيفه ويجبره على الابتعاد. يشرع جيوفاني بمغازلة زيرلينا، حتى إنه يقترح الزواج بها. تتجنبه بخجل في البداية، لكنها تذعن في النهاية. ويغني الاثنان ثنائياً رائعاً (là ci darem la mano). وفي غضون ذلك تظهر إلفيرا

وتراقب كل شيء من الخلف. وحين يشرع جيوفاني بالمضي مع زيرلينا، تعترضهما إلفيرا وتدعو جيوفاني بالوغد، وتعلن أنها أتت في الوقت المناسب لتحمي هذه الفتاة المسكينة الطاهرة. تفلح إلفيرا في كشف طبيعة الدون (Ah! Fuggi il tra ditore)، ثم تقود زيرلينا بعيداً.

تصل دونا آنا ومعها دون أوتافيو، في حين يلعن جيوفاني حظه. وللحظة يعتقد أنه وقع في الفخ، لكن حين يحييه أوتافيو يدرك أنه في أمان. إنهما لا يعرفان أنه هو الرجل الذي قتل والد آنا، لذا تناشده آنا أن يساعدها في إيجاد ذلك النذل. يضع جيوفاني، الذي هدأت مخاوفه، نفسه في خدمتها.

في هذه اللحظة تعود إلفيرا. وفي الرباعي الغنائي الذي يلي (Non ti fidar o misera)، تحذر آنا وأوتافيو بألا يثقا بأي كلمة يقولها جيوفاني، لكن جيوفاني يبعدها ويهمس لهما أنها مخبولة. تسمع إلفيرا ذلك وتصر على موقفها منه. تخامر دونا آنا وأوتافيو الشكوك. وأخيراً ينجح جيوفاني بإبعاد إلفيرا ويقول إنه ذاهب الآن للعناية بالمخلوقة المخبولة. وحين يغادر تخبر آنا، في ريسسيتاتيف مؤثر، أوتافيو أنها تَعرفت على صوت جيوفاني وتعتقد بأنه القاتل. وتخبره القصة بأكملها: كيف دخل جيوفاني عزفتها وحاول إغوائها؛ وكيف قاومته وطلبت النجدة، وكيف تشبثت به لمنعه من الفرار؛ وكيف أقبل والدها لنجدتها لكنه قُتل. وحين تغادر يظل أوتافيو غير مصدق أن ذلك النبيل يمكن أن يكون ذلك النذل، ويقرر أن يصل إلى الحقيقة. ويختتم المشهد بالآريا الهادئة والرائعة التي يغنيها أوتافيو (Dalla sua pace)، والتي يعلن فيها حبه لـ دونا آنا.

المشهد الرابع: حديقة قصر دون جيوفاني. بعد ظهر ذات اليوم. يدخل ليبوريلو وهو يتذمر يتبعه جيوفاني. ليبوريلو يخبر الدون كيف نفذ أوامره حول تسلية الفلاحين والإزعاج الذي سببه له مازيتو الغيور. ويروي أيضاً كيف جاءت

إلفيرا مع زيرلينا، وكيف اتهمت جيوفاني، بينما هو لم يقل شيئاً حتى انتهت ولم تعد تستطيع أن تقول شيئاً، عندئذٍ قادها إلى الخارج وأغلق الباب. وفي آريا الشمبانيا المرحة (Finch'han dal vino)، يطلب جيوفاني من ليبوريلو دعوة الفلاحين لإقامة حفل كبير. ثم يضيف إنه مولع بعذراوات الريف، وحين يعربد الآخرون ويرقصون بتأثير الخمر سوف يضيف عدة أسماء إلى قائمته. يذهب ليبوريلو لينفذ أوامر الدون، ويدخل الدون قصره.

تظهر الآن زيرلينا ومازيتو الذي يحقّر ويوبخ فتاته لمجاملتها الدون. ترد زيرلينا على عشيقها الغيور بـ آريا مغناجة (Batti, batti, o bel masetto). يسمع صوت دون جيوفاني من الداخل وهو يعطي أوامره الأخيرة من أجل الحفل. ترتبك زيرلينا وتهم بالاختباء. وفي الحال تساور مازيتو الشكوك ويتهمها قائلاً؛ أنت خائفة من أن أعرف مادار بينكما، ويضيف؛ سوف أختبئ هنا لأرى ما سيدور. يقترب جيوفاني يرافقه الخدم. تذهب زيرلينا إلى التعريشة، ويصل المدعوون. يبحث الدون في كل مكان عن زيرلينا، وأخيراً يجدها وهي تحاول الاختباء. يشير إلى ليبوريلو أن يأخذ الجميع إلى الداخل، وأثناء ذلك يحاول أن يقود زيرلينا إلى داخل التعريشة. وفجأة يواجهه مازيتو، لكن الدون يتدارك الأمر ويقول؛ لقد تركت عروسك، تعال وانضم إلى الراقصين. ويدخل الثلاثة.

في هذه الأثناء يظهر في المشهد ثلاثة أشكال مقنّعة، إنهم إلفيرا وآنا وأوتافيو، وهم مصممون على الانتقام من الدون. وحين لا يتبينهم ليبوريلو يخبر الدون عنهم، فيأمره بدعوتهم، وقبل دخولهم ينزعون الأقنعة ويغنون ثلاثي القناع (Protegga, il, giusto cielo). ثم يتقنعون من جديد ويدخلون القصر.

المشهد الخامس: صالة رقص في قصر دون جيوفاني. الوقت ليلاً. ثمة ثلاث أوركسترات. الجميع يشربون ويمرحون؛ يجامل الدون الفتيات بظرف، ويتصرف ليبوريلو على نحو مماثل. ومرة ثانية يحيط الدون زيرلينا باهتمامه. وفي حين تغازل زيرلينا الدون، يشتعل مازيتو غيرة. يدخل آنا وإلفيرا وأوتافيو مقنَّعين، فيستقبلون بجفاوة. تبدأ واحدة من الأوركسترات بعزف مينويت دون جيوفاني الشهيرة، وهي واحدة من أكثر المينويتات روعة. يرقص أوتافيو مع آنا. يسحب جيوفاني زيرلينا جانباً مشيراً إلى ليبوريلو لكي يراقب مازيتو. تعزف الأوركسترا الثانية رقصة ريفية، وتعزف الثالثة فالساً. يرقص جيوفاني مع زيرلينا على أنغام الفالس، بينما يطلب ليبوريلو من مازيتو من مراقصته. وفي حين يقود جيوفاني زيرلينا إلى غرفة مجاورة، يتحرر مازيتو من ليبوريلو. عند ذلك يهرع ليبوريلو لتنبيه سيده، بينما تراقب آنا وإلفيرا وأوتافيو ما يجري عن كثب.

تصرخ زيرلينا من الغرفة المجاورة طالبة النجدة. ثمة ارتباك مفاجئ، ثم يلتفت الجميع نحو الغرفة التي تخرج منها زيرلينا مضطربة تلتمس العون من الثلاثي المقنع. يدرك الدون أنه في وضع حرج فيفتعل مهزلة. إذ يندفع إلى الخارج وسيفه في يده، ويلتفت نحو خادمه المسكين ليبوريلو ويعنفه متوعداً بعقابه. تبدو على الجميع الدهشة وعدم القناعة. ينزع أوتافيو وآنا وإلفيرا أقنعتهم ويواجهون الدون ويتهمونه بالكذب الذي لا ينطلي على أحد. يقترب الرجال من الدون متوعدين مهددين. وينتهي هذا المشهد الصاخب بـ سباعي غنائي مؤثر (Trema, trema, scellerato) يشجب فيه الجميع دون جيوفاني على جرائمه، بينما يُسمع صوت الرعد منذراً بهلاكه. يقهقه الدون، الذي ما زال متماسكاً، ويقاوم دون أوتافيو ثم يفر.

الفصل الثاني

المشهد الأول: شارع في إشبيلية أمام منزل دونا إلفيرا. الوقت ليلاً. دونا إلفيرا وحيدة. إنها تتنبأ، من خلال ريسيتاتيف وآريا، هلاك جيوفاني، لكنها ما تزال تصرح بحبها له على الرغم من الطريقة التي عاملها بها. ولدى سماعها أصوات، تدخل إلى منزلها، ويظهر جيوفاني وليبوريلو في المشهد. يتذمر ليبوريلو كعادته. يحاول جيوفاني إضحاكه لتغيير مزاجه، لكن ليبوريلو يظل على حاله. يحاول جيوفاني أن يسترضيه بالمال. عند ذلك يقول؛ حسن، هذه المرة، ويضيف؛ ولكن ينبغي أن تتخلى عن النساء. فيهتف جيوفاني قائلاً؛ أتخلى عن النساء؟ لماذا؟ أنا أحتاجهنَّ أكثر من حاجتي إلى الطعام. فيقول ليبوريلو؛ إذن: هل يتوجب عليك خيانة جميع النساء؟ يرد الدون؛ إنها ليست خيانة؛ إنه الحب! لكني أحب جميع النساء، ولا أستطيع إهمال أية واحدة منهن؛ وهنَّ بطريقة تفكيرهنَّ الضعيف يدعون ذلك خيانة.

كان دون جيوفاني قد لمح خادمة إلفيرا الفاتنة، وفي محاولة ليجرب حظه معها، يقول إنه يود أن يبدو كخادم، لذا يدفع ليبوريلو لقبول تبادل ألبستهما. في غضون ذلك تظهر إلفيرا من الشرفة. فيقف جيوفاني خلف ليبوريلو، الذي يرتدي الآن قبعة الدون وعباءته، ويلوح بذراعي ليبوريلو وهو يغني حبه لها. تقع إلفيرا في الفخ وتوافق على النزول. وها هو ذا جيوفاني ينجح الآن في إخراج السيدة من منزلها، ليلج المنزل لمعاشرة الخادمة. وأثناء قدوم إلفيرا لملاقاته، يطلب جيوفاني من ليبوريلو أن يأخذها إلى مكان ما ويعاشرها. تظهر إلفيرا ويشرع ليبوريلو في تنفيذ مهمته. في حين يتناول الدون ماندولينه ويبدأ بغناء سيريناتا لخادمة إلفيرا (Deh vieni alla finestra).

وفي الوقت الذي يظهر فيه على الشرفة يقاطع غناءه دخول مازيتو مع حشد من الفلاحين المسلحين يبحثون عن جيوفاني. ولأن الدون متنكر بزي ليبوريلو فهو لا يهابهم، بل يضلل أتباع مازيتو الذي يطلب منه الدون البقاء معه، ثم يسأله عما إذا كان يعتزم قتل الدون. فيرد مازيتو قائلاً: سوف أقتله وأقطعه إرباً إرباً. يقول جيوفاني أرني أسلحتك. وحين يسلّمه الفلاح الساذج بندقيته وغدارته يضربه الدون بكعب سيفه ويتركه ملقى على الأرض يتأوّه من الألم.

تظهر الآن زيرلينا حاملة مشكاة، وتسمع تأوهات مازيتو الذي يخبرها أن ليبوريلو، أو أحداً ما يشبهه، ضربة وفرّ. فتقول زيرلينا: لقد أخبرتك بأن غيرتك الحمقاء ستوقعك في المشاكل؛ أين جرحك؟ يشير مازيتو إلى عدة أماكن في جسده. تتعاطف معه وتتولى العناية به. وفي آريا جميلة (Vedrai carino) تواسيه بكلمات تقول: إن الحب يشفي جميع الجروح. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: ساحة مجاورة لمنزل دونا آنا. يحاول ليبوريلو، الذي تعب من الدور الذي لعبه، الهرب من إلفيرا، التي ما زالت تظنه جيوفاني. إنها تصيح «لا تتركني». ثم تغني، وهي ترتجف من الخوف السطر الافتتاحي من السداسي الغنائي (Sola, sola, in bujo loco)، في حين يسير ليبوريلو حول المكان باحثاً عن طريق للخروج. وحين يجد مخرجاً ويهم بالخروج، يدخل دون أوتافيو ودونا آنا. إنها حزينة بسبب موت والدها، ودون أوتافيو يحاول مواساتها. تشرع إلفيرا بالبحث عن ليبوريلو الذي ما زال يبحث عن طريق للخروج. وحين يجد مخرجاً آخر ويهم بالخروج يواجه مازيتو وزيرلينا. يقترب منه مازيتو وأوتافيو وزيرلينا ودونا آنا مهددين، ظانين أنه الدون. تدافع عنه إلفيرا، لكن دون جدوى. وفي اللحظة التي يشعر بأن حياته مهددة يخلع العباءة ويكشف عن هويته. تصيح زيرلينا قائلة «إنه أنت الذي كدت تقتل مازيتو، وتضيف إلفيرا «آه، إنك

خدعتني»، ويقول أوتافيو «ارتديتَ هذه الثياب لأنك مولع بالأذى». وأخيراً يقول ليبوريلو إن الذنب يقع على عاتق جيوفاني، وإن كل ما قام به أجبره عليه الدون. ثم يجد فرصة للهروب.

الآن، أصبح أوتافيو مقتنعاً دون شك بإثم جيوفاني. وفي نهاية المشهد يغني أوتافيو، بصوته الـ تينور، الـ آريا العظيمة (Il mio tesoro). وفيها يقسم على الثأر من جيوفاني ليريح دونا آنا.

المشهد الثالث : مقبرة. الوقت نحو الثانية صباحاً. في الخلف ينتصب تمثال الحاكم المقتول. يقفز دون جيوفاني فوق الجدار، ويصيح قائلاً «هذا مكان جيد للاختباء». بعد ذلك يتبعه ليبوريلو متسلقاً الجدار. إنه ما زال خائفاً وغاضباً، لكن جيوفاني، الذي ما زال مزاجه مرحاً، يقول «لقد قمت بمغامرات ممتعة منذ أن افترقنا، لكني سأروي لك واحدة منها»، فيقول ليبوريلو «حول امرأة دون شك». يجيب الدون «هذا صحيح». ثم يروي كيف قابل واحدة من معجبات ليبوريلو، ثم سرعان ما أدركت خطأها فصرخت، وحينئذٍ فر منها. يقول ليبوريلو، الذي لم يتسل بالحكاية، هب أنها كانت زوجتي، هل كنت ستضحك عندئذٍ؟ يجيب «من كل قلبي».

في غضون ذلك يظهر القمر من خلال السحب ويضيء بنور شبحي التمثال. ثمة صوت وقور يتحدث بالقرب منهما ؛ إنه صوت التمثال: «سوف ينتهي سرورك قبل مجيء الصباح». يسأل الدون «من الذي يتكلم هناك.». يهتف ليبوريلو المرتجف قائلاً: إنه شبح، لكن جيوفاني يستل سيفه ويسأل ثانية «من الذي يتكلم هناك؟» ومرة ثانية يميل رأس التمثال إلى الأمام ويقول: «اهدأ أيها المجرم الوقح. دع الميت ينام بسلام». يتطلع الدون إلى الأعلى ثم يقول بلا مبالاة

وازدراء، أليس هذا تمثال الحاكم؟ اذهب واقرأ مانقش على قاعدته. يرد ليبوريلو مرتجفاً: اعذرني فأنا لا أقوى على القراءة في ضوء شاحب جداً. يصيح الدون مهدداً؛ اقرأ ما نُقش.

يقرأ ليبوريلو وهو يرتجف «هنا أنتظر انتقام السماء من الذي ذبحني». لا يفاجأ الدون المتهور ويقول: أوه، مبجَّل أحمق! اذهب وأخبره أن يأتي ليتناول طعام العشاء معي هذه الليلة. وتحت التهديد يذهب ليبوريلو المرتجف ويدعو التمثال، فيومئ التمثال برأسه موافقاً. في تلك اللحظة يخاطب الدون الوقح التمثال قائلاً «تكلم إن كنت قادراً على ذلك!»، ويضيف ساخراً «هل ستأتي لتناول طعام العشاء؟ يجيب التمثال قائلاً: «نعم». يأمر الدون، الذي ما زال غير هياب، ليبوريلو لتحضير الوجبة.

المشهد الرابع: غرفة صغيرة في قصر دونا آنا. ثمة صورة للحاكم المقتول معلقة على الجدار، تضيئها شمعتان في جانبيها. هنا يحاول دون أوتافيو مواساة دونا آنا. إنه يحثها على الزواج منه، ويقول إن النذل دون جيوفاني سيمثل قريباً أمام العدالة. تعلن دونا آنا حبها له، لكنها لن تعرف السعادة قبل أن ينال القاتل عقابه. ويختتم المشهد بـ آريا عاطفية رائعة.

المشهد الخامس: قاعة مآدب دون جيوفاني. يجلس الدون إلى الطاولة مع سيدتين فاتنتين ومعهما بقية المدعوين. إنه يغني المسرات التي يتمتع بها. ليبوريلو يجلب المآكل الفاخرة. يأكل دون جيوفاني ويشرب ويضايق ليبوريلو. وطوال الوقت تعزف أوركسترا الدون الخاصة الموسيقا لتسليته.

تدخل دونا إلفيرا وتركع على ركبتيها مناشدة الدون ليصلح نفسه قبل فوات الأوان ـ ويظهر فضيلة واحدة إن كان لديه فضيلة. يسخر منها الدون وليبوريلو

ويدعوانها لتناول طعام العشاء، فتغادر يائسة. لكنها ما إن تصل إلى الباب حتى تصرخ. يهرع ليبوريلو للتحري عن الأمر، لكنه يعود وهو يرتعد من الخوف، فقد رأى التمثال يقترب «آه، يا إلهي، إنه رجل من حجر». يأمر الدون بفتح الباب، لكن ليبوريلو المرتجف لا يقوى على إطاعة سيده. يذهب الدون نفسه لفتح الباب، ولكن قبل أن يتمكن من فتحه تعصف الرياح ويقصف الرعد وينفتح الباب، ثم يدخل التمثال مرتدياً درعاً أبيض ويقف في الضوء الشاحب. يغادر ضيوف الدون مسرعين، ويختبئ ليبوريلو تحت الطاولة.

يقول التمثال لـ الدون؛ أنت دعوتني وهاأنذا هنا. يدعوه الدون المصعوق للجلوس ويأمر ليبوريلو أن يهيئ له مكاناً. يرفض التمثال الدعوة، ويطلب من الدون أن يكون ضيفه. يقبل الدون على الرغم من تحذيرات ليبوريلو. يقول التمثال للدون هاتِ يدك؛ يضع الدون يده بيد التمثال، الذي يعصرها بشدة. يصرخ الدون والقشعريرة تسري في جسده. يطلب منه التمثال أن يتوب، لكن الدون يصيح لا، لا، فأنا أحتقر التوبة والندم، إليك عني أيها العجوز الخرف. وبهذا الرفض يترك التمثال يد الدون ويحكم عليه بالهلاك. يُطرح الدون على الأرض فيما تعلو ألسنة اللهب. يحاول الدون يائساً الهرب، لكن النار تسد كل المنافذ. وأخيراً تغلف النيران المشهد بأكمله، ويختفي الدون، في حين تعده الشياطين من الأسفل بالعذابات التي تنتظره.

خاتمة: طريق قرب المقبرة، تظهر آنا وزيرلينا وأوتافيو ومازيتو وليبوريلو. يروي ليبوريلو بحماسة الأحداث التي جرت في قصر الدون. وفي السداسي الغنائي الختامي يبتهج الجميع بتحقيق العدالة، وتلخص كلماتهم الأخيرة ما معناه «هكذا يلقى الشرير مصيره». وتسدل الستارة.

قوة القدر

La Forza del Destino

أوبرا للمؤلف جوسيبه فيردي، وضع نصها، المبنّي على مسرحية دون ألفارو لـ دوق ريفاز وعلى مشهد مأخوذ من wallensteins lager لـ شيلر، فرانشيسكو ماريا بيافيه

الشخصيات

مركيز كالاترافا		باص
ليونورا	ابنته	سوبرانو
كيورا	خادمتها	ميتسو - سوبرانو
دون ألفارو	نبيل شاب ينحدر من الإنكا	تينور
رئيس بلدية هورناشولس		باص
دون كارلو دي فارغاس	شقيق ليونورا	باريتون
ماسترا ترابوكو	بغّال	تينور
بريز يوزيا	قارئة بخت غجرية	ميتسو - سوبرانو
الأخ ميلتون	راهب	باص
الأب غارديانو	رئيس الدير	باص
طبيب عسكري جراح		باريتون

جنود، فلاحون، شحاذون، حجاج، رهبان، راقصون، صاحب نُزل وزوجته

المكان : إسبانيا وإيطاليا

الزمن : القرن الثامن عشر

التقديم الأول : سانت بطرسبورغ، ١٠ تشرين الثاني عام ١٨٦٢.

اللغة الأصلية : الإيطالية.

وسمت هذه الأوبرا، إلى جانب أوبرا حفلة رقص تنكرية، ما دعي «بالمرحلة الثانية» في مسيرة فيردي الإبداعية. ففي هذه المرحلة تطورت موسيقاه الدرامية تطوراً ملحوظاً، فغدت أكثر غنى على صعيد الأساليب الهارمونية.

ثمة مقدمة دراماتيكية طويلة سُميت «سينفونيا». وهي تبدأ بسلسلة من عصفات آلة ترومبيت رامزة إلى القدر. ثم يتبع ذلك ثيمة قلقة مرتبطة بـ ليونورا. أما بقية الثيمات الرئيسية فهي ثيمة صلاة ليونورا في الفصل الثاني، وثيمة توسل دون ألفارو لـ دون كارلو قبل المبارزة المميتة في الفصل الرابع.

الفصل الأول: قاعة في قصر مركيز كالاترافا في إشبيلية. في الخلف ثمة نافذتان، واحدة مفتوحة يرى من خلالها ضوء القمر. وبين النافذتين ثمة حجرة للملابس. يفضي البابان على اليمين واليسار إلى عدة غرف. واحدة منها تفضي إلى شرفة واسعة. كان المركيز قد جلب ابنته إلى قصره المعزول في إشبيلية لمنعها من رؤية حبيبها دون ألفارو. فوالدها يعارض بشدة حبهما لأن ألفارو غريب تجري في عروقه دماء الإنكا. فالمركيز الفخور بإسبانيته رفض أن يعده خطيباً نبيلاً لابنته. أما ليونورا فقد عقدت العزم على الفرار مع دون ألفارو في هذه الليلة.

يحيي المركيز ليونورا تحية المساء. في حين تنتظر خادمتها كيورا في الخلف. يلاحظ المركيز اضطراب ليونورا وخوفها فيحاول تهدئتها قائلاً إنها هنا آمنة وبعيدة عن أنظار خطيبها غير المرحب به، ويحثها على نبذ القلق من المستقبل في وجود والدها. يعانقها بمودة ويعود إلى غرفته. وفي حين تهوي ليونورا على المقعد منتحبة برقة، تبدأ كيورا بإخراج الملابس من الخزانة وتضعها في حقيبة سفر. تقول ليونورا وهي تنشج إن لطف والدها يضعف تصميمها على الرحيل ويضعها على شفير الاعتراف بخطتها للفرار. تذكرها كيورا قائلة إن ذكر اسم دون ألفارو أمام والدها كفيل بهلاك حبيبها.

في مناجاة مؤثرة تغني ليونورا حزنها أمام القدر القاسي الذي يدفعها إلى التمرد على والدها من أجل حب مؤلم «Me Pellegrina ed Orfana». تنبهها كيورا إلى أن وقت الرحيل سيأزف. عندئذٍ يسمع صوت جري خيول، وبعد ذلك مباشرة يدخل ألفارو القاعة ويرتمي بين ذراعي ليونورا.

ثمة ثنائي غنائي طويل ودراماتيكي يبدؤه ألفارو « Ah, Per sempre o mio bell'angiol». إنه يغني حبه لـ ليونورا، ذلك الحب الذي دفعه لتحدي المخاطر المهلكة للوصول إلى جانبها. والآن الجياد جاهزة والقسيس ينتظر في الكنيسة. وقريباً سيتمكنان من الزواج، وستبدأ حياتهما الرائعة معاً. لكن ليونورا، وقد فقدت شجاعتها، تهتف قائلة إن عليها أن ترى والدها مرة أخرى، وتتوسل إلى دون ألفارو أن ينتظر حتى الغد. يعلن دون ألفارو، غاضباً وغير مصدق، قائلاً إنها لم تعد تحبه وإن زواجهما سيغدو عملاً سخيفاً. عند ذلك تعترف ليونورا قائلة إنها له إلى الأبد وسوف تتبعه إلى نهاية العالم. يصل الثنائي إلى ذروة محمومة حين يغني العاشقان جملة لا شيء سيفرق بينهما.

وفي الوقت الذي أوشكا فيه على الخروج، يندفع المركيز وبيده سيفه يتبعه خدمه. يُخرج دون ألفارو غدارته، بينما تندفع ليونورا باتجاه والدها ثم تجثو على ركبتيها أمامه، فيبعدها عنه بخشونة. يعلن دون ألفارو قائلاً إنه الوحيد الذي يقع عليه اللوم. يعيد غدارته إلى مكانها ويعرّي صدره ويطلب من المركيز أن يطعنه، يأمر المركيز خدمه بإلقاء القبض عليه. إثر ذلك يخرج دون ألفارو غدارته ثانية ويحذره قائلاً لا أحد سوى المركيز يمكنه أن يمسه. وحين يصرخ المركيز قائلاً لألفارو إنه سيشنق لأنه خدع ابنته. يقسم دون ألفارو بأن ليونورا طاهرة الذيل، وإنه سوف يخاطر بحياته ويواجه من يتهمه وهو أعزل من السلاح، ثم يرمي غدارته على الأرض. تنطلق من الغدارة رصاصة، بسبب ارتطامها بالأرض، وتجرح المركيز جرحاً مميتاً.

وحين يسقط على الأرض تندفع ليونورا إلى جانبه، لكنه يلعنها وهو يلفظ أنفاسه لعنة رهيبة. تصرخ ليونورا ومعها دون ألفارو في رعب ويأس. وعندما يحمل الخدم جثمان المركيز إلى غرفته يقود دون ألفارو ليونورا الذاهلة نحو الشرفة الواسعة. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني: المشهد الأول. مطبخ في نُزل صغير في قرية بمنطقة هورناشولس. إلى الجانب باب يفضي إلى الشارع. في الخلف موقد. ثمة سلم يؤدي إلى غرفة على الشرفة. يهيِّئ صاحب النُزل وزوجته طعام العشاء. يجلس رئيس البلدية بجانب الموقد وإلى جواره يجلس طالب. الطالب في الواقع هو دون كارلو دي فارغاس ابن مركيز كالاترافا المقتول. لقد جاء إلى هورناشولس استناداً إلى تقارير أفادت أن ليونورا ودون ألفارو شوهدا في الجوار بعد أن فرا من إشبيلية. وقد أقسم أن يقتلهما انتقاماً لموت أبيه ولخيانة أخته.

خلف الغرفة ثمة عدد من الرجال والنساء يرقصون رقصة الـ سيغويديا. مجموعة من الفلاحين وسائقي البغال يمشون بتكاسل ويراقبون. وسرعان ما يشرعون بغناء مقطع كورسي صغير وحيوي. يوقف رئيس البلدية الغناء والرقص ويعلن أن العشاء جاهز. يتجمع الرجال والنساء حول الطاولات ويصلي معلم مدرسة صلاة المائدة.

يحدق دون كارلو، الذي ظل وحده، بكآبة إلى الفضاء، ويتمتم عبارات حول عبث بحثه. في تلك اللحظة تخرج ليونورا إلى الشرفة مرتدية ثياب الرجال وتلمحه. وحين تتبينه تعود بسرعة إلى غرفتها. يلاحظ دون كارلو أن ترابوكو البغَّال لم يكن مع الآخرين حول الطاولة، فيذهب إليه ويسأله لم لا يأكل مع الآخرين. يجيب ترابوكو قائلاً إن اليوم جمعة وهو صائم. عند ذلك يبدأ بسؤاله

حول الشاب الذي أتى إلى النزل، لكن يقاطعه دخول بريزيوزيا قارئة البخت الغجرية التي قدمت للرقص. يحييها الحاضرون بحرارة ويدعونها للجلوس معهم لقراءة بختهم. ينضم دون كارلو إلى الجماعة.

تحث بريز يوزيا الرجال على أن يتطوعوا في الجيش الإيطالي لمحاربة الألمان. يعدها الرجال بذلك. تشرع بريزيوزيا بغناء مقطع تصف فيه أمجاد المعركة. تتجاوب المجموعة معها في غناء كورسي. ثم تنتقل من رجل إلى آخر قارئة أكفهم. تقول لأحدهم إنه سيصبح عريفاً، ولآخر نقيباً، ولآخر جنرالاً. لكنها تصمت فجأة حين تقترب من دون كارلو. تنظر عن كثب في كفه ثم تقول أرى خطاً سيئاً، وتتابع قائلة بنعومة: كفه تظهر بأنه ليس طالباً. ثم تغمغم متجاهلة الموضوع وتتابع الغناء بمرح.

فجأة يصمت من في النُزل لدى سماعهم إنشاداً قادماً من الخارج. إنهم مجموعة من الحجاج يمرون من أمام باب النُزل. يقول رئيس البلدية إنهم حجاج يحتفلون بالحج ويطلب من الجميع في الغرفة أن يركعوا ويصلوا. يمتزج صوتهم مع أصوات الحجاج في صلاة مؤثرة «Padre Eterno, Signor». تصلي ليونورا، التي خرجت إلى الشرفة لدى سماعها صوت الإنشاد، وترجو من الله أن يحفظها من انتقام أخيها.

حين يبتعد الحجاج تعود ليونورا إلى غرفتها، في حين يعود الضيوف إلى طاولاتهم. مرة أخرى يعود دون كارلو إلى استجواب ترابوكو حول المسافر الشاب، الذي يبدو له شاباً خجولاً لم تنبت له بعد لحية. يتملص ترابوكو من أسئلة دون كارلو لأسباب شخصية مشيراً إلى أنه لا يهتم بشؤون الآخرين، ثم يعلن قائلاً، بعدما ضايقته أسئلة دون كارلو المتواصلة، إنه ذاهب إلى الإسطبل لينام مع بغاله. ويستطرد معلقاً، إنها ليست ذكية وليست بحاجة لمعرفة شيء وستدعه ينام بسلام.

وحين يخرج يقترح دون كارلو قائلاً لبعض الحضور إن المسافر لم تنبت له لحية، وإنه لمن الممتع أن يُرسم على وجهه شاربان. يبتهج من سمعه بهذه الفكرة، لكن رئيس البلدية يمنع بحزم هذا النوع من العبث بضيف في النزل. ثم يلتفت نحو دون كارلو ويقول إنه لمن الممتع أكثر أن يخبرهم بقصته ــ من هو وإلى أين سيذهب. يشرع دون كارلو بسرد قصته.

إنه يدعى بيريدا، وهو طالب شرف في سالامانكا، وسيحصل في القريب العاجل على درجة الدكتوراه. وفي سالامانكا كوَّن أصدقاء له منهم شاب يدعى دون فارغاس الذي دعاه إلى منزله في إشبيلية. وحين وصل الاثنان وجدا أن غريباً اختطف أخت فارغاس وقتل والدها. ارتحل الطالبان من مدينة إلى أخرى للبحث عن الخائن، لكنهما لم يعثرا له على أثر أو على الفتاة. عندئذٍ سمعا أن الفتاة قُتلت مع والدها وأن القاتل فر إلى أمريكا، فأبحر دون فارغاس لمطاردته. وهكذا، يغني دون كارلو مختتماً قصته، افترق عن صديقه وأصبح طالباً مرة أخرى.

يرتجف السامعون من هذه الحكاية المثيرة، مكررين عباراته الختامية في غناء كورسي. تشك بريزيوزيا في أن هناك أكثر مما رواه دون كارلو، فتسأله عن «صداقته» لـ دون فارغاس. وبابتسامة العارف تكرر العبارة الساخرة التي غنتها حين قرأت كفه.

ينهض رئيس البلدية ويقول حان وقت النوم. يبدأ الناس بمغادرة المكان. إلا أن البعض يبقى لمعاودة الرقص. يتجه دون كارلو إلى غرفته مكرراً عبارة قصته، إنه بيريدا الطالب. تجيبه بريزيوزيا، وهي تراقبه، بعبارتها الوقحة المميزة. وحين يغني الكورس تصبحون على خير، تسدل الستارة.

المشهد الثاني في الجبال قرب هورناشولس. إلى الجانب مدخل يفضي إلى كنيسة مادونا ديلي أنجيلي ببابها المقفل. ثمة ضوء ينبعث من خلال النافذة فوق الباب. في الجانب الآخر مدخل يفضي إلى الدير. ينتصب قرب الباب صليب حجري. إنها ليلة تتألق بضوء القمر.

تظهر ليونورا، التي ما زالت مرتدية ثياب الرجال، وتعلن بفرح أنها وجدت الهدف من رحلتها ـ الدير، الذي ستلجأ إليه. إنها تفكر بأخيها وهو يروي حكايته للناس في النُزل. وعندما تتذكر أنه أخبرهم بأن دون ألفارو فر إلى أمريكا، تبكي بمرارة لأن حبيبها تركها وحدها مع بؤسها. تغني، وهي جاثية على ركبتيها، صلاة مؤثرة تلتمس فيها المغفرة، وتطلب أن يعود السلام إلى روحها «Madre, Pietosa Vergine». يرتفع صوتها فوق إنشاد الرهبان داخل الكنيسة. تنهض ليونورا وتقترب بتردد من باب الدير وهي تصلي طلباً للشجاعة والقوة.

حين تسحب ليونورا حبل الجرس تنفتح نافذة في الباب، ويظهر منها وجه الراهب ميلتون وبيده مشكاة. وعندما تطلب منه ليونورا أن يأخذها إلى رئيس الدير، يرد بحدة قائلاً إن الدير لا يفتح قبل الخامسة. تقول ليونورا إنها قادمة من قبل الراهب كليتو، وترجوه أن يرأف بحالها. يدمدم الراهب قائلاً ما زال الوقت باكراً من أجل الرأفة، لكنه يوافق أخيراً على إعلان قدومها. ينفتح الباب ويظهر الأب غارديانو يتبعه ميلتون. يصرف غارديانو الراهب الذي ينسحب متذمراً.

يسألها رئيس الدير بلطف عن سبب مجيئها. تعلمه بأنها امرأة وتطلب حمايته لأنها ترزح تحت وطأة لعنة، وتخشى أن تلاحقها تلك اللعنة إلى الأبد. وحين يصرح غارديانو قائلاً إن مثل تلك المهمة فوق طاقة راهب مسكين، تسأله ليونورا إن كان قد تسلم رسالة من الأب كليتو تتعلق بها. يهتف

غاردیانو بدهشة قائلاً لا شك في أنك ليونورا دي فارغاس. وبوقار يحضها على أن تجثو أمام الصليب.

تقبّل ليونورا الصليب بوقار وتغني قائلة إن عبء لعنة والدها غادرت الآن روحها «Piu tranquilla l'alma». يؤدي مقطعها الغنائي إلى ثنائي دراماتيكي. تخبر ليونورا غارديانو عن رغبتها بدخول الدير وتكريس حياتها من أجل الرب. يحذرها رئيس الدير قائلاً إن حياة التوبة قاسية، ويبدي شكوكه من احتمال قدرتها على مواجهة متطلباتها الصارمة. لكن ليونورا تؤكد أنها منذ قدمت إلى هذا المكان لم تعد تسمع صوت والدها وهو يلعنها. ورداً على أسئلة غارديانو تقص عليه كيف تسبب عشيقها عن غير قصد بموت والدها، وكيف قرر أخوها أن يقتلها انتقاماً.

وحين يقترح عليها غارديانو البقاء في الدير تلتفت نحو الصليب وتعانقه ثم تهتف قائلة إنها لن تغادر هذا الملجأ. يغني غارديانو قائلاً إن إرادة الله سوف تنتصر، ثم يخبر ليونورا قائلاً إنه يمكنها الذهاب إلى كهف تحجبه الصخور حيث لن يراها أي كائن إنساني. ثم يستدعي ميلتون ويأمره بجمع الرهبان. ومع استمرار الثنائي الغنائي يطلب من ليونورا أن تلج كهف التكفير عند الفجر. تعبر ليونورا عن عرفانها بالجميل، يمتزج صوتاهما في ذروة معبرة، وتدخل ليونورا ورئيس الدير إلى الداخل.

تنفتح أبواب الكنيسة كاشفة عن المذبح الغارق في النور وعن صفين من الرهبان يحملون الشموع. تدوي أكوردات مهيبة من آلة الأورغن حين يقود الأب غارديانو ليونورا، وهي في ثياب الرهبنة، إلى خارج الكنيسة بمرافقة ميلتون وبقية الرهبان. ثم يلتفّون حول الرئيس. تجثو ليونورا على ركبتيها

حين يرفع ذراعيه مباركاً ومشيراً إلى بدء مقطع المجموعة الرائع الذي ينهي الفصل «Il santo nom di Dio ». يعلن غارديانو قائلاً إن تائبة قدمت إلى الدير لتكفر عن خطاياها، وستعيش في الكهف السري الذي سيكون ملجأها إلى الأبد. وإن من ينتهك حرمة عزلة هذه التائبة ستحل عليه اللعنة الأبدية. يردد الرهبان اللعنة «Maledizione Maledizione!».

يطلب غارديانو من ليونورا، بعدما أنهضها، أن تذهب في طريقها بسلام، ويرجو لها أن تحظى بحماية العذراء المقدسة «Ls vergine degliangeli». تقبِّل ليونورا يد غارديانو ثم تتجه ببطء نحو الدير. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث: المشهد الأول: ساحة معركة قرب فيليتري بإيطاليا. الوقت ليل. يسير دون ألفارو ضجراً وهو في الثياب النظامية لرامي قنابل يدوية إسباني. يبدو أنه تحت وطأة أفكار كئيبة. تسمع أصوات جنود غير مرئيين يلعبون الورق حول نار المخيم.

بعد فاصل أوركسترالي حزين يتأمل دون ألفارو بمرارة وجوده المنحوس. إنه يفكر بإشبيلية وبليونورا، التي يعتقد بأنها ميتة. يتشكى من قدره القاسي الذي طارده منذ أن ولد، ويتذكر شيئاً من ماضيه. لقد قاتل والده لتحرير وطنه من هيمنة الأغراب وتزوج من آخر أميرة من أميرات الإنكا لكي يؤسس مملكة وأسرة ملكية. لكن أطيح به وزج في السجن مع زوجته. وهناك ولد دون ألفارو، وبعد حين شُنق أبواه. يغني دون ألفارو، وهو غارق في هذه الذكريات المأسوية، آريا مؤثرة «Oh,tu che in seno agli angeli». ثم يصلي من أجل ليونورا متوسلاً إليها أن تنظر إليه من السماء وترثي لحاله.

في ختام الآريا تُسمع أصوات القتال من جهة المخيم، وبعد لحظات يهرع عدة ضباط عبر الخلفية. يندفع ألفارو إلى الخارج ويعود بعد وقت قصير مع دون

كارلو الذي يقول مفسراً: لقد نشب النزاع أثناء لعب الورق، ويشكر دون ألفارو الذي أنقذ حياته، ويقدم له نفسه بصفته دون فيليس دو بورروس الضابط المساعد للقائد العام. كذلك يعرِّف دون ألفارو نفسه بصفته دون فيديريكو هيريروس رئيس رماة القنابل اليدوية. يصافحان بعضهما ويقسمان على الحفاظ على صداقتهما في الحياة والموت «Amici in vita e in morte». يسمع من بعيد صوت بوق معلناً إشارة المعركة. يندفع الاثنان، بينما تُسمع أصوات الجنود وهم يهتفون هتافات عسكرية.

المشهد الثاني: غرفة في قيادة الجيش الإسباني في إيطاليا. تُسمع من الخارج ضجة المعركة. يندفع طبيب جراح وعدة ممرضين باتجاه النوافذ لمراقبة سير المعركة. يعلن الجراح، الذي ينظر من خلال التلسكوب، إصابة هيريروس بجراح بليغة، ويستطرد قائلاً إن الضابط المساعد يلم شمل الجنود المتراجعين ويحثهم على التقدم من جديد. ثم يهتف قائلاً الآن يفر الجنود الألمان. يهلل المراقبون فرحين بالنصر.

يُحمل دون ألفارو وهو فاقد الوعي إلى غرفة القيادة يرافقه دون كارلو. يقوم الطبيب الجراح بفحصه فيجد أن رصاصة قد استقرت في صدره. يصحو دون ألفارو ويتمتم بضعف: إن موته أصبح وشيكاً. يؤكد له دون كارلو قائلاً إن الجرَّاح سينقذ حياته، وإنه سيُمنح وسام كالاترافا. تبدو علائم الدهشة على وجه دون ألفارو حين سماعه كلمة كالاترافا. وفي تأثر بالغ يُخبر دون كارلو عن رغبته في التحدث إليه على انفراد. وبعد إشارة دون كارلو ينسحب الجراح ومعه الممرضون.

يبدأ دون ألفارو، والألم يعصره، الثنائي الغنائي الشهير « Solenne in quest'ora». وبنغمات كئيبة يسأل دون كارلو إن كان سينفذ في هذه الساعة الحاسمة طلباً واحداً أخيراً. وحين يقسم الآخر على تنفيذه، يعطيه دون ألفارو

مفتاح حقيبته ويطلب منه أن يأخذ منها رزمة محددة من الأوراق ويحرقها من دون قراءة محتوياتها. يعده دون كارلو بالقيام بذلك. يغني دون ألفارو بارتياح قائلاً إنه يستطيع الآن الموت بسلام. يصل الثنائي الغنائي إلى ذروة مفعمة بالقوة حين يتعانق الصديقان. وبعد تبادل كلمات الوداع المؤثرة يُحمل دون ألفارو إلى غرفة ثانية حيث سيجري له الجراح عملية جراحية في محاولة لانقاذ حياته.

حين ينفرد دون كارلو بنفسه يتذكر الدهشة التي علت وجه ألفارو حين سمع كلمة كالاترافا. وفجأة يصعقه التفكير باحتمال أن يكون ألفارو هو الشخص الذي يبحث عنه. وبسرعة يفتح الحقيبة ويخرج منها رزمة أوراق. وفي غضون لحظات يصارع رغبته في فتحها، لكنه يتذكر وعده للرجل الذي أنقذ حياته. يرمي الرزمة ويستغرق في مونولوغ دراماتيكي يعبر فيه عن رعب الحافز الشيطاني الذي يدفعه لفتح رزمة الأوراق.

وفي نوبة اهتياج يبحث مجدداً في الحقيبة محاولاً إيجاد مفتاح آخر لحل اللغز. يعثر على صندوق صغير، وبعد لحظة تردد يفتحه فتطالعه صورة ليونورا. وفي حين يتأمل بخبث هذا البرهان الأخير على هوية ألفارو، يفتح الجراح الباب ويخبره بأن ألفارو سيعيش. ينفجر دون كارلو في آريا عظيمة يعبر فيها عن بهجة وحشية بنجاة عدوه الرئيسي ليكون ضحية الانتقام الذي تأخر كثيراً. الانتقام ليس فقط من دون ألفارو وإنما من ليونورا أيضاً ــ أينما هي مختبئة ــ ستموت بيده. وبعد الذروة النارية للآريا يندفع دون كارلو بعيداً. وتسدل الستارة.

المشهد الثالث: معسكر في فيليتري. ثمة وسط الخيام كشك بائع متجول حيث تباع المرطبات. الوقت في الصباح الباكر. ثمة دورية تقوم بجولة حول المعسكر.

حين يغدو الفجر وضاءً، يظهر دون ألفارو. إنه، على الرغم من شفاء جراحه، يحيا برعب من قدره الشيطاني الذي يبدو وكأنه يلاحقه. وبينما هو

مستغرق في التأمل، يظهر دون كارلو فيحييه دون ألفارو بحرارة. يسأله دون كارلو إن كان قد تماثل إلى الشفاء، فيؤكد له دون ألفارو ذلك. عندئذٍ يسأله إن كانت حالته الصحية تمكنه من القتال في مبارزة. وبينما يحدق فيه ألفارو بذعر، يبوح دون كارلو قائلاً إنه يعرف الآن اسمه الحقيقي. يتبع ذلك ثنائي غنائي عاصف يتهمه فيه دون ألفارو بأنه حنث بيمينه. فيرد دون كارلو بحزم قائلاً إنه لم يفتح الرزمة، لكن صورة ليونورا كشفت السر، ثم يستطرد الآن سوف نتبارز. يرفض ألفارو المبارزة قائلاً إنه لن يقطع رباط الصداقة بينهما، وإنه لم يقتل المركيز بدم بارد، يشهد على ذلك روحا المركيز وليونورا. ينعته دون كارلو بالكاذب، ثم يقول إن ليونورا لم تمت فقد فرت واختبأت عند أقرباء لها في مكان ناءٍ.

يبدو دون ألفارو وكأنه نسي النزاع، إذ غمرته السعادة حين علم أن ليونورا حية. وحين يهدد دون كارلو بقتل ليونورا أيضاً، يغني ألفارو قائلاً إنه سوف يتزوج محبوبته ويمنحها اسمه الملكي. لكن حين يستمر دون كارلو بتهديده ووعيده، يفقد دون ألفارو السيطرة على نفسه ويصيح قائلاً إنه سيكون أول من يموت. وبعد الذروة الوحشية للثنائي الغنائي يتبارز الرجلان بعنف. تفرق بينهما عناصر من دورية عسكرية، ويصيح دون ألفارو قائلاً إن كل نية حسنة تُقابل بالعنف، ثم يرمي سيفه على الأرض. وبعبارات يائسة يعلن قراره بالبحث عن السلوان في دير من الأديرة. ينحني بتعاسة ثم يبتعد.

تغمر الشمس الساطعة المعسكر الذي بدأ يعج بالحركة والنشاط. والمشهد الذي يلي هو بانوراما موسيقية تعكس حياة المعسكر. يخرج الجنود من خيامهم ويشغلون أنفسهم بتنظيف معداتهم. تظهر البائعات. كما تبدو بريزيوزيا في الكشك وهي تقرأ البخت.

يظهر ترابوكو وهو يحمل صندوقاً فيه حُلى وقطع تزينية صغيرة. يلتف حوله حشد من الجنود يساومونه. عدد من الشحاذين يجولون طالبين الخبز. بعض الجنود يتذمرون لأنهم أُجبروا على ترك أمهاتهم والذهاب إلى الحرب.

يظهر ميلتون ويشرع في وعظ الناس، ويتهمهم بأنهم ضلوا سواء السبيل. يدفعه الجنود بخشونة ويهددونه بالضرب. يفر ميلتون ويعدو في أعقابه الجنود. وينتهي المشهد بالجنود والبائعات ملتفين حول بريزيوزيا وهي تقرع على طبل وسط صوت كورس نشط.

الفصل الرابع: المشهد الأول: فناء دير مادونا ديلي أنجيلي قرب هورناشولس. إلى الجانب باب يفضي إلى الطريق. إلى الجانب الآخر باب يفضي إلى ممشى مغطى. يعبر الأب غارديانو الفناء وهو يقرأ في كتاب الصلوات. حشد من الشحاذين أتوا من الطريق يحملون الصحون والقصعات ويطالبون بالطعام.

يعلو الضجيج حين يظهر ميلتون وراهب آخر وهما يحملان وعاءً كبيراً من الحساء ويضعانه وسط الفناء. يتدافع الشحاذون، كل واحد يحاول الحصول على كمية أكبر من الحساء. يزمجر ميلتون في وجوههم ويطالبهم بالهدوء. يظهر الأب غارديانو ويطلب منه أن يكون أكثر صبراً مع هؤلاء المساكين. لكن ميلتون يرد قائلاً: إنهم شرهون ناكرون للجميل.

وحين لا يكفّون عن التدافع يهددهم ميلتون بمغرفته. ينوحون قائلين إن رافائيل يعاملهم على نحو أفضل. وحين يتصاعد غضب ميلتون، يظهر غارديانو ويعنفه قائلاً: يبدو أن الشحاذين يفضلون خدمات رافائيل. عند ذلك يشير ميلتون إلى أن تصرفات رافائيل بدت غريبة مؤخراً، فهو يحدق بوحشية ويتحدث إلى نفسه. ثم يستطرد قائلاً: البارحة أشرت مازحاً إلى لون بشرة رافائيل الداكنة وعلقت قائلاً إنه يتصرف مثل هندي همجي.

يسأل ميلتون الأب غارديانو عن السبب الذي يكمن وراء تصرفات رافائيل الغريبة. يجيب غارديانو قائلاً إن عبء سوء الطالع والتوبة والصيام سببت له بعض التشوش. وبعد انتهاء الحواء يُقرع الجرس بحدة. يغادر غارديانو ويهرع ميلتون لفتح الباب. يندفع دون كارلو ويسأل عن الأب رافائيل. يجيب ميلتون: ثمة اثنان هنا، واحد سمين والآخر أسمر ونحيل، فأي واحد تريد؟ يجيب دون كارلو: أريد الشيطان. يهرع ميلتون لجلب الأب رافائيل النحيل متمتماً إنه شيطان مقنَّع.

تبدو علامات الارتياح على وجه دون كارلو وهو ينتظر قدوم الأب رافائيل، الذي هو بالطبع دون ألفارو، فلا شيء الآن يحول بينه وبين انتقامه. يظهر دون ألفارو في رداء راهب، ويشهق بهلع لدى رؤيته دون كارلو. يزمجر دون كارلو قائلاً: إنه وجد الآن ما كان يبحث عنه طيلة خمس سنوات. يتبع ذلك ثنائي غنائي دراماتيكي.

يصيح دون كارلو قائلاً يجب أن يسيل دم دون ألفارو ليزيل العار الذي لحق باسم فارغاس. ويستطرد قائلاً: بما أن دون ألفارو راهب وأعزل فقد جلبت معي سيفين. يرفض دون ألفارو أخذ السيف. فينعته دون كارلو بالجبن. يضبط دون ألفارو نفسه، وينحني أمام خصمه متوسلاً السماح. ثم يقسم بأن ليونورا لم تكن أبداً خائنة. يمطره دون كارلو بوابل من الشتائم والإهانات.

عندئذٍ يختطف دون ألفارو سيفاً من دون كارلو ويهم بطعن خصمه، لكنه يرميه من يده ويقول إنه لن يستسلم لغرائزه الدنيئة. يزمجر دون كارلو قائلاً إن دون ألفارو شخص ضعيف، ثم يصفعه على وجهه. يلتقط دون ألفارو السيف ثانية. يصل الثنائي الغنائي إلى ذروة حين يصيح الاثنان صيحات الموت، ثم يبتعدان ليتبارزا في بقعة خلف الدير.

المشهد الثاني: مكان قاحل في الجبال لا يبعد كثيراً عن الدير. في الخلف مغارة لها باب. الوقت عند الغروب. تبرز ليونورا من المغارة. تبدو على وجهها الشاحب أمارات المعاناة الطويلة. إنها تغني وهي واقفة أمام الباب آريا رائعة تعبر فيها عن حنينها إلى السلام والمغفرة. تفكر بـ دون ألفارو وتندب قدرها القاسي الذي أبعدها عنه. وحين تخطو نحو الصخرة، حيث ترك لها الأب غارديانو شيئاً من الطعام، تسمع أصواتاً غاضبة. فتعود إلى المغارة. تنتهي آريتها بالعبارة التي تستنزل فيها اللعنة على كل من يعكر عزلتها.

تأتي أصوات قعقعة سيوف من وراء المغارة. وفجأة يسمع صوت دون كارلو وهو يصرخ إنه يموت متوسلاً الغفران. يندفع دون ألفارو وسيفه بيده ويصرخ قائلاً إنه أراق دم فارغاس ثانية، ويقرع بعنف باب المغارة. تفتح ليونورا الباب فيتجمد الاثنان حين يواجهان بعضهما. ثم يتراجع دون ألفارو محذراً ليونورا من الاقتراب منه لأن يديه ملطختان بالدماء. ثم يخبرها، مشيراً إلى الخلف، إن ثمة رجلاً ميتاً ـ إنه أخوها، الذي أجبر على قتله. تهرع ليونورا إلى تلك البقعة، في حين يهذي دون ألفارو قائلاً إن القدر سخر منه مجدداً ـ لقد وجد ليونورا فقط في الوقت الذي تلطخت فيه يداه بدماء أخيها.

يسمع صوت ليونورا وهي تبكي في تفجع، وبعد لحظة قصيرة تسير مترنحة بمساعدة الأب غارديانو. تقول وهي تلهث إن دون كارلو كفّر عن خطيئتها، فقد طعنها حينما أرادت أن ترفعه بذراعيها. يلعن دون ألفارو قدره. ينصحه غارديانو بألا يلوم السماء بل أن يطلب المغفرة.

يقود هذا إلى ثلاثي غنائي مؤثر ينهي الأوبرا. تتوسل ليونورا المحتضرة إلى ألفارو أن يبحث عن الخلاص بالصلاة. يرفض في البداية كل عون، لكنه يصبح

في النهاية قائلاً: إن السماء سامحته. تغني ليونورا قائلة إنها ستذهب قبله إلى السماء حيث لا وجود للكراهية، وحيث الحب وحده هو الذي يحكم. وحين يتوسل إليها ألفارو ألا تتركه وحيداً مع ذنبه، تهتف ليونورا باسمه وتموت. يئن دون ألفارو يسحقه اليأس ويتمتم ميتة «Morta!». يرفع الأب غارديانو يديه ويتمتم قائلاً: إن ليونورا مع الله «Salita a Dio!». وتسدل الستارة.

جياني سكيكي
Gianni Schicchi

أوبرا للمؤلف جياكومو بوتشيني

وضع نصها، المأخوذ عن دانتي، جواكينو فورزانو

الشــــخصيات

زيتا	عمة بيوسو دوناتي المتوفى		ميتسو - سوبرانو
ماركو	ابن سيمون		باريتون
لاتشيسكا	زوجة ماركو		سوبرانو
رينوتشيو	ابن أخت زيتا		تينور
سيمون	عم بيوسو		باص
جيراردو	ابن أخت بيوسو		تينور
نيلا	زوجته		سوبرانو
جيراردينو	ابنهما		ميتسو - سوبرانو
بيتودي سينا	صهر بيوسو		باريتون
جياني سكيكي			باريتون
لاوريتا	ابنته التي تحب رينوتشيو		سوبرانو
سبينولوتشيو	طبيب		باص
أمانتيو دي نيكولاو	محام		باص
بينولينو	حذاء		باص

جوشيو صباغ

المكان : فلورنسا

الزمن ١٢٩٩

التقديم الأول: دار أوبرا الميتروبوليتان، نيويورك، ١٤ كانون الأول عام ١٩١٨.

اللغة الأصلية: الإيطالية.

جياني سكيكي هي واحدة من ثلاث أوبرات ذوات الفصل الواحد هي: جياني سكيكي والعباءة والأخت أنجيليكا، ولا يجمع بينها موضوع واحد، ولكن يفضل تقديمها في ليلة واحدة. البطل في هذه الأوبرا مرسوم على غرار شخصية عاشت في فلورنسا في نهاية القرن الثالث عشر اشتهر بمغامراته.

غرفة نوم في منزل بيوسو دوناتي، الفلورنسي الثري الذي توفي للتو. ثمة في زوايا السرير، المسجى فيه المتوفى، أربع شموع مضاءة. بجانب السرير هناك شمعدان بـ ثلاث شمعات مطفأة. في أحد جوانب الغرفة درج يفضي إلى شرفة صغيرة. يركع أقرباء الميت ويصلون، ثم يتجمعون حول السرير ويندبون الميت. لكن يبدو حزنهم مفتعلاً. يجلس جيراردينو، الولد ابن السابعة، على الأرض يسلي نفسه بألعابه. وحين يُحدث بعض الضجة يُطلب منه الخروج من الغرفة.

يشير بيتو الخجول ذو الثياب الرثة إلى شائعة سمعها تتعلق بـ بيوسو. تقول الشائعة إن المتوفى ترك معظم ما يملك ـ حتى المطحنة ـ لصالح الدير. وبهلع يناشد أقرباء المتوفى سيمون، الذي كان فيما مضى عمدة البلدة، أن يبدي رأيه حول الموضوع. يفكر سيمون ملياً ثم يعلن قائلاً إن بيوسو كتب وصيته عند كاتب محكمة البلدة، ثم ضاع كل شيء حولها. ومع ذلك إن كانت الوصية لا تزال هنا بين ممتلكات المتوفى الشخصية، يمكن أن يتحول الوضع إلى صالح الأقرباء،

وعلى الفور يتدافع الأقرباء ويتسابقون في البحث عن الوصية في الخزائن والأدراج. يعبر رينوتشيو بنبرة حماسية عن أمله في إيجاد الوصية لإنجاح قصته الغرامية. وبينما يبحث الآخرون في الغرفة يصعد إلى الشرفة ويفتش في محتويات صندوق.

يسرق بيتو، الذي لا يراقبه أحد، ختماً فضياً ومقصاً ويخفي تحت معطفه صينية فضية. تحدث جلبة عندما يجلب سيمون وثيقة، ولكن يتبين أنها الوثيقة الخطأ. فجأة يصرخ رينوتشيو وهو يحمل ورقة وجدها في الصندوق «Salvati! Il Testamento di Buoso Donati !». وحين ينزل اللدرج يندفع الآخرون نحوه وأيديهم ممدودة، لكنه يبعد الورقة عن متناول الجميع. وفي مقطع صغير يذكّرهم بأنه هو الذي وجد الوصية «Zia, l'hotrovato». ثم يسأل زيتا، بصفتها رأس العائلة، إن كانت ستوافق على زواجه بـ لاوريتا، في حال وفر إرث بيوسو الثروة للعائلة الكبيرة. وحين تأكد له زيتا والآخرون، بنفاد صبر، أنه يمكنه الزواج بمن يحب، ينادي جيراردينو ويرسله لجلب سكيكي وابنته.

تأخذ زيتا الورقة من رينوتشيو وتفتحها وتقرأ فيها تحيات مُرسلة إليها وإلى سيمون. يلمدم الآخرون بكلمات الشكر لـ بيوسو على كرمه، ويضيئون الشمعات الثلاث الباقية. يقرأ الأقرباء، وقد تجمعوا حول زيتا، الوصية بصمت وبأنفاس محبوسة. وبينما هم يقرؤون تعلو وجوههم الدهشة والهلع. يسير سيمون ببطء نحو السرير ويطفئ جميع الشموع. ثم يلتفت نحو الأقرباء ويصرخ قائلاً إن الشائعة صحيحة تماماً. «Dunque eravero!»، ويتبع هذه الكلمات هيجان يصدر عن الجميع. فكل واحد منهم يعبر بطريقته عن مشاعر الحسد من الرهبان

والراهبات الذين سيزدادون سمنة بفضل ثروة بيوسو. وبحقد سخروا بعضهم من بعض كورثة خائبي الرجاء. وقد شعروا الآن بأنهم فقراء كما في السابق.

أخيراً ينجح رينوتشيو في تهدئتهم ثم يقول: إن هناك رجلاً واحداً يستطيع المساعدة ـ جياني سكيكي. يرفض الأقرباء اقتراحه بازدراء على الرغم من أنهم يدركون أنه غير معني سوى بحبه للاوريتا. وفي تلك اللحظة يندفع جيراردينو إلى الداخل معلناً أن سكيكي وابنته قادمان. الآن تدور مجادلة يدافع رينوتشيو خلالها عن سكيكي ويصفه بالرجل المتعقل والداهية، ويعده مفخرة مدينة فلورنسا. وفي آريا شجية يتحدث بحماسة عن المدينة التي فتنت بروعتها عباقرة العالم. ويختم قائلاً إن جياني سكيكي ساهم في إعلاء مجد فلورنسا.

عندما تنتهي الآريا يدخل سكيكي ولاوريتا ويحييان رينوتشيو بحماسة. ثم يشير سكيكي، وقد استوعب الوضع، إلى نفوره من الجشع، ويتظاهر بالحزن. تحاول زيتا طرده وتعلن أنها لن تسمح لابن أختها رينوتشيو بالزواج بمن هي أدنى مستوى منه.

ينفجر سكيكي غاضباً ويدين تدخلها الأناني، في حين يتعهد العاشقان أن ينذر كل منهما نفسه للآخر. تمتزج الأصوات الأربعة في رباعي غنائي قصير.

يهم سكيكي، وقد اشمأزَّ من الجدال، بالخروج، لكن رينوتشيو يتوسل إليه أن يبقى ويولي اهتمامه بمشكلة الوصية، كذلك تضيف لاوريتا توسلاتها من خلال آريا مؤثرة. يمتثل سكيكي أخيراً مظهراً تردده، ويأخذ الوصية ويشرع في قراءتها. وأثناء قراءته يخطو ببطء إلى الأمام والوراء يتبعه موكب الأقرباء وعيونهم مركزة عليه. وفجأة يتوقف كمن هبطت عليه فكرة مدهشة. يرمق لاوريتا بنظرة ثم يرسلها إلى الشرفة. وحين تخرج يسأل الأقرباء إن كان خبر موته قد أشيع بين

الناس. فيجيبونه قائلين لا أحد يعرف، حتى الخدم لا يعرفون الخبر. عند ذلك يأمرهم بنقل جثمان بيوسو، مع الشمعدان، إلى غرفة أخرى.

وبينما هم في سبيلهم إلى نقله يدق الطبيب سبينولوتشيو الباب معلناً وصوله. فيؤكد له الأقرباء، من دون أن يفتحوا الباب، أن صحة بيوسو قد تحسنت. وفي هذه الأثناء يختبئ سكيكي خلف السرير. يصر الطبيب على رؤية المريض، فيهتف سكيكي، مقلداً صوت بيوسو، قائلاً إنه تعب جداً ولا يستطيع الآن رؤية أحد، ويطلب منه العودة في المساء. يغادر الطبيب بعد أن يتوقف برهة ليعلق قائلاً إنه حتى الآن لم يمت من مرضاه أحد، ويعود السبب في ذلك إلى معرفته الطبية الممتازة.

حين يخرج سكيكي من مخبئه يسأل إن كان تقليده صوت بيوسو مقنعاً. وبعد أن يؤكدوا له ذلك يبدأ بشرح خطته في آريا مضحكة «Si Corre dal notaio».

ينبغي على أقرباء الميت استدعاء كاتب العدل حالاً، ويخبرونه بأن بيوسو في النزع الأخير، ويريد أن يملي وصيته. وحين يصل كاتب العدل سيكون جياني سكيكي في السرير ليلعب دور بيوسو، وسوف يملي الوصية التي سترضي جميع من يهمه الأمر. يرحب الأقارب بفكرة سكيكي اللامعة. ثم يطالب كل منهم بحقه في تملك قطعة أرض من أراضي بيوسو الزراعية. ويحتدم الجدال ويتطور ليشمل المطحنة والقصر والمنشرة. يقطع المحاورة دقة جرس كنيسة يعلن موت أحدهم. يصاب الجميع بالدهشة، إذ كيف انتشر خبر موت بيوسو؟ ويتنهد سكيكي قائلاً إن خطته ذهبت أدراج الرياح. ويسرع جيراردو إلى الخارج ليتحقق، لكنه يعود سريعاً ومعه أخبار مفرحة مفادها أن دقات الجرس كانت من أجل مساعد العمدة الذي مات بالسكتة الدماغية.

يـشعر الأقـارب بالراحـة ويـساعدون سـكيكي في تنكـره. كـل واحـد مـنهم يحاول رشوة سكيكي للحصول على ما يشتهيه من أملاك بيوسو. فيعد سكيكي الجميع بالخير. وأخيراً، حين يلبس رداء نوم بيوسو، تدفعه زيتا وتشيسكا ونيلا باتجاه السرير وهن يغنين ثلاثياً غنائياً مرحاً يتظاهرن فيه أنهن يقنعن طفلاً بالذهاب إلى السرير.

وقبـل أن يـستلقي سـكيكي في الـسرير يلتفـت نحـو الأقـارب ويحـذرهم مـن العقاب الشديد الذي سيقع عليهم في حال انكشاف الغش: قطع اليد اليمنى ـ والنفي.

يُقرع الباب، فيثب سكيكي إلى السرير في حين يظلم الأقارب الغرفة. يدخل كاتب العدل يتبعه بينيلينو وغوشيو كشاهدين على الوصية. وبعد شكليات رسمية يملي سكيكي وصيته. يعبر الأقارب عن رضاهم حين يخصص سكيكي مقداراً متواضعاً من المال من أجل مراسم الدفن، ومبلغاً رمزياً من أجل الدير. وحين يأتي بيوسو المزعوم على ذكر المطحنة والقصر والمنشرة يسود الجو قلق التوقع المحموم. ثم يعلن سكيكي قائلاً: إن هذه إلى جانب المنزل في فلورنسا أوصي بها للصديق العزيز جياني سكيكي. تثور موجة من الاحتجاجات وسط الأقارب، لكن سكيكي يهدئهم. ثم يضيف ألماً آخر إلى ألمهم حين يأمر زيتا أن تمنح كاتب العدل والشاهدَيْن مكافأة مجزية. وحين يتم توقيع الوصية وختمها ينسحب الثلاثة وهم يعبرون عن شكرهم العميق. وما إن يخرجون من المنزل حتى يطرح الأقارب أنفسهم فوق سكيكي يشجبونه ويشتمونه. ينهض من السرير وينتزع عصا بيوسو ويلوح بها مهدداً. ثم يزأر قائلاً إنه صاحب المنزل، ويأمرهم بالخروج منه. وبينما

هو يطاردهم يخطفون كل شيء تصل إليه أيديهم ويخرجون وأذرعهم محملة بالغنائم.

بينما تخفت الموسيقا تدريجياً يذهب رينوتشيو ولاوريتا إلى مؤخرة الغرفة ويفتحان النافذة العريضة التي تكشف مشهد فلورنسا متألقة بالشمس الساطعة. يغني العاشقان ثنائياً غنائياً «Lauretta mia» ثم يتعانقان بحرارة.

يعود سكيكي ويشاهد العاشقَيْن غافلَيْن عن كل شيء تغمرهما النشوة. فيلتفت إلى الجمهور ويشير إلى العاشقَيْن متسائلاً: هل كان باستطاعة بيوسو الثري أن يؤدي خدمة أفضل من هذه؟ ثم يردف قائلاً: إن الأقارب أرسلوه إلى الجحيم بسبب هذا الخداع. ويأمل، مع احترامه اللائق لـ دانتي، أن يقبل الجمهور حكم «غير مذنب». يشرع سكيكي بالتصفيق وينحني. وتسدل الستارة.

هانسيل وغريتل

Hänsel und Gretel

للمؤلف إنغلبيرت هومبردينك E. Humperdinck 1854-1921

وضع نصها، المأخوذ عن حكاية من حكايات الجن

للكاتب غريم، آدلهايد فِتّه

الشخصيات

هانسيل	ميتسو- سوبرانو
غريتل	سوبرانو
بيتر، والد هانسيل وغريتل	باريتون
غيرترود، أم هانسيل وغريتل	ميتسو- سوبرانو
رجل الرمــل	سوبرانو
رجل الندى	سوبرانو
الساحرة	ميتسو- سوبرانو

١٤ ملاك، أصوات الغابة، أطفال

المكان: غابة في ألمانيا القديمة

الزمان   الماضي البعيد

التقديم الأول   ٢٣ كانون الأول عام ١٨٩٣ في فايمر بألمانيا

اللغة الأصلية   الألمانية

إن أوبرا هامبردينك المبنية على حكاية من حكايات الجن هي من الأعمال الأكثر أهمية التي ظهرت بعد فترة فاغنر. إنها ألمانية في روحها وبنائها الموسيقي، وتعكس سوية عالية للتقنية الألمانية.

قابل هامبردينك المؤلف فاغنر أثناء عمله في أوبرا «بارسيفال»، وأصبح الاثنان صديقين حميمين. وقد ساعد هامبردينك فاغنر في نسخ أوبرا «بارسيفال»، كما ساعده في التحضير لعرضها.

إن إعجابه الشديد بعمل فاغنر وملازمته إياه يفسران التأثير الفاغنري القوي والواضح في أعماله، خصوصاً في عملة «هانسيل وغريتل».

تبدأ الافتتاحية بلحن تضرع الطفلين الذي يسود الأوبرا كلها. يتبع ذلك لحن إيقاعي مفعم بالحيوية يرتبط برقية الساحرة، ثم يمهد لظهور لحن متمهل سوف يُسمع ثانية في بداية الفصل الثالث حين يوقظ رجل الندى الطفلين. هذان اللحنان يمتزجان مع ثيمة التضرع.

الفصل الأول

المشهد الأول : غرفة صغيرة في كوخ بيتر صانع المكانس الواقع وسط الغابة. يجلس هانسيل قرب الباب منشغلاً في صنع مكنسة. وتجلس غريتل قرب الموقد وهي تحبك. تغني غريتل لحناً شعبياً ألمانياً قديماً يدور حول«سوزيس» ويروي قصة الإوزات المسكينات اللواتي لا يملكن أحذية. يلتقط هانسيل اللحن ويغني افتقاره حتى لقطة نقد صغيرة يشتري بها سكراً وخبزاً، ثم يرمي بعنف المكنسة غير المنتهية في الزاوية ويقفز واقفاً. يتوجه نحو أخته ويقول بغيظ ليت الأم تأتي إلينا. وبينما يتابع هانسيل دمدمته تذكّره أخته بما يقوله الأب حين تشكو الأم. وتكرر الفتاة على لحن التضرع المثل القديم «حين تكون الحاجة ملحة، يبسط الرب يده»

(Wenn die Not auf's Höchste steigt) ثم تلتقط المكنسة وتتظاهر بأنها تكنس محنتهما مغنية لحناً قصيراً مرحاً (Griesgram hinaus). يضم هانسيل صوته إلى صوتها مشكلين ثنائياً ساراً. لكن غريتل تتذكر بأن ثمة عملاً يجب أن ينجز، وتطلب من هانسيل أن ينشط في عمله. يسخر هانسيل من الفكرة قائلاً بأنه سوف يرقص ويمرح. تعلن غريتل بأنها تعشق الرقص، والآن سوف يرقصان على أغنية علمتهما إياها ذات مرة العجوز الزنجية. تصفق غريتل لضبط الوزن وتحاول أن تعلم هانسيل الخطوات وهي تغني (Brűderchen, komm' tanz' mit mir). يرقص الاثنان ويغنيان ناسين متاعبهما وعملهما إلى أن يسقطا على الأرض. وبينما هما مستلقيان يضحكان، يتناهى إلى سمعهما صوت أمهما تناديهما من الخارج. ينهض الاثنان في خوف ورعب. تندفع غيرترود إلى داخلال الكوخ مستنكرة هذه الجلبة. ينبري هانسيل قائلاً بأن ذلك من عمل غريتل، بينما تلوم غريتل أخاها. تذهب غيرترود لجلب عصاها معلنة أنها ستعاقبهما لأنهما لم ينجزا عملهما. ومن شدة هيجانها تصطدم بإبريق الحليب فينسفح الحليب على الطاولة. تُعوِل الأم قائلة؛ الآن لم يبق شيء للعشاء! وبغضب ترسل هانسيل وغريتل إلى الغابة لجمع التوت البري، وتحذرهما من العقاب إن عادا دون سلة ملأى بالتوت. حين يذهب الطفلان تنتحب غيرترود وتنشج نادبة حظها.

عندئذٍ يأتي من بعيد صوت بيتر صانع المكانس، إنه يغني مقطعاً من أغنية حيوية (Ra – la – la – la – ra – la – la – la). يلج بيتر الكوخ وهو يغني ويلاحظ الإبريق فارغاً. يضع على الطاولة قنينة نصف فارغة من البراندي، ويتجه نحو زوجته الغافية ويطبع قبلة على خدها.

تصحو غيرترود، تفرك عينيها وتتساءل عن سبب الضوضاء. يحاول بيتر تقبيلها ثانية، لكنها تدفعه بعنف وتعنفه على إهدار وقته في الحانة. يطلب بيتر من

زوجته بمرح أن تنسى متاعبها، ويبدأ في إفراغ سلته. تصيح غيرترود دهشة حين يخرج من السلة مواداً غذائية. ينهض الاثنان ويرقصان في الغرفة. وبينما تحضر غيرترود العشاء يشرح بيتر ما قد حدث. كان ثمة احتفال كبير في القرية. وكان لدى الناس رغبة كبيرة في الشراء، فانتهز هذه الفرصة وباع بضاعته بأغلى سعر.

فجأة يسأل أين هانسيل وغريتل؟. تقص عليه غيرترود ما حدث بعد الظهر وكيف كاد إبريق الحليب أن ينكسر، وكيف أرسلت الطفلين إلى الغابة. يسأل بيتر زوجته برعب إن كانت قد سمعت بأن ثمة بقعة شنيعة في الغابة اتخذتها الروح الشريرة مأوى لها. وفي آريا دراماتيكية يخبرها عن قشرة الساحرة « Die Knusperhexe». وكيف تغري الأطفال ثم تخبزهم في كعك الزنجبيل وأخيراً تلتهمهم. تندفع غيرترود بيأس إلى خارج الكوخ. يلتقط بيتر قنينة البراندي ويركض وراء زوجته. وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: تعزف الأوركسترا بريلود «انطلاق الساحرات». ترتفع الستارة عن فُرْجة هادئة في الغابة. نرى غريتل جالسة على جذع شجرة وهي تصنع إكليلاً من الأزهار البرية، بينما يبحث هانسيل عن التوت البري بين أجمات العليق. يظلم المشهد تدريجياً.

تغني غريتل أغنية(لحناً شعبياً ألمانياً) تدور حول رجل صغير يرتدي عباءة أرجوانية رائعة وقبعة سوداء، ويقف وحيداً على ساق واحدة في الغابة (Ein Männlein steht im Walde). يقاطعها هانسيل قائلاً بأن سلته قد امتلأت بالتوت. يعود الطفلان إلى ألعابهما، وأثناء ذلك يأكلان التوت كله. وفجأة يشعران بحلول الظلام، ويقر هانسيل بأنه لا يعرف الطريق إلى البيت. تنشج غريتل في رعب، ظانة أنها رأت شبحاً وسط الأشجار. يتحداه هانسيل

بصرخة يردِّد صداها خلف المشاهد كورس من الأصوات النسائية. ويتعانق الطفلان في خوف.

وفي قمة خوفهما إذا برجل صغير رمادي يحمل على كتفه كيساً يخطو وسط الضباب ويغني بأنه رجل الرمل◆ (Der kleine Sandmann bin ich-sh!)، وأنه يعشق الأطفال، ويبهجه ذر حبيبات سحرية في عيونهم تجعلهم ينامون براحة. يهدأ الطفلان تدريجياً بتأثير حبيبات الرمل التي ذرها الرمال في أعينهما. يركعان ويغنيان صلاة الأطفال الشهيرة التي تدور حول ١٤ ملاكاً يتجمعون حول سريرهما لحراستهما أثناء نومهما (Abends, will ich schlafen geh'n). وفي نهاية الثنائي يغرق الطفلان في نوم عميق، وكل منهما بين ذراعي الآخر.

وبينما تعزف الأوركسترا بنعومة ثيمة الصلاة يعم الظلام المشهد. وفجأة يخترق ضوء باهر الضباب المظلم يكشف عن منظر سُلّم طويل في الخلف ينزل منه ١٤ ملاكاً ويتجمعون حول الطفلين، ثم يمسك بعضهم بأيدي بعض، ويتحركون في رقصة تشبه رقصة الأحلام بينما تسدل الستارة.

الفصل الثاني

يبدأ التمهيد بجملة لحنية قصيرة هي جزء من أغنية ـ اللعبة القديمة المألوفة عالمياً. وسوف تُسمع مرة ثانية خلال الفصل حين تغني الساحرة. يتبع ذلك موتيف الفجر. بعد ذلك ترتفع الستارة. نرى المشهد ذاته باستثناء اختفاء الملائكة. يظهر رجل الندى ويرش نقاطاً من نبتة الجُرُيس (نبتة ذات أوراق زرقاء جرسية الشكل) على الطفلين النائمين بمرافقة أغنية صغيرة (Der kleine Laumann heiss'ich!). يعلن بأنه

◆ رجل الرمل «الرَمَّال»: رجل تزعم الأسطورة أنه يوقع النعاس في عيون الأطفال بذر الرمل فيها. (المورد).

يسافر مع الشمس ويفتح الأجفان النائمة بأشعَّة ذهبية من الضوء. وبينما هو يتجول تنهض غريتل وتفرك عينيها. ينقلب هانسيل على جنبه الآخر ويعود للنوم.تدهش غريتل من وجودها في الغابة، وتوقظ هانسيل مقلدة زقزقة العصفور. ينهض هانسيل ويضم صوته إلى صوتها فيشكلان ثنائياً غنائياً قصيراً (Ti-re-li-re, 's ist nicht mehr früh). ثم يشرع الطفلان برواية أحلامهما الرائعة حول الملائكة الحارسة.

فجأة يصيحان بدهشة. إذ ينكشف في الخلف بيت الساحرة في إيلسنشتاين. يغني الطفلان ثنائياً يصف البيت المصنوع من كعك الزنجبيل. ويهرع الاثنان باتجاه البيت. يقطع هانسيل، متجاهلاً تحذير غريتل، قطعة من الزاوية. يُسمع من داخل البيت صوت الساحرة وهي تغني متسائلة عن الذي يأكل في البيت. (Knusper, Knusper, Knäuschen, wer knuspert mir am Häuschen?). يجفل هانسيل ويرمي قطعة الكعك. ثم يسأل غريتل إن هي سمعت الصوت. ويقر الاثنان بأن ذلك كان صوت الريح فقط، ثم يلتهم قطعة أخرى من البيت. في تلك اللحظة ينفتح القسم الأعلى من الباب وتظهر الساحرة، التي لا يلاحظها الطفلان. وبينما هما يستمتعان بأكل الكعك تخرج الساحرة من البيت وترمي حبلاً حول رقبة هانسيل. يصيح هانسيل في رعب ويحاول الهرب بعيداً، لكن الساحرة تقهقه بصخب. ثم تدعو الطفلين إلى البيت وتعدهما بأن يأكلا ما يشتهيان من الحلويات. لكن هانسيل يرفض الدخول، ويحذر غريتل من دعوة الساحرة، ويهمس لها قائلاً بأنهما سيحاولان الهرب.

في تلك الأثناء يخطط هانسيل لتحرير نفسه.ويبدأ الاثنان بالركض.إثر ذلك تسحب الساحرة عصا من حزامها، ترفعها وتنطق بتعويذتها (Hokus, Pokus, Hexenschuss!). وعلى الفور يتوقف الطفلان. يظلم المشهد. وبينما تنغم الساحرة رُقيتها تبدأ

نهاية عصاها بالتوهج على نحو غريب. تقود هانسيل إلى داخل حجيرة ذات قضبان وتقفل بابها. تحذِّر غريتل وتختفي من البيت. يطلب هانسيل من أخته أن تراقب كل شيء تقوم به الساحرة وأن تتظاهر بطاعتها. تعود الساحرة وبيدها سلة ملأى بالحلويات التي ستسمن بها هانسيل. يتظاهر هانسيل بالنوم. عندئذٍتحرر غريتل من الرقية وتأمرها بالعمل حول البيت. ترمي الساحرة حطباً في نار الفرن وتفرك يديها في فرح شيطاني. تفكر الساحرة بتشفٍ بطريقة تسهل عليها رمي غريتل في الفرن. إنها ستطلب منها بلطف أن تنحني وتنظر ما بداخله. عندئذٍ ستدفعها بقوة إلى داخله. وفي فرح جنوني بخطتها تركب الساحرة مكنسة وتعدو بوحشية حول البيت وتنشد مقطعاً لا معنى له حول حصانها ـ عصا المكنسة (Hopp, Glopp, mein Besemgaul!). تتوقف فجأة وتترجل، ثم توقظ هانسيل وتطلب منه أن يريها لسانه، ثم تأمره أن يريها إصبعه. عندئذٍ تشكو الساحرة من أنه ما زال أعجف.

تطلب الساحرة من غريتل أن تجلب لـ هانسيل مزيداً من الزبيب واللوز. وأثناء قيام الساحرة بإطعام هانسيل تلتقط غريتل بحذر العصا السحرية وتكرر بنعومة التعويذة. وحين تعود الساحرة لتفحص الفرن يتحرر هانسيل من الرُقية ويهرب من القفص. تنادي الساحرة غريتل وتطلب منها الذهاب إلى الفرن لترى إن كان كعك الزنجبيل قد نضج. تتظاهر غريتل بالحمق وتطلب من الساحرة أن تريها كيفية النظر في الفرن. يقترب هانسيل بحذر. وحين تنحني الساحرة أمام الفرن المفتوح يدفعها الطفلان بقوة ويغلقان الباب. يصيح الطفلان بسخرية مقلدين كلمات الساحرة.

يرقص الطفلان حول البيت ويغنيان ابتهاجاً بموت الساحرة. وفجأة يطقطق الفرن بعنف ثم ينفجر متحولاً إلى حطام. يقف الطفلان في رعب

ويحدقان بذهول. ثم تزداد حيرتهما حين يريان حشداً من الأطفال وقد أعيد بعثهم. ينضم هانسيل وغريتل إلى الأطفال ليرقصوا معاً وليغنوا في فرح .(Die Hexerei ist nun vorbei!)

يقاطع المجموعة صوت صانع المكانس المرح (Ra-la-la-la) آتياً من بعيد وحين يظهر بيتر وغيرترود يندفع الأطفال نحوهما بصيحات الترحيب. ثمة ولدان يُخرجان من أنقاض الفرن شخصية الساحرة وقد تحولت الآن إلى كعكة زنجبيل كبيرة. يلفت بيتر نظر الأطفال إلى ما آلت إليه الساحرة بوساطة سحرها الشيطاني (Kinder, schaut das Wunder an!) ـ هكذا عاقبت السماء الشريرة.

وفي تنويع على ثيمة التضرع يرتل كلمات صلاة الأطفال ـ «حين تكون الحاجة ملحة يبسط الرب يده». يرد الأطفال في كورس عظيم. وبينما يرقص الأطفال بابتهاج يسدل الستار.

لوهنغرين

Lohengrin

للمؤلف ريتشارد فاغنر R. Wagner 1813-1883

وضع نصها، المأخوذ عن اسطورة من القرون الوسطى، المؤلف نفسه

الشخصيات :

هنري الأول ، ملك ألمانيا	باص
فريدريك تيلراموند ، كونت برابانت	باريتون
منـــــادي	باص
أورترود ، زوجة الكونت فريدريك	ميتسو ـ سوبرانو
إلزا ، من برابانت	سوبرانو
لوهنغرين ، فارس الكأس المقدسة	تينور
غوتفريد ، شقيق إلزا	تينور

نبلاء من ساكسونيا وبرابانت ، غلمان ، سيدات وسادة القصر ، خدم

المكان أنتفيرب

الزمان بداية القرن العاشر

التقديم الأول : مسرح فايمار بألمانيا ، ٢٨ آب عام ١٨٥٠

اللغة الأصلية : الألمانية

بدأ فاغنر العمل في أوبرا لوهنغرين عام ١٨٤٥، بعد أن جمع مادة الليبريتو من عدة أساطير تيوتونية تتعلق بفارس الكأس المقدسة* الخرافي. وأسطورة بارسيفال، بوجه خاص، زودت المؤلف بخلفية لوهنغرين، وكذلك بخلفية الدراما الموسيقية «بارسيفال» التي وضعها فيما بعد. في الفصل الثالث من أوبرا لوهنغرين يكتشف الفارس أنه ابن بارسيفال وفارس الكأس المقدسة. كان فرسان الكأس المقدسة محاربين أتقياء مهمتهم حراسة الكأس المقدسة التي انسكب فيها دم المسيح المصلوب.

كتب المؤلف الأوبرا بترتيب عكسي، مبتدئاً بالفصل الثالث، وأكملها في بداية عام ١٨٤٨. وقد بعث فاغنر، حين كان منفياً لأسباب سياسية، مدونة الأوبرا مع التفاصيل الكاملة إلى المؤلف ليست في فايمار وأقنعه بتقديمها. ولم يشاهد فاغنر تقديمها إلا في عام ١٨٦١.

يعرض الاستهلال ثيمة سماوية ترمز إلى الكأس المقدسة. ويقود هذا، في القرار، إلى صلاة إلزا في الفصل الأول. وتتصاعد الموسيقا إلى ذروة هائلة، ثم تُختتم بثيمة الكأس المقدسة المتقنة والمضجرة.

الفصل الأول

حقل واسع على ضفتي نهر شيلدت، خلف جدران أنتفيرب. الملك هنري جالس على عرشه تحت سنديانة القضاء، محاطاً بالنبلاء الساكسونيين. وفي مواجهتهم يجلس فريدريك تيلراموند وبجانبه أورترود. ويلازمه نبلاء برابانت.

---

* الكأس المقدسة (التي شرب منها المسيح في العشاء المقدس والتي راح المسيحيون فيما بعد يجدون في البحث عنها). (المورد).

يتقدم رسول الملك ويومئ لأربعة من البواقين لكي يبدؤوا التبويق. ثم يعلن أن الملك هنري يستدعي رجال برابانت للدفاع عن المملكة الألمانية. وبنشاط، يتعهد البرابانتيون ببذل جهودهم الملكية لحماية بلدهم. ينهض الملك الآن ويحيي أتباعه (Gott grüss' euch). ويخبرهم بصوت وقور أن القبائل الهنغارية يهددون ألمانيا على الحدود الشرقية. لقد انقضت سنوات الهدنة التسع، والآن يستعد الهنغاريون للمعركة. ويقول الملك هنري بأنه قدم ليحث البرابانتين للسير معه فوراً إلى مينز لقتال العدو. ويتساءل الملك ملتفتاً إلى تيلراموند، لم تظل برابانت، الذي اتكل عليها لمساندته في هذه الساعة العصيبة، يمزقها النزاع الأهلي والاضطراب.

يشكر تيلراموند الملك لمجيئه ممثلاً دور الحَكَم (Dank, König, dir, dass du zu richten kamst!)، ثم يقدم تفسيره. يروي أن دوق برابانت أوصاه، وهو على فراش الموت برعاية طفلَيْ الدوق، إلزا وغوتفريد. وفي أحد الأيام تركت إلزا وشقيقها القصر، وبعد وقت عادت إلزا إلى القصر وحدها، ولم يُعثر على غوتفريد أبداً. وهو الآن على قناعة بأن إلزا مذنبة وتتحمل مسؤولية اختفاء شقيقها. ويتابع تيلراموند سرده قائلاً بأنه تخلى عن حقه باتخاذها زوجة له ــ الحق الذي منحه إياه الدوق ــ وأنه تزوج أورترود عوضاً عنها. ثم يتهم إلزا بقتل شقيقها، ويطالب بعرش برابانت. ثمة همهمات وسط الحشد تعبر عن الدهشة والفزع.

وحين يتابع تيلراموند قائلاً باهتياج أن إلزا كانت قد خططت لتحكم برابانت مع عشيق سري إلى جانبها، يسكته الملك هنري. يستلُّ الساكسونيون والبرابانتيون سيوفهم منشدين أن أسلحتهم ستظل مشهورة حتى يصدر الملك حكمه في هذا الاتهام. يستدعي الرسول إلزا.

تتقدم إلزا ترافقها ثيمة رقيقة وسامية، وتجلس قبالة الملك. يعلق رجال الحاشية بنعومة قائلين بأن من يجرؤ على اتهام هذه المخلوقة النقية ينبغي أن يكون متأكداً من ذنبها. يسأل الملك هنري هل هي إلزا فون برابانت (Bist du es, Elsa von Brabant?). تنحني إلزا دون أن تقول شيئاً. وحين يسألها إن كانت تدرك طبيعة الاتهامات الموجهة إليها، تومئ برأسها بهدوء. ثم يسألها الملك إن كانت تعترف بذنبها (So bekennst du deine Schuld?).

تهمس إلزا وكأنها في غيبوبة بكلمات حول أخيها. ثم تبدأ بمناجاتها الدراماتيكية التي تُعرف بحلم إلزا (Einsam in trüben Tagen). وتغني إلزا، يائسة ووحيدة، وتتضرع طالبة العون، وتنفجر من شفتيها صرخة الألم. وحين تتلاشى أصداء مناجاتها تخر نائمة على الأرض. عندئذٍ يظهر أمامها شبح فارس في درع لامع. إنه هو الذي سيكون بطلها في هذه الساعة، ساعة محنتها الكبيرة. يلتمس الملك هنري، الذي تأثر من سلوكها الغريب، من تيلراموند أن يفكر بحذر قبل أن يذهب أبعد من ذلك في تأكيد اتهاماته. يجيب تيلراموند بغضب قائلاً إنه يتحدى أي شخص يناقش حقيقة توكيداته. يلتفت الملك نحو إلزا ويسألها من ستختار ليكون نصيرها؟ وفي انجذاب صوفي (Des Ritters will ich wahren) تكرر إلزا أن شبح المحارب الذي تجلى في رؤياها هو من سيقاتل لصالحها. وسوف تتزوجه مكافأة له.

يغني الرجال بحيوية أن المكافأة الملكية تنتظر المحارب الذي سيقبل التحدي. وإثر اللحن الذي تعزفه الأبواق يدعو المنادي البطل أن يتقدم. ثمة توقف طويل. وحين لا يتقدم أحد يصيح تيلراموند بأن اتهاماته عادلة وأنه على حق. تناشد إلزا الملك أن يكرر النداء ثانية. ومرة ثانية يقابل النداء بصمت. تسقط إلزا على ركبتيها وتغني ابتهالاً بليغاً ومؤثراً

(Du trugest zu ihm meine Klage) تناشد فيه فارسها أن يظهر. تضم سيدات الحاشية تضرعاتهن إلى دعاء إلزا.

فجأة يصرخ الرجال الواقفون قرب ضفة النهر قائلين بأن ثمة قارباً يجره طائر التَم يتقدم. يضم آخرون أصواتهم معلنين أن محارباً يقف في القارب يلبس درعاً متألقاً، ويقود القارب تَمٌ بأعنة ذهبية، يتصاعد الكورس أثناء اقتراب القارب من ضفة النهر. تقف إلزا وكأنها مسحورة دون أن تلتفت. يراقب الملك هنري المشهد مندهشاً. ينظر تيلراموند إلى ما يجري بمزيج من الخوف والغضب، في حين تحدِّق أورترود برعب بالتَم.

يقف لوهنغرين، المكسو بدرع رائع، متكئاً على سيفه، بينما يلامس القارب عَدْوة النهر. تنبعث من الحشد هتافات الترحيب (Gegrüsst, du gottgesandter Held!). وحين ينزل لوهنغرين من القارب يسود سكون غير متوقع. يخاطب لوهنغرين التَم (Nun sei bedankt, mein lieber Schwan) شاكراً، ويدعوه للعودة إلى الأرض المسحورة التي قدِما منها، ثم يغني بحزن أثناء رحيله. يعلق الكورس بأصوات تعكس الرهبة.

يحيي لوهنغرين الملك ويخبره بأنه قدِم ليحمي العذراء المتهمة، بينما تنبعث من الأوركسترا ثيمة الكأس المقدسة. ثم يلتفت إلى إلزا ويطلب أن تمنحه شرف أن يكون فارسها البطل. تحيي إلزا بطلها ومخلصها (Mein Held, mein Retter). وتتعهد بمنح لوهنغرين يدها إن فاز في القتال. مقابل ذلك يطلب منها تعهداً بألاّ تسأله عن اسمه وعن المكان الذي قدِم منه (Nie sollst du mich befragen). وحين تعلن إلزا إخلاصها له يأخذها لوهنغرين بين ذراعيه هاتفاً بأنه يحبها (Elsa! Ich liebe dich!).

وفي حين ينشد الكورس بنعومة، يرافق لوهنغرين إلزا متجهاً نحو الملك ليضعها في رعايته، ثم يواجه بخفة ورشاقة تيلراموند، ويعلن بأن إلزا بريئة وأن التُهم التي وجهت إليها باطلة. وعندما يحذره أتباعه بألا يقاتل هذا الخصم المرسل من السماء، يجيب بأنه يفضل الموت على أن يثبت أنه جبان .(Viel lieber tot, als feig!)

وفي الحال يحدد النبلاء مكان النزال. وبعد أن يعلن النادي قواعد المبارزة، يرفع الملك صلاة جليلة وقورة من أجل انتصار الحق (Mein Herr und Gott, nun ruf ich dich)، يرتل الجميع الصلاة في كورس جليل. تعزف الأبواق، ويضرب الملك ترسه بسيفه ثلاث ضربات معلناً بدء المبارزة.

يندفع الفارسان أحدهما نحو الآخر، وبعد قتال قصير، يُسقط لوهنغرين بضربة قوية خصمه تيلراموند، ويقف واضعاً سيفه على حنجرة خصمه المقهور. وبأسلوب درامي يغني الفارس مقطعاً يقول فيه بأنه سيبقي على حياة تيلراموند. وبينما يهلل الكورس للمنتصر تتقدم إلزا نحو لوهنغرين وتمنحه يدها وهي تغني بعاطفة متقدة (O, fand ich Jubelweisen). يتبعها كورس رائع يهلل بالثناء والفرح. يندب تيلراموند وأورترود هزيمتهما وعارهما. يسقط تيلراموند على قدمي أورترود، بينما تزهو إلزا ولوهنغرين بالنصر. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

قلعة أنتفيرب. في الخلف تقع مساكن الفرسان. وفي الأمام تقع حجرات النساء. الوقت ليلاً. النوافذ مضاءة، وفي الداخل أصوات المرح. يجلس تيلراموند وأورترود على درجات الكاتدرائية التي تواجه المساكن الملكية. كانا قد حُرما من

الامتيازات الملكية، ويرتديان ملابس المتسولين. تيلراموند غارق في أفكاره بينما تحدّق أورترود بحقد بالنوافذ المضاءة. فجأة يلتفت تيلراموند نحو زوجته بغضب قائلاً بأن سحرها الشرير جعله يخسر شرفه في المبارزة.

تجيبه أورترود بسخرية واحتقار مشيرة إلى أن غضبه جاء متأخراً جداً، ولو كان قد وجه ذلك الغضب إلى خصمه لكانا تجنبا هذا الخزي. ثم تقول: ومع ذلك ثمة أمل واحد أمامهما لأنها تعرف الرقية السحرية التي مكّنت لوهنغرين من الفوز. إذ في الوقت الذي يكشف الفارس عن اسمه وعائلته ستزول قوته السحرية، وإلزا وحدها تستطيع أن تنتزع السر منه، وينبغي إقناعها ـ أو إجبارها ـ على أن تستجوب الفارس. ثم تتابع أورترود وتخبر تيلراموند بأنه لو استطاع إراقة نقطة واحدة من دم لوهنغرين فسوف يصبح عاجزاً. يغني الاثنان مقسمَيْنِ على الثأر الرهيب من خصمهما لوهنغرين (Der Rache Werk).

وحين يتلاشى صوتاهما تظهر إلزا على الشرفة، وتقف هنيهة تغمرها السعادة. وتشير عبارات أغنيتها الحماسية إلى بداية ما يُعرف بـ مشهد الشرفة (Euch Lüften, die mein Klagen so traurig oft erfüllt). تُبعد أورترود تيلراموند وتنادي إلزا بعبارات حزينة. تقول إنها لم تقصد الأذى وإن تيلراموند تصرف دون تفكير وبغضب مفرط. تتأثر إلزا لحزن أورترود الواضح وتحاول مواساتها. تطلب منها أن تنتظر ثم تعود بسرعة إلى غرفتها. تدعو أورترود الآلهة الوثنية لمساعدتها في إنجاز انتقامها. وحين تعود إلزا ترافقها سيدتان تخر أورترود أمامها بتذلل وتضرع. تؤكد إلزا، فرحة لاقتراب زفافها، لـ أورترود غفرانها، وتقول إنها ستلتمس المغفرة أيضاً من بطلها.

تحذر أورترود بمكر إلزا بألا تحب بتهور، وتعبر عن أملها بألا تضللها عواطفها. وعلى الرغم من خوف إلزا من كلمات أورترود المشؤومة

تدفعها إلى الإيمان بأن الإخلاص وحده كفيل بتحقيق السعادة في الحب. (Lass mich dich lehren). تعلق أورترود، على انفراد، قائلة إن نصر إلزا ذاته سيثبت خرابها. (Dieser Stolz, er soll mich lehren). يمتزج صوتا المرأتين في ثنائي قصير لكنه مؤثر. ثم تقود إلزا أورترود إلى مساكن النساء. وحين تدخل المرأتان إلى المسكن يظهر تيلراموند، ويقول بتشفٍّ إن سحر أورترود الشرير سيدمر أولئك الذين سلبوا منه شرفه.

عند الفجر تُسمع أصوات الأبواق من مختلف أبراج القلعة. يختبئ تيلراموند خلف الكاتدرائية المجاورة خشية أن يراه الخدم الذين يقومون بواجباتهم الصباحية، وسرعان ما تمتلئ الساحة بأفراد الحاشية وبالرجال القادمين من الحصن. وفي كورس مختلط (In Früh'n versammelt uns der Ruf) يغنون الأحداث المجيدة التي ستسم هذا اليوم. ثم يلتفت الجميع ليواجهوا المنادي، الذي قدِم حاملاً الأخبار. يعلن المنادي المرسوم الملكي الذي يسم تيلراموند بالخيانة، ويعرِّض كل من يساعده لعقوبة الموت. ويتابع المنادي معلناً أن بطل إلزا رفض لقب دوق وطلب أن يسمى حامي برابانت. يهلل الكورس ممجداً البطل.

يُطلب من الحشد الصمت، بعدها يدعو المنادي الجميع للاحتفال بزواج إلزا من البطل. وغداً ينبغي أن يلتفت الرجال إلى شؤون الحرب. يتعهد الرجال بإخلاصهم من خلال مقطع كورسي جذل (Zum Streite säumet nicht). وفي حين يتجول أفراد الشعب والمحاربون في حيوية وحبور، ثمة أربعة نبلاء من أتباع تيلراموند السابقين يحتجُّون فيما بينهم على السير لملاقاة عدو لم يسبق أن تحداهم. وفي تلك اللحظة يقترب تيلراموند خلسة، ويؤكد أنه عازم على فضح الراغب في أن يكون قائدهم بصفته مدعياً ومرتداً. يحذره النبلاء من افتضاح أمره ويبعدونه عن أنظار الحشد.

يعلن أربعة من الغلمان حضور إلزا وحاشيتها. وتبدأ مسيرة موكب الزفاف بخروج النبلاء والعامة من كل جانب. ثمة كورس هائل ينشد مهللاً (Heil dir, Elsa von Brabant) أثناء تحرك إلزا والسيدات باتجاه الكاتدرائية. وفي الموكب تظهر أورترود مرتدية الآن الملابس الملكية.

حين همت إلزا بصعود درجات الكاتدرائية تقدمت أورترود ووقفت أمامها. وفي حقد مكبوت تعلن بأنها لم تعد تابعة مثل وصيفة وضيعة، بل ستجبر إلزا على أن تتخلى عن مكانها. وحين وبّختها إلزا بغضب تحدتها أورترود أن تنطق باسم الفارس الذي ستكون عروسه، ثم صرخت قائلة ربما يكون هنالك سببٌ وجيه يدفعه إلى إخفاء أصله ومنع السؤال عنه. وفي مقطع مؤثر تشجب إلزا اتهامات أورترود. إنها تناشد الحشد ليشهد أن فارسها بطل صلب أبقى على حياة عدوه الغادر. ترد أورترود بغضب قائلة بأن المحارب المجهول هو دجال شرير.

في تلك اللحظة تعلن الأبواق وصول الملك هنري . يتقدم لوهنغرين وأتباعه في مهابة. ترتمي إلزا بين ذراعي لوهنغرين ملتمسة حمايتها. يأمر لوهنغرين أورترود بالابتعاد، ثم يرافق إلزا إلى الكاتدرائية.

يتقدم الموكب إلى الأمام. وفجأة يخترق تيلراموند الحشد ويواجه الملك ويطلب منه بلهفة أن يسمعه. يندفع المحاربون نحوه، بينما يأمر الملك باعتقاله. وفي حين يتراجع الحشد برعب ينطلق تيلراموند بخطبة مسهبة لاذعة (Den dort im Glanz ich vor mir sehe) يصف فيها لوهنغرين بالمشعوذ، ويطلب منه الكشف عن اسمه وأصله. ثم يستطرد قائلاً بعنف إن على الذي قدم إليهم في تلك الظروف الغامضة أن يقدم الكثير من التفسيرات. يسود جو من الشك وتنبعث من الحشد همهمات ودمدمات.

يجيب لوهنغرين قائلاً إن الاتهامات الزائفة عاجزة عن الطعن في شرفه، ولا يستطيع أحد حتى الملك أن يجبره على البوح باسمه، لكن إلزا فقط تستطيع فعل ذلك. يشرع الآن الكورس الختامي لهذا الفصل بالغناء، في حين يعبر المشاهدون عن انذهالهم وارتباكهم (Welch ein Geheimnis muss der Held bewahren?). تبتهج أورترود وتيلراموند لشعورهما بأن سُم الشك بدأ يفعل فعله المميت في قلب إلزا. كما تعبر إلزا نفسها عن شكوكها ومخاوفها، في حين يعلن لوهنغرين بأن المتهمين سيحاسبون.

يتجمع النبلاء، يقودهم الملك، حول لوهنغرين مؤكدين دعمهم له. يتقدم تيلراموند بهدوء من إلزا ويطلب منها على نحو مخادع أن تخون لوهنغرين مستعينة به، ويخبرها بأن قطرة من الدم ستجرد الفارس من السحر الذي يحميه ومن قدرته. تحاول إلزا إبعاد تيلراموند. في تلك الأثناء يندفع لوهنغرين، وقد شاهدهما يتحدثان، نحو إلزا آمراً تيلراموند أن يبتعد عنها.

ترتمي إلزا، الذي صعقها الخجل، على قدمي لوهنغرين. يرفعها لوهنغرين بلطف، ويسألها إن كانت ترغب أن تطرح عليه السؤال المشؤوم. تجيبه إلزا أن الحب ينتصر على كل شك (Mein Retter, der mir Heil gebracht). إثر ذلك يقودها لوهنغرين نحو الملك. يقودهما الملك إلى أعلى درجات الكاتدرائية وسط تهليل الكورس الذي يصل إلى ذروة لامعة، ويتعانق الاثنان. في تلك اللحظة تشاهد إلزا أورترود واقفة في الأسفل ويدها مرفوعة في إشارة انتصار حاقد. تلج إلزا بسرعة الكنيسة يرافقها لوهنغرين والملك. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث

غرفة زفاف حسنة التجهيز، في جانبها نافذة واسعة مفتوحة، ثمة تمهيد لامع تعزفه الأوركسترا يفتتح الفصل. في ختام التمهيد تُفتح الأبواب في الخلف ويدخل منها موكب الزفاف، يقوده غلمان يحملون شموعاً مضاءة. تقود النساء إلزا، بينما يرافق الرجال الملك هنري ولوهنغرين. يغني الحشد ـ الكورس ـ لحن الزفاف الشهير (Treulich geführt).

يتعانق لوهنغرين وإلزا، ويتقدم الملك منهما ويمنحهما بركته. يتراجع الرجال والنساء مع الملك وهم يغنون لحن الزفاف، ثم ينصرفون. ويغلق الغلمان الأبواب.

يقود لوهنغرين إلزا إلى الأريكة، ويبدأ الاثنان في غناء ثنائي الحب الرائع، (Das süsse Lied verhallt). وبعبارات عاطفية بليغة تحلق فوق مرافقة أوركسترالية حسية يعبر العاشقان عن نشوتهما. ولكن حين يغني لوهنغرين بنشوة لافظاً اسم إلزا يطرأ تغير رقيق على الجو. تتمتم إلزا بأن اسمها يبدو جميلاً على شفتيه (Wie süss mein Name deinem Mund entgleitet)، لكن الهارموني يُظْلِم حين تطلب منه أن يأذن لها بالنطق باسمه.

يتجنب لوهنغرين طلبها بتصريح دافئ بالحب، لكن إلزا تصر على طلبها بالكشف عن سره. وحين يخبرها بأنه قدم من ممالك النور ليحميها وليحظى بحبها، تصيح بيأس أن حبها يتدمر بهذه الكلمات، وأن كل يوم سيحمل خوفاً مؤلماً من أن يتركها ليعود إلى موطنه المسحور الذي قدم منه. وتتخيل بفزع التَم القادم من أجل هذه المهمة. يتوسل إليها لوهنغرين أن تكف عن تساؤلاتها. ومرة ثانية نسمع الثيمة التحذيرية ترافقها الكلمات (Nie sollst du mich befragen).

تطلب إلزا بجنون معرفة اسمه ومصيره وأصله (Den Namen sag' mir an! Woher die Fahrt? Wie deine Art?).

في تلك اللحظة يندفع تيلراموند مع أربعة من مؤيديه إلى الغرفة شاهرين سيوفهم. يتناول لوهنغرين سيفه الموضوع بجانب الأريكة ويقتل تيلراموند بضربة واحدة، في حين يستسلم الأربعة ويرمون سيوفهم، وترتمي إلزا بين ذراعي لوهنغرين.

ثمة توقف طويل متوتر. ثم يتمتم لوهنغرين بأن سعادته قد انتهت (Weh! Nun ist all' unser Glück dahin!)، ويحمل إلزا إلى الأريكة. تعود إلزا إلى رشدها. يأمر لوهنغرين النبلاء الأربعة أن يحملوا جسد تيلراموند إلى الملك. ويستدعي سيدتين لترافقا إلزا إلى العرش. يغادر لوهنغرين ببطء الغرفة. يبزغ الفجر، ويطفئ الغلمان الشموع.

هنا تنسدل الستارة برهةً. تسمع من بعيد أصوات الأبواق. يتغير المشهد لينكشف عن مرج أخضر على ضفتي الـ شيلدت، كما في افتتاح الأوبرا. وفي استعراض رائع يصل الملك هنري مع النبلاء والحاشية. ينظمون صفوفهم أثناء جلوس الملك على العرش تحت شجرة البلوط الضخمة. يطلب الملك من اتباعه أن يتهيؤوا للسير لملاقاة العدو، ثم يستفسر حول البطل الذي سيقودهم.

في تلك اللحظة يدخل أربعة من النبلاء يحملون جسد تيلراموند على نعش، ويضعونه أمام العرش. يفاجأ الجميع وينظرون في رعب. تظهر إلزا وحاشيتها وتنحني في أسى، ثم يظهر لوهنغرين، يتقدم لابساً درع المعركة وسط تهليل الملك هنري والمحاربين يهتفون باسمه كبطل برابانت.

يعلن الفارس أنه لن يستطيع قيادتهم في المعركة. إنه لم يأت كمحارب بل كمتهم. وبعد شرحه ظروف الهجوم، يطلب لوهنغرين الحكم بشأن قتل تيلراموند. يعلن الملك والمحاربون مشروعية القتل. لكن لوهنغرين ينتقل إلى قضية أخرى فيخبر الحشد بأن إلزا تعرضت لخيانة شنيعة دفعتها إلى الإخلاف بوعدها بألا تسأل عن اسمه وأصله. والآن يعلن أن اللحظة الحاسمة قد أزفت ليكشف عن سره.

حين تظهر ثيمة الكأس المقدسة يغني لوهنغرين المعبد المتألق في جبال مونسالفات حيث توجد الكأس المقدسة. إن قوتها الإلهية تتجدد كل عام بزيارة الحمامة السماوية. ويقوم على حراستها مجموعة من الفرسان. ومن واجب هؤلاء الفرسان الأطهار الدفاع عن أولئك الذين يتأذون من الشرور الأرضية. ولكن في اللحظة التي ينكشف فيها اسم فارس منهم، فإنه يرحل إلى الأبد تاركاً أولئك الذين أنقذهم. وبصفته واحداً من فرسان الكأس المقدسة، فقد أُرسل إلى هنا. وفي ذروة الأغنية يعلن أنه ابن بارسيفال، وأن اسمه هو لوهنغرين.

يعبر المحتشدون عن دهشتهم من قصته الآسرة، وتطلق إلزا صيحة ندم وتقترب من لوهنغرين. يأخذها بذراعيه وهو يغني عبارات الملامة والحزن المؤثرة (O Elsa! Was hast du mir angethan). إنه يندب القدر المأسوي الذي دمر سعادتهما، ثم يودعها. تتوسل إلزا لكي لا يتركها. يجيبها لوهنغرين بأن غيابه أثار غضب الكأس، وأن عليه أن يرحل. ثم يلتفت نحو الملك ويقول إنه وإن كان لا يستطيع البقاء لقيادة المحاربين في المعركة مع عدوهم، إلا أن النصر سيكون حليفهم.

فجأة يلوح من بعيد طائر التَم. ولدى وصوله الشاطئ يحييه لوهنغرين (Mein lieber Schwan). ثم يلتفت نحو إلزا ويقول لو أنها استطاعت الوفاء

بوعدها وبقي معها مدة عام لأعادت قوة الكأس أخيها إلى جانبها. يعطيها سيفه وبوقه وخاتمه ويطلب منها أن تعطيها لأخيها حين يعود. فالسيف سيحميه، وسيطلق البوق نداء النجدة في حالة الخطر، وسيذكره الخاتم بالبطل الذي قدم لحماية أخته. يقبل لوهنغرين إلزا قبلة الوداع.

وفجأة تندفع أورترود وتطلب من لوهنغرين العودة إلى موطنه (Fahr' heim, du stolzer Held). إنها الآن تستطيع أن تخبر عروسه التعسة بالحقيقة. إن طائر التَم الذي يجر القارب ما هو إلا شقيق إلزا المسحور. وإن السلسلة التي تطوق رقبته هي أداة السحر التي بوساطتها سلبت أورترود الغلام هيئته الإنسانية.

يركع لوهنغرين مصلياً. عندئذٍ تحلق حمامة الكأس فوق القارب، بينما تعزف الأوركسترا ثيمة الكأس. وبرفق يفك الفارس السلسلة التي تطوق عنق التَم. ينتفض الطائر متحولاً إلى فتى وسيم يقوده لوهنغرين ويطلب من الجميع النظر إلى دوق برابانت الوريث الشرعي لدوقية برابانت.

تصرخ أورترود برعب وتسقط على الأرض. يثب لوهنغرين إلى داخل القارب الذي يبتعد ببطء. تحتضن إلزا أخاها، ثم تلتفت نحو النهر منادية زوجها (Mein Gatte! Mein Gatte). يختفي لوهنغرين برهة، ثم يظهر واقفاً وسط القارب، ثم ينحني ويختفي. تنبعث من الحشد صيحة حزن وأسى. وتسدل الستارة.

لوتشيا دي لاميرمور
Lucia di Lammermoor

للمؤلف غايتانو دونيزيتي G. Donizetti 1797-1848.
وضع نصها، المأخوذ عن رواية عروس لاميرمور لـ والتر سكوت، سالفاتور كامارانو.

الشـــخصيات

لورد لاميرمور إنريكو آشتون، نبيل اسكوتلندي	باريتون
لوتشيا آشتون، أخته	سوبرانو
سير رافنسوود إدغاردو، الأخير الذي بقي من عائلته	تينور
رايموندو بايدنبيت، معلم لوتشيا الخاص	باص
أليزا، مرافقة لوتشيا	ميتسو ـ سوبرانو
اللورد أتورو باكلو، نبيل ذو نفوذ	تينور
نورمانو، قائد حرس اللورد إنريكو	تينور

أصدقاء ـ أقرباء ـ وصفاء ـ جنود ـ خدم اللورد إنريكو

المكان اسكوتلندا

الزمن نحو عام ١٧٠٢

التقديم الأول نابولي، مسرح سان كارلو، ٢٦ أيلول عام ١٨٣٥

اللغة الأصلية الإيطالية

كانت العائلتان النبيلتان المتعاديتان، لاميرمور ورافنسوود، قد أقسمتا على أن تبيد إحداهما الأخرى. والسير إدغاردو، الشاب الجسور، هو الوحيد الذي بقي من عشيرة رافنسوود. وكان والده قد قُتل على يد اللورد إنريكو، الذي أستولى أيضاً على أراضيه.

الفصل الأول

حديقة قصر رافنسوود. منظر موقع صخري مشجر. في الخلف ثمة بحيرة. طائفة من الحرس، يرأسها نورمانو، تبحث باهتياج عن غريب قيل بأنه يحوم حول المكان.

يدخل اللورد إنريكو ومعه رايموندو. يشكو إنريكو لـ نورمانو ورايموندو من أنه فقد ثروته، وأنه ما يزال يعاني تهديد عدوه إدغاردو. ثم يضيف، ومع ذلك فإن شقيقته لوتشيا تستطيع أن تحميه من الدمار إن تزوجت الرجل الذي اختاره لها ليكون زوجها. لكنها مازالت ترفض ذلك. يذكّره رايموندو الشفوق بأنها مازالت في الحداد على موت أمها، ولا تستطيع أن تفكر بالحب. «لا تستطيع التفكير بالحب»، يزأر نورمانو. «إن قلبها يشتعل بالحب». ثم يسرد كيف أنقذها صياد من هجوم ثور مجنون؛ وأنها تقابل سراً كل صباح منقذها في ذلك المكان نفسه، قرب قبر أمها. يسأله إنريكو إن كان يعرف الرجل، فيجيبه نورمانو بأنه يعتقد أن العشيق الغامض هو السير إدغاردو.

يغتاظ إنريكو «Cruda funesta samania». وفي تلك اللحظة يعود بعض الحراس ويقولون بأنهم شاهدوا رجلاً على ظهر جواد يندفع من البرج المتهدم. تتعزز شكوكهما: إنه إدغاردو «Comé vinti». يتصاعد غضب إنريكو، ويقسم على الانتقام من لوتشيا وإدغاردو «La pietade in suo favore»، ويتعهد الحراس وهم يغادرون بتقديم الدعم. يدافع رايموند عن لوتشيا، ولكن دون جدوى، فيرحل يثقله القنوط.

وبينما يظلم المشهد بعض الشيء، يُسمع إنترلود فاتن على آلة الهارب. تدخل لوتشيا مع مرافقتها أليزا الحديقة للقاء إدغاردو. تخشى أليزا غضب إنريكو إن اكتشف أمرهما. وتشعر لوتشيا بأنه يتوجب عليها تحذير إدغاردو من خطره. ثم تقص على أليزا كيف قتل، بحسب الأسطورة، واحد من عائلة رافنسوود حبيبته في هذه البقعة بالذات، ورمى جثتها في حوض النافورة القريبة. إن روحها البائسة مازالت تحوم في بالحديقة. ومن خلال آريا جميلة ودراماتيكية، تسرد كيف واجهت مراراً هذه الروح البائسة التي حذرتها من النهاية التعيسة لعلاقتها الغرامية السرية. ترجوها أليزا أن تتخلى عن إدغاردو قبل وقوع مأساة ما، لكن لوتشيا، التي ارتفعت معنوياتها، تغني نشوة حبها لـ إدغاردو «Queando rapita in estasi». تنسحب أليزا عندما ترى إدغاردو يقترب لتراقب العاشقين أثناء لقائهما..

يسأل إدغاردو لوتشيا أن تصفح عنه، لأنه طلب منها أن تلقاه في هذا الوقت، لكنه يعلل ذلك باضطراره إلى مغادرة اسكوتلندا هذه الليلة في مهمة سياسية إلى فرنسا. ومع ذلك يود قبل الذهاب أن ينشد السلام مع أخيها، وأن يضمن صداقته بطلب يدها. لكن لوتشيا تعلم أن اللورد إنريكو لن يوافق أبداً على زواجهما، وتطلب من إدغاردو أن يبقي حبهما سراً.

يمتعض إدغاردو ويقول «هل هذا غير كافٍ؟»، ثم يردف «ألم يقتل والدي ويستولي على ميراثي؟ هل يرضيه فقط موتي؟ ثم يسرد كيف أقسم على الانتقام على قبر أبيه، لكن حب لوتشيا كبح غيظه «Sulla tomba che rinserra»، وفي غضب شديد يؤكد أنه مازال يستطيع إنجاز ما أقسم عليه.

تحثه لوتشيا، وهي في حالة حب وألم، أن يدع الحب يتغلب. وبتصميم مفاجئ يطلب منها أن تقسم على أن تكون له إلى الأبد. ثم يضع خاتماً في إصبعها تعبيراً عن إخلاصه، وتعطيه لوتشيا واحداً من خواتمها عربون حبها الذي لا يموت. ويُختتم الفصل بـ ثنائي حب لامع يؤديانه برقة «Verranno a te sull'aure»، ثم يودع أحدهما الآخر.

الفصل الثاني

صالة في قصر لاميرمور. عندما ترتفع الستارة يكون قد مرت عدة شهور على رحيل إدغاردو إلى فرنسا. وفي غضون ذلك كان اللورد إنريكو قد وضع مخططاً شنيعاً يفرق به بين العاشقين. لم يكن بغض آل رافنسوود فقط الذي دفعه إلى الكيد بـ إدغاردو، ولكنه كان في الواقع يعاني ضائقةً مالية شديدة. وبتدبير زيجة بين لوتشيا واللورد أتورو باكلو، يستطيع تحسين وضعه المالي.

في بداية الفصل نرى إنريكو يتحدث مع نورمانو. يخبره بأنه كان قد دعا جميع أصدقائه وأقربائه للاحتفال بالزفاف المرتقب، لكنه يخشى أن تستمر لوتشيا بإصرارها على رفض الزواج من أتورو. يهدّئ نورمانو مخاوفه بتذكيره بأنهما قد صادرا جميع رسائل العاشقين، ونشرا شائعة تقول بأن إدغاردو يحب امرأة أخرى. وعندما يريان لوتشيا قادمة، يسأل إنريكو نورمانو عن الرسالة التي لفقاها لحمل لوتشيا على أن تصدق أن إدغاردو اختار فتاة أخرى للزواج بها. يناوله نورمانو الرسالة ثم يغادر ليرافق اللورد أتورو إلى القصر.

تدخل لوتشيا. إنها تتقدم بفتور ناظرة بثبات إلى أخيها. يلاحظ أمارات الحزن والأسى على وجهها، ويقول بأنه كان يأمل أن يرى بعض علامات الفرح. تجيب بأنه يعرف سبب حزنها، وتناشده التخلي عن قراراته «It pallor funesto, orrendo»، لكنه يطلب منها أن تنسى عشيقها، ويناشدها قبول زوج نبيل.تتجاهل لوتشيا اقتراحاته وتقول بأنها تعهدت بالإخلاص إلى آخر. عندئذٍ يطلعها شقيقها على الرسالة المزيفة، ويأمرها بقراءتها، قائلاً بأن ذلك سيثبت أنها قد خُدعت. تأخذ لوتشيا الرسالة بيدين مرتعشتين وتقرؤها. تصاب لوتشيا بالفزع والرعب وتوشك أن تسقط، فيهرع شقيقها لمعونتها. يتبع ذلك ثنائي غنائي تتحسر لوتشيا من خلاله على نفسها الشقية، وتتمنى الموت، بينما يستعطفها شقيقها أن تنسى عشيقها الغادر «Soffriva nel pianto».

فجأة تُسمع أصوات موسيقا احتفالية. فيخبر إنريكو شقيقته بأن الناس تحيي اللورد أتورو باكلو، الذي اختير ليكون زوجها. تصر لوتشيا على رفض الزواج، وتقول بأنها تنتظر الآن الموت فقط. فيعترف إنريكو يائساً بأن رفضها سيودي به، وستتدمر الأسرة، لأنه اقترف أعمال غدر بحق الملك، وأن أتورو الوحيد الذي لديه القدرة الكافية على إنقاذه من العقاب. ويضيف أنها مسؤولة عن موته، وأن روحه سوف تسكنها. «Se tradirmi tu potrai». ومع ذلك تصر لوتشيا على أن مستقبلها الوحيد هو الموت.

يغادر إنريكو ويدخل رايموندو. إنه الآن مقتنع بغدر إدغاردو، ويطلب من لوتشيا مراعاة ذكرى أمها بتقديم المساعدة لشقيقها «Ah! cedi, cedi». إن فكرة الحياة دون إدغاردو تسحق فؤاد لوتشيا. وهي الآن مؤمنة بأنه ضيعها إلى الأبد. وأن تفكيرها بواجبها في إنقاذ أخيها يدفعها أخيراً إلى القبول «Guidami tu, tu reggimi». وتغادر باكية لتهيئ نفسها للزفاف.

وما تكاد تترك الغرفة حتى يصل الضيوف. أتورو، إنريكو، نورمانو، فرسان وسيدات، غلمان، مرافقون، حراس، وسكان لاميرمور. يدخل الجميع مرحين يهللون للزواج الوشيك الذي سيوطد المودة بين آل آشتون وباكلو «Per te d'immenso giubilo». يعلن أتورو مودته وحبه لـ لوتشيا. «Per poco fra le tenebre». ويقدمه إنريكو إلى الضيوف المحتشدين.

يسأل أتورو عن لوتشيا، فيخبره إنريكو بأنها سوف تأتي في الحال، ويسأله أن لا يدهش إن بدت حزينة، لأنها ما زالت في حداد على موت أمها. تدخل لوتشيا مستندة إلى ذراع رايموندو وترافقها أليزا ووصيفاتها الأخر. يقدم إنريكو لـ أتورو الفتاة المكتئبة فترتد مبتعدة، لكن إنريكو يهمس لها أن تكون حذرة لكي لا تدمر خططه. ويذهب إلى الطاولة حيث يوضع عقد الزواج. يوقع أتورو عليه. ثم يقود رايموندو وأليزا، لوتشيا المرتعشة إلى الطاولة ثم يطلعانها على ما يجب فعله، فتوقع الصك.

فجأة ينفتح الباب. ويظهر غريب مخفي القسمات، يعلن بأنه إدغاردو! يصيب الذعر الجميع. وعندما تقود أليزا والسيدات لوتشيا المنهارة إلى مقعد، يبدأ غناء السداسي الشهير المفعم بالجمال وبالقوة الدراماتيكية. يفتتح إدغاردو السداسي بجملة استفهامية، «ما الذي يكبحني في هذه اللحظة؟» «Chi mi frena in tal momento?» إنه بالطبع حبه لـ لوتشيا الذي منعه من استلال سيفه والانتقام من أعدائه. وعلى الرغم من أنها خانت العهد، فهو مازال يحبها. أثناء ذلك تذبل لوتشيا، ويمتلئ قلب إنريكو بمخاوف جديدة، ويشعر بالشفقة حيال وضع أخته، يصلي الجميع، أتورو ورايموندو وأليزا والضيوف أملاً في زوال البلوى.

يستل إنريكو وأتورو سيفيهما ويندفعان نحو إدغاردو. يستل إدغاردو أيضاً سيفه ويقول: ربما أقتل لكن الآخرَيْن سوف يقتلان معي. يتدخل رايموندو ويطلب من الجميع أن يغمدوا سيوفهم. يسأل إنريكو عن سبب مجيء إدغاردو. فيجيب إدغاردو قائلاً بأنه قدِم من أجل لوتشيا التي أقسمت على الاخلاص له. يخبره إنريكو بأن القسم قد أُلغي، ويطلعه على عقد الزواج. يسأل إدغاردو لوتشيا عن التوقيع وهل هو توقيعها، فتجيب بأنه توقيعها.

يتصاعد غضب إدغاردو، ويعيد، وقد خنقه الغيظ، الخاتم إلى لوتشيا، ويطالبها بخاتمه. تسحب لوتشيا بشرود الخاتم من إصبعها، فيختطفه إدغاردو من يدها يقذفه إلى الأرض ويدوسه بقدمه.

تصاب لوتشيا بالإغماء، ويُأمر إدغاردو بالرحيل، ويُنبه إلى أن الانتقام سيلاحقه عند خروجه «Esci, fuggi». وبدلاً من محاولة الدفاع عن نفسه، يقذف إدغاردو سيفه بعيداً، ويتقدم نحو إنريكو وأتورو كاشفاً صدره معلناً بأنه سيلقى هلاكه بسرور. تصلي لوتشيا من أجله، ويحثه رايموندو وأليزا والسيدات على الفرار إكراماً لـ لوتشيا. يندفع إدغاردو خارجاً من الصالة، بينما تسدل الستارة.

الفصل الثالث

المشهد الأول: قاعة واسعة في قصر لاميرمور. القسم الأول من الفصل الثالث هو مشهد الجنون. ويتضمن من الناحية الموسيقية بعض المقاطع الغنائية الرائعة «كولوراتورا» والصعبة التي لا مثيل لها، وهي تصور، دراماتيكياً، لوتشيا التي فقدت عقلها، إنها تعتقد بأنها مع حبيبها، وهكذا فهي سعيدة بجنونها.

ترتفع الستارة عن صالة ممتلئة بالضيوف. تُسمع من الغرفة المجاورة موسيقا رائعة، وأصوات ابتهاج «D'immenso giubilo».

فجأة يدخل رايموندو شاحباً ومتوتراً، ويطلب من الجميع وقف قصفهم، ويجمعهم حوله ويسرد عليهم حكاية مروعة«Dalle stonze, ove lucia» : عند سماعه أنيناً مرعباً في جناح الزفاف، دخل ليجد أتورو ميتاً، ولوتشيا واقفة تراقب بانتصار جثته وهي مازالت تلوح بالسيف الذي قتلته به. وهمست وعيناها مثبتتان على رايموندو «أين زوجي؟».

وفور انتهائه من سرد قصته للمجموعة من حوله، تدخل لوتشيا بشعرها المبعثر. إنها شاحبة شحوب الموتى. وغير واعية لما حولها. وهي تعتقد بأنها مع حبيبها الحقيقي إدغاردو، وتتخيل بأنها تسمع صوته. ومرة أخرى، تعتقد بأنهما في الحديقة قرب النافورة. وفجأة تعتقد بأن الروح البائسة نهضت لتفرق بينهما. وفي عقلها المرتبك تتخيل أنهما يطيران نحو المذبح المغطى بالورود. إنها تسمع ألحاناً سماويةً. وتغني «الشموع مضاءة» «Ardon gl'incensi»، «ثمة كاهن في ثياب رائعة». وتهذي قائلة؛ إدغاردو أعطني يدك اليمنى، «لأنني عروسك إلى الأبد. هذه اللحظات السعيدة تعوض عن جميع آلامي». يلتمس الحشد المروع من السماء الرحمة بالفتاة البائسة.

يدخل إنريكو ويوبخ بشدة لوتشيا على جريمتها النكراء؛ لكن رايموندو يلفت انتباهه إلى حالة عقلها المحزنة، فينتابه الندم. ولاعتقاد لوتشيا بأن إدغاردو هو الذي

غضب بسببها، تعترف بأنها وقعت العقد لأن أخاها أجبرها على فعل ذلك. إنها تقول «إدغاردو، أنت الوحيد الذي أحبه»، «لا، لا تتركني».

الآن، وقد عادت إلى حالتها الطبيعية، تدرك أنها تموت، وتطلب من الحضور أن يلقوا وردة على قبرها لا أن ينتحبوا عليها، لأنها ذاهبة لانتظار حبيبها الحقيقي في السماء «Spargi d'amaro pianto». وبهذه الآريا تسقط لوتشيا على ذراعي أليزا. يعصف الألم بـ إنريكو الذي جاء ندمه متأخراً. وينتهي المشهد بـ رايموندو وهو يعنف نورمانو لأنه كان السبب في كل ما حصل.

المشهد الثاني إدغاردو المحطم قرب قصر وولفسكراج. مكان مشؤوم ومخيف. يرى في البعد قصر لاميرمور المضاء، بينما تبدو في المقدمة قبور رافنسوود. الوقت ليل. هنا نرى إدغاردو جالساً متأملاً. هو لا يعرف أن لوتشيا قد قتلت زوجها وماتت.وفي آريا رائعة «Fra poco a me ricovero» يغني أنه الآن بانتظار موته غير مأسوف عليه. إن زواج لوتشيا يعذبه، ويفكر بأن السعادة لها وحدها، لكن الغضب قد زال.

مجموعة من سكان لاميرمور الذي كانوا في القصر أثناء حدوث المأساة يدخلون والحزن على وجوههم. يسأل إدغاردو عن سبب حزنهم، فيسردون القصة الحزينة كاملة «Giusto cielo ! rispondete». وعندما يسمع بأن لوتشيا نادت في جنونها باسمه فقط، يقرر رؤيتها، لكن رايموندو الذي كان قد دخل، يكبحه. يُسمع في تلك اللحظة قرع ناقوس. يخبر رايموندو إدغاردو بأن الجرس يعلن موت لوتشيا. يشهق إدغاردو بالبكاء.

أخيراً يدرك إدغاردو رسوخ حب لوتشيا وإخلاصها له، فيناجي روحها الطاهرة، ويعلن أنه وإياها سوف لن ينفصلا بعد الآن «Tu che a Dio spiegasti». وقبل أن يتمكن الآخرون من إيقافه، يطعن نفسه. وبينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة، يصلي المجتمعون صلاة جليلة، متضرعين إلى السماء أن تغفر خطايا البشر.

مدام بترفلاي

Madam Butterfly

للمؤلف جياكومو بوتشيني، وضع نصها، المأخوذ عن قصة لـ جون لوثر لونغ ومسرحية لـ دافيد بيلاسكو، لويجي إيليكا وجوسيبه جياكوزا.

الشخصيات

غورو ، سمسار زيجات	تينور
ب.ف. بنكرتون ، ملازم أول في البحرية الأمريكية	تينور
سوزوكي ، خادمة لـ سيو ـ سيو ـ سان	ميتسو ـ سوبرانو
شاربليس ، القنصل الأمريكي في ناغازاكي	باريتون
مدام بترفلاي (سيو ـ سيو ـ سان)	سوبرانو
العمـــــة	سوبرانو
والدة سيو ـ سيو ـ سان	ميتسو ـ سوبرانو
ياكوسيدي ، عم سيو ـ سيو ـ سان	باريتون
مندوب الحكومة	باص
أمين السجل	باريتون
كاهن بوذي وعم سيو ـ سيو ـ سان	باص
الأمير يامادوري ، طالب يد سيو ـ سيو ـ سان	باريتون

كيت بنكرتون، زوجة بنكرتون ميتسو ـ سوبرانو

طفل سيو ـ سيو ـ سان صامت

أقارب ومرافقو سيو ـ سيو ـ سان، خدم

المكان: ناغازاكي، اليابان

الزمن : القرن التاسع عشر

التقديم الأول لاسكالا، ميلانو، ١٧ شباط عام ١٩٠٤

اللغة الأصلية: الإيطالية

شاهد بوتشيني عرض مسرحية مدام بترفلاي لـ بيلاسكو في لندن وقرر فوراً أن يستخدم تلك المسرحية أساساً لأوبرا. وقد بذل جهداً عظيماً لإعطاء العمل لوناً محلياً أصيلاً من الناحيتين الدراماتيكية والموسيقية، بانياً بعض ثيماته على موسيقا يابانية أصيلة. ومع ذلك فشل التقديم الأول فشلاً ذريعاً. وقد قام بوتشيني بتعديلها وتقديمها بعد مضي أربعة شهور، فنالت نجاحاً باهراً.

الفصل الأول

بيت ياباني استأجره بنكرتون في ناغازاكي، وهو يطل على الميناء والبلدة. يبدي بنكرتون دهشته وسروره حين يطلعه غورو على التعديلات المبتكرة التي أدخلها على الأبواب المنزلقة التي تشكل الجدران. تدخل سوزوكي ومعها خادمتان، فيقدمهن غورو إلى بنكرتون. تخاطب سوزوكي بنكرتون بعبارات منمقة، لكن غورو يقاطعها حين تشعر أن بنكرتون ضجر من ثرثرتها ويصرفها مع الخادمتين، ثم يخبره أن ثمة أناس سيحضرون لتوقيع عقد زواجه، بينهم أقارب والقنصل الأمريكي وإداريون يابانيون، وبالطبع بترفلاي عروس المستقبل.

يصل شاربليس لاهثاً متذمراً من اضطراه تسلق المرتفع الشديد لكي يصل إلى البيت. يأمر بنكرتون بجلب الشراب، ويجلس الاثنان ليتحدثا. يقول بنكرتون عرضاً إنه استأجر هذا المنزل مدة ٩٩٩ عاماً، وربط نفسه بزواج من يابانية بذات المدة ـ مع شرط يمكّنه من إلغاء الاثنين خلال مهلة شهر. وفي أغنية مرحة يصف بنكرتون الأمريكي الذي يطوف العالم بطريقة مستهترة غير هياب بشيء، وجل ما يهمه هو السيطرة بطريقته الخاصة. ثم يستشهد بمغامرة زواجه. يعلق شاربليس قائلاً إن فلسفة بنكرتون مريحة جداً، لكن في النهاية سيدفع ما اقترفته يداه. يشرب الاثنان نخب امريكا.

يدخل غورو، وإذ يسمع مصادفة شاربليس يسأل بنكرتون عن العروس، يقترح تأمين واحدة للقنصل الذي يرفض العرض ضاحكاً. يطلب بنكرتون من غورو أن يجلب سيو ـ سيو ـ سان. يعترض شاربليس على تناول مسألة الزواج بهذه الخفة، لكن بنكرتون

تبعت ذكر والدها، بترفلاي تتدارك الأمر وتتحدث عن عمها الشهير بونزو، ثم تضيف قائلة إن لديها عم آخر لكنه للأسف مدمن خمر. ثم تسأل بنكرتون وشاربليس بخفر أن يقدرا عمرها، ثم تكشف بدهاء وسط دهشة الاثنين عن سنوات عمرها البالغة فقط ١٥ عاماً.

يطلب بنكرتون من غورو جلب المرطبات. وفي تلك اللحظة يصل الأقارب. وعلى حدة، تسأل بترفلاي بنكرتون إن كان لا يمانع بأن تحتفظ بكنوزها التي جلبتها معها. ومن كمي الكيمونو تخرج بترفلاي مجموعة من الحُليِّ النسوية التافهة، ثم تخرج في النهاية خنجراً طويلاً. نسمع في الأوركسترا جملة قصيرة كئيبة دراماتيكية. وحين يسألها بنكرتون حول الخنجر تدير رأسها بارتباك. يتقدم غورو نحو بنكرتون ويهمس قائلاً لقد أرسله الميكادو إلى والدها لينتحر به على طريقة الهاراكيري.

عندئذٍ تعرض بترفلاي أمام بنكرتون عدداً من التماثيل الصغيرة التي ترمز إلى روح أجدادها. ثم تخبره قائلة إنها تبرأت من أجدادها وعائلتها إكراماً لحبه. ثم ترمي التماثيل بعيداً.

تجري مراسم توقيع عقد الزواج باحتفال كبير. يغادر شاريليس ومعه مندوب المقاطعة وأمين السجل. ويدعو بنكرتون أقارب بترفلاي لتناول الأطعمة والمشروبات. ومن خلال كورس بهيج يعبرون عن رضاهم. يقاطع الاحتفال وصول بونزو الذي يجابه بترفلاي منزلاً لعنته عليها لإنكارها دينها وأجدادها. وبتهديد من بنكرتون ينسحب بونزو والأقارب. تدفن بترفلاي وجهها بيديها وتنتحب بمرارة.

حين يتلاش بكاؤها، يأخذها بنكرتون برقة ويواسيها. يحل الغروب. ومن الداخل يأتي صوت سوزوكي يتمتم صلوات المساء. يأمر بنكرتون بترتيب المنزل، ثم يجلس على كرسي ويشعل لفافة. سوزوكي تساعد بترفلاي في تغيير ملابس الزفاف. ويغادر بنكرتون وبترفلاي، وتمهد الموسيقا لثنائي الحب الجذل الذي يختم الفصل «Viene la sera». ينظر الاثنان إلى السماء الملآنة بالنجوم، وتتدفق أحاسيسهما إلى أن يبلغا ذروة النشوة «Oh, qunti occhi fisi». وحين يلجان المنزل تسدل الستارة.

الفصل الثاني

منزل بترفلاي. بعد مرور ثلاث سنوات. مضى وقت طويل على مغادرة بنكرتون ناغازاكي وقد وضعت بترفلاي أثناء ذلك طفلاً منه. تتلو سوزوكي صلاة أمام تمثال بوذا.تقف بترفلاي دون حراك قرب بارافان. تتوسل سوزوكي إلى الآلهة ناشدة معونتهم، ثم تعرض على بترفلاي القطع النقدية المتبقية معها لشراء

الطعام. وحين تشكو الخادمة الحالة المزرية، تهدئها بترفلاي مؤكدة أن بنكرتون سيعود. إنها تغني قائلة لقد وعد أن يعود حين تبني طيور أبي الحناء أعشاشها في الربيع. وفي آريا جميلة «Un bel di» تصف الفرح الذي سيغمرها حين تصل سفينة بنكرتون إلى الميناء.

يقاطع وصول غورو وشاربليس استغراق بترفلاي السعيد. ترحب بالقنصل وتتحدث معه بأدب جم حول صحته. يقول شاربليس بألم بعدما انتظر الفرصة الملائمة إنه استلم رسالة مشؤومة من بنكرتون يقول فيها إنه اتخذ زوجة أمريكية، وإن زواجه من بترفلاي أصبح شيئاً من الماضي. يحدق شاربليس إليها دهشاً حين تسأله بترفلاي عن الوقت الذي تبني فيه طيور أبي الحناء أعشاشها في أمريكا. ثم تتابع قائلة إن بنكرتون وعدها بالعودة مع طيور أبي الحناء، وإن تلك الطيور كانت بنت أعشاشها ثلاث مرات ولم يعد. يجيبها شاربليس بارتباك بأنه ليس خبيراً بعلم الطيور.

يقاطع المشهد وصول الأمير يامادوري. لقد علم غورو بأن بترفلاي هُجرت، وهو عازم الآن على تزويج بترفلاي بـ يامادوري. لكنها تستقبل عرض غورو بازدراء. وحين تذكره بأنها مازالت متزوجة، يجيبها غورو قائلاً: إن الهجر يمنح الحق بالطلاق. ترد بترفلاي قائلة : إن هذا القانون يخص اليابان وليس أمريكا. ثم تلتفت نحو شاربليس طالبة منه إثبات ذلك.

وبعد مناشدة حزينة يغادر أمادوري مع غورو. وأخيراً يقرر شاربليس أن يقرأ لـ بترفلاي رسالة بنكرتون محاولاً أن يبرز معناها المأسوي. وبعد لحظة تهرع إلى الغرفة وتعود منها مع طفلها. وفي آريا مؤثرة ودراماتيكية «Chi vide mai a bimbo»، تخبر شاربليس بفخر بأنه طفل بنكرتون. ثم

تقول يجب أن يعلم أن طفله الرائع ينتظره. وتغني بترفلاي في نشوة محمومة قائلة ربما يمر الإمبراطور ذات يوم ويرى هذا الولد ذا العينين الزرقاوين العميقتين. إنه سوف يؤخذ بجماله ويجعله أميراً في مملكته. يسأل شاربليس عن اسم الولد. تجيب بترفلاي قائلة إن اسمه الآن هو تروبليه ، ولكن حين يعود بنكرتون سيتحول اسمه إلى جوي. يغادر شاربليس وهو محزون ، ويعد بإعلام بنكرتون خبر ابنه.

تندفع سوزوكي ساحبة غورو المتذمر. وتخبر بترفلاي قائلة : إن غورو يزعم أن والد الطفل غير معروف ، وأن طفلاً كهذا سينظر إليه في أمريكا نظرة احتقار. تتوعد بترفلاي بقتل غورو بخنجرها. تتدخل سوزوكي وتدفعه إلى خارج الغرفة.

يدوي صوت مدفع في الميناء معلناً وصول سفينة. وبوساطة منظار تستطيع بترفلاي معرفة اسم السفينة ، إنها السفينة المسماة إبراهام لينكولن ، إنها سفينة بنكرتون. وباهتياج شديد تأمر سوزوكي أن تجلب الزهور من الحديقة لتزين بها المنزل. وأثناء ترتيب الزهور تغنيان ثنائياً رائعاً «Scuoti quella fronda di ciliegio» وبعد انتهاء الثنائي ترتدي بترفلاي عباءة الزفاف ، بينما تُلبس سوزوكي الطفل. ومع حلول الظلام يبدأ سهر الامرأتين. ومن خلف المشهد تسمع همهمات الكورس الحزينة. وشيئاً فشيئاً تنام سوزوكي مع الطفل. بينما تظل بترفلاي واقفة دون حراك ، في حين تتلاشى همهمات الكورس ، وتسدل الستارة على هذا المشهد الهادئ المؤثر.

الفصل الثالث

ذات مشهد نهاية الفصل الثاني(٨). ثمة تمهيد يحاكي ثيمة الحب في الفصل الأول. يأتي من الميناء صياح البحارة وصوت سلاسل المرساة. تتسلل أشعة شمس الصباح إلى داخل المنزل. توقظ بترفلاي، بعد سهرها الطويل، سوزوكي وتأخذ الطفل، ثم تعود إلى غرفتها لتستريح قليلاً.

يصل بنكرتون وزوجته كيت وشاربليس. يتجه الرجلان نحو باب المنزل ويطرقانه، بينما تنتظر كيت في الحديقة. تفتح سوزوكي الباب وتخبرهما أن بترفلاي ظلت تنتظر بنكرتون طوال الليل بعد أن رأت سفينته في الميناء. يخبرها شاربليس بأنهما قدما ليطلبا معونة بترفلاي لإجراء الترتيبات اللازمة لرعاية طفل بنكرتون في المستقبل. وحين تكتشف سوزوكي أن المرأة الغريبة في الحديقة هي زوجة بنكرتون، تخر على الأرض وتنشج في قنوط. يتبع ذلك ثلاثي غنائي دراماتيكي قصير «Lo soche alle sue». يناشد شاربليس سوزوكي أن تبلغ بترفلاي الأنباء، مؤكداً لها أن السيدة بنكرتون سترعى الطفل وتمنحه حنانها. تطلب سوزوكي إعفائها من هذه المهمة، في حين يبدي بنكرتون أسفه.

أخيراً يقنع شاربليس سوزوكي بالذهاب للقاء كيت في الحديقة، ويلتفت نحو بنكرتون ويلومه بغضب لتسببه في كل هذه الآلام، ثم يقترح عليه أن يغادر دون رؤية بترفلاي وهي تعاني آلاماً مبرحة. يصمت بنكرتون طويلاً ثم يغني وهو منسحق القلب أغنية الوداع «Addio fiorito asil».

● ـ في الأصل كانت الأوبرا من فصلين، وعندما عدلها بوتشيني قسم الفصل الثاني إلى قسمين، وصارت تقدم بفصولها الثلاثة.

تعود سوزوكي ومعها كيت، وفي تلك اللحظة تظهر بترفلاي وتقف أمام باب غرفتها. تحاول سوزوكي عبثاً أن تمنعها من الدخول. تبحث بترفلاي بتلهف عن بنكرتون. وبينما تحدق إلى الوجوه، تتضح لها الحقيقة الرهيبة، وتحدق إلى كيت وكأنها منومة. تحاول كيت الاقتراب منها، لكنها تبعدها عنها. وحين تطلب كيت الصفح، تطلب منها بترفلاي أن تخبر بنكرتون أنها سوف تجد السلام بطريقة أو بأخرى. ثم تستطرد قائلة إن بإمكان بنكرتون أخذ الطفل إن هو عاد بعد نصف ساعة، يغادر شاربليس وكيت.

تعزف الأوركسترا ثيمة كئيبة حين تطلب بترفلاي من سوزوكي إغلاق الأبواب وإسدال الستائر، كما تطلب منها الانضمام إلى الطفل في الحديقة. وبعد وقت ليس بالقصير تسحب بترفلاي الخنجر من غمده، تقبله، وتتلو ببطء: «الموت بكرامة خير من الحياة دون كرامة»، وتغرس الخنجر في حنجرتها. في تلك اللحظة تلفع سوزوكي الطفل إلى داخل الغرفة. وفي ألم وحشي تضمه بترفلاي إلى صدرها وتغني أغنية وداع ممضة (معبودي الصغير) «Piccolo Iddio». ثم تُجلس الطفل على كرسي صغير، وتضع بين يديه لعبة والعلم الأمريكي، ثم تعصب عينيه. تخطو خلف الستارة والخنجر في يدها. وفي اللحظة التالية يسقط الخنجر على الأرض.

تزحف بترفلاي نحو الطفل والخمار حول رقبتها وتسقط تحت قدميه. تموت بترفلاي في اللحظة التي يندفع فيها بنكرتون إلى داخل الغرفة صارخاً باسمها يتبعه شاربليس. تعزف الأوركسترا أوكوردات مفعمة بالقوة. وتسدل الستارة.

أساتذة الغناء في نورنبرغ

Die Meistersinger von Nürnberg

أوبرا للمؤلف ريتشارد فاغنر، وضع نصها، المبنيّ على أحداث وقعت في تاريخ أساتذة الغناء بألمانيا في القرن السادس عشر، المؤلف نفسه.

الشخصيات

إيفا، ابنة فايت بوغنر		سوبرانو
فالتر فون ستولزينغ، فارس شاب من فرانكونيا		تينور
ماغدالينا، مربية إيفا		ميتسو - سوبرانو
دافيد، تلميذ صنعة يعمل عند هانس ساكس		تينور
هانس ساكس، حذّاء	أساتذة الغناء	باص
فايت بوغنر، حداد	أساتذة الغناء	باص
سكستوس بيكميسر، موظف لدى الحكومة	أساتذة الغناء	باص
كونز فوغيلغيسانغ، فراء	أساتذة الغناء	تينور
فريتس كوثنر، خباز	أساتذة الغناء	باص
هيرمان أورتيل، يعمل في صناعة الصابون	أساتذة الغناء	باص
بالثازار زورن، صانع أواني معدنية	أساتذة الغناء	تينور
كونراد ناخيتغال، صانع بكلات	أساتذة الغناء	باص
أوغستين موزر، خياط	أساتذة الغناء	تينور

أولريش آيسلينغر، بقال	أساتذة الغناء	تينور
هانس فولتز، نحاس		باص
هانس شفارتز، حائك جوارب		باص
حارس ليلي		باص

عمال مياومون، تلاميذ صنعة، سكان بلدة، موسيقيون، أطفال

المكان: نورنبرغ بألمانيا

الزمن: منتصف القرن السادس عشر

التقديم الأول: ميونيخ، ٢١ حزيران ١٨٦٨.

اللغة الأصلية: الألمانية.

تتمحور قصة أساتذة الغناء حول المسابقات التقليدية للأغنية التي كانت تجريها الجمعيات المهنية بألمانيا في القرون الوسطى. فقد شكل الحرفيون ذوو الميول الفنية في المدن الرئيسية جمعيات للمغنين، واشترطوا على أولئك الذين يودّون الانتساب إلى عضويتها أن يجتازوا بنجاح اختبار الأغنية الجيدة التي تحكمها قواعد صارمة تتعلق بالإيقاع واللحن والموضوع. وكان هانس ساكس هو الأكثر تميزاً بين أساتذة الغناء. وقد عاش في نورنبرغ في القرن السادس عشر. كان حذّاءً وشاعراً ذائع الصيت. أما أسماء أساتذة الغناء الآخرين في الأوبرا فقد أُخذت أيضاً من التاريخ.

تتضمن الافتتاحية الرائعة، التي هي أشبه بمقطوعة سيمفونية، الثيمات الأساسية في الأوبرا - الكرامة وسلطة أساتذة الغناء التي يمثلها هانس ساكس، وحب إيفا وفالتر.

الفصل الأول: في كنيسة سانت كاترين في نورنبرغ. إلى الجانب، خلف حاجز مخرم ذي فتحات، يمكن رؤية قسم من مقاعد الكنيسة وعدد من المصلين الواقفين وهم ينشدون المقطع النهائي من القداس. ويمثل المشهد الأمامي فضاءً

مفتوحاً أمام الكورس. ثمة بين المتعبدين إيفا وماغدالينا. ويقف إلى جانب أحد الأعمدة فالتر فون ستولزينغ. إنه يراقب بتركيز إيفا التي ترمقه أحياناً وهي تغني. تنظر إليها ماغدالينا، التي لاحظت ما يجري، وتعنفها بصرامة.

حين تغادر إيفا ومربيتها إثر انتهاء القداس، يقترب فالتر ويطلب من إيفا بجدية أن تعطيه رداً على التماسه طلب يدها. تجيبه إيفا قائلة: إنه مقدَّر عليها أن تكون عروس الرجل الذي يفوز في مسابقة أساتذة الغناء التي ستجري في اليوم التالي. وأثناء محادثتهما يدخل دافيد ويسحب ستارة خافياً بذلك بقية الكنيسة. وحين يشيح فالتر بوجهه قلقاً من رد إيفا، ترجو إيفا من ماغدالينا أن تساعدها للفوز بعشيقها الذي تشبهه بلوحة الرسام ألبرشت دورر (داود التوراتي).

يقترب دافيد، تلميذ الصنعة، ويتساءل عمن استدعاه. إنه يحمل مسطرة وقطعة من الطبشور تتأرجح في نهاية خيط. وفي اندفاع العاشق الولهان ينظر إلى ماغدالينا بلهفة أثناء جوابه على أسئلتها حول الترتيبات التي يجريها. يخبرها أنه يعمل على تأمين مساكن من أجل الأساتذة الذين سيجرون مسابقة الأغنية التمهيدية التي سيشترك فيها تلاميذ الصنعة، في محاولة للحصول على عضوية الجمعية. تنصح ماغدالينا فالتر باقتناص هذه الفرصة ويقدم نفسه مرشحاً محتملاً من أجل المسابقة النهائية، فربما يستطع أن يفوز بمحبوبته إيفا عروساً له. يتفق العاشقان إيفا وفالتر على أن يلتقيا في المساء.

يدخل عدد من تلاميذ الصنعة ويبدؤون العمل بإشراف دافيد. يرتبون المقاعد ويضعون كرسياً خاصاً للمتنافس ثم يبنون منصة. في غضون ذلك يشرح دافيد لفالتر تفاصيل مسابقة الأغنية. وأثناء ذلك يجلس الفارس (فالتر) على كرسي التنافس وهو غارق في تفكير عميق. إنه يصغي بانتباه لـ دافيد الذي يخبره

أن عليه أن يتعلم من هانس ساكس نظم الشعر والغناء، ويضيف قائلاً: على المرء، لكي يصبح أستاذاً، ألا يكتفي بكونه مغنياً، بل أن يكون شاعراً أيضاً. يقرر فالتر دخول المسابقة، ويعود دافيد إلى مراقبة التلاميذ الذين بنوا منصة واسعة جداً، فيأمرهم دافيد بإعادة بنائها بحجم أصغر. وحين ينتهون من بنائها يضعون فوقها كرسياً ومقعداً صغيراً وسبورة، ثم يغلقونها بستارة سوداء. بعد ذلك يرقصون حول المنصة ويغنون راجين لفالتر النجاح في مغامرته.

وحين يدخل أساتذة الغناء ينسحبون إلى الخلف ويجلسون على مقعد. يجلس فالتر على كرسي وُضع في مكان بارز. يظهر أولاً بوغنر يرافقه بيكميسر الذي يرهقه بتوسلاته لكي يكون إلى جانبه في قضيته مع إيفا. يقاطعه فالتر مرحباً بـ بوغنر، فيتطلع إليه بيكميسر بشيء من الشك مدمدماً بكلمات حول فرص منافس في هذه اللحظة الحاسمة. يرحب بوغنر بفالتر ويقدمه للآخرين، ويسمح له بالغناء في الاختبار التمهيدي.

بعد جلوس الأساتذة تقرأ أسماء الحاضرين. ولكن قبل الشروع في عمل اليوم يتحدث إليهم بوغنر من خلال مونولوغ طويل يُعرف بـ خطاب بوغنر « Das schöne Fest». يقول في ختامه إنه سيقدم ابنته إيفا عروساً للشخص الذي يفوز بمسابقة الأغنية السنوية هذه. تطري أغلبية الحضور هذه البادرة، لكن هانس ساكس يعترض قائلاً، بكل طلاوة، إنه يجب إعطاء العروس الحق في أن تختار الزوج الذي تراه مناسباً لها، وأضاف قائلاً: إن الناس أيضاً لهم الحق في التعبير عن رأيهم، خاصة فيما يتعلق بمؤهلات المغني. وحين يعبِّر بعض الأساتذة عن شكوكهم فيما يتعلق بحكم الجمهور في مواضيع الفن، يقترح بوغنر، كتسوية، أن تتاح الفرصة أمام إيفا لرفض الفائز في المسابقة شرط أن يُعد أستاذ الغناء الوحيد المؤهل ليكون زوج المستقبل. وبعد مجادلة هامة يجري تبنِّي خطة بوغنر.

الآن يقدم بوغنر، بصفة رسمية، فالتر كمتسابق. فيسأله الأساتذة أين تعلم فن الغناء؟ فيجيب، في آريا شجية، إنه درس الفن من كتاب المغني القديم فالتر فون دير فولغلفايد ومن الطبيعة. يعبر ساكس عن استحسانه، لكن الآخرين يبدون شكوكهم حول الأسلوب غير العادي للتدريب، يسألون الفارس عن الموضوع الذي سوف تتخذه أغنيته، فيجيب قائلاً: إن الحب سيكون ثيمته، ويجلس على الكرسي المخصص للمغني. يتخذ بيكميسر مكانه على المنصة بصفته مسجل العلامات، ويحذر فالتر قائلاً بحقد: إنه سيسمح له بسبعة أخطاء فقط.

تكسر أغنية الحب التي غناها فالتر، والتي كانت تعبيراً عفوياً عن عواطفه، القواعد التقليدية، وعلى الرغم من التشويش الذي أحدثه بيكميسر وهو يضع العلامات على اللوح، إلا أن فالتر استمر في الغناء من دون خوف إلى أن أزاح بيكميسر الستارة ورفع اللوح المغطى بالعلامات.

يحصي بيكميسر باستهزاء عيوب الأغنية، ويضيف عدة أساتذة انتقاداتهم. يشير كوثنر إلى واحدة من المخالفات في القواعد لا يمكن تبريرها. يحتج هانس ساكس على حكم الأساتذة الاعتباطي، لكن بيكميسر يسكته بصياحه، ثم يجمع زملاءه حوله ويحصي أخطاء المغني. وباستثناء ساكس وبوغنر يرفض الجميع ما قدمه فالتر. يعبر فالتر بغضب عن ضيق أفقهم وتزمّت قواعدهم، معلناً أنه سيغني من الآن فصاعداً طبقاً لما يمليه عليه قلبه، ثم يغادر الكنيسة غاضباً.

يصوت ساكس، الذي كان يصغي بانتباه إلى أغنية فالتر، لصالح الفارس ويثني على موهبته وشجاعته. يطالب بيكميسر بقرار رسمي، فيعلن الأساتذة رفضهم للمتسابق، ويغادرون وسط مجادلة صاخبة، بينما يفك تلاميذ الصنعة

المنصة ويزيحون المقاعد جانباً. تمتزج أصوات الرجال والأولاد في كورس حيوي. يقف هانس ساكس جانباً ويعلن استقالته.

الفصل الثاني: شارع في نورنبرغ ترتفع المنازل على جانبيه. على أحد الجانبين يقع منزل بوغنر. وفي الجهة المقابلة تقع دكان هانس ساكس. إنها ليلة صيفية. يسمع غناء تلاميذ الصنعة آتياً من الأماكن التي يعملون فيها. يبدو دافيد من خلال نوافذ دكان ساكس.

تخرج ماغدالينا من منزل بوغنر وتنادي دافيد ثم تسأله حول اختبار الأغنية. يجيبها قائلاً إن فالتر رُفض. تهرع المربية عائدة إلى المنزل. يغدو الشارع هادئاً تماماً.

يقترب بوغنر ترافقه إيفا وهما يتحدثان حول مسابقة الأغنية. يجلس الاثنان على مقعد حجري تحت شجرة أمام منزلهما، وبعد وقت قصير تناديهما ماغدالينا من أجل تناول طعام العشاء. وحين يدخل بوغنر تستوقف ماغدالينا إيفا وتهمس في أذنها أنباءً حول فالتر. تقرر إيفا، وقد أصابها الغم، أن تلجأ إلى هانس ساكس من أجل المشورة.

في غضون ذلك كان الحذّاء جالساً إلى نضد عمله الذي وضعه دافيد قرب الباب. يغلق الحذّاء النصف السفلي للباب ويطلب من دافيد الذهاب إلى النوم، ويتهيأ للعمل. وفي مناجاة طويلة يفكر بأغنية فالتر. تقطع إيفا تأملاته، ويتبع ذلك حوار موسيقي هام. يُظهر ساكس تعاطفه مع إيفا التي تشير إلى أنها ستكون راضية إن فاز الإسكافي نفسه في المسابقة وطالبها بأن تكون عروسه، فهي ترفض بازدراء بيكميسر كخطيب لها. يتأثر ساكس بحماستها ويخبرها قائلاً بلطف: إنه عجوز بالنسبة إليها. وحين يدور الحديث حول فالتر يتحدث عنه الحذّاء على نحو يحط من قيمته. تبدو إيفا منزعجة من ملاحظاته، وبانزعاجها تكشف أخيراً عن

مشاعرها الحقيقية. وحين تغادر استجابةً لنداء ماغدالينا، يتيقن ساكس من تخميناته حول قصة الحب التي تربط إيفا بفالتر. ينسحب إلى داخل الدكان تاركاً النصف الأعلى من الباب مفتوحاً جزئياً.

تُعلم ماغدالينا إيفا أن بيكميسر يخطط ليغني لها هذا المساء تحت نافذتها أغنية كتبها من أجل المسابقة. في تلك اللحظة يظهر فالتر فتهرع إيفا نحوه بلهفة. يخبرها فالتر بحرارة أن قرار الأساتذة وضع حداً لطموحاته وآماله. ثم ينفجر في غضب ونفاد صبر مشيراً إلى عماهم وعنادهم، ويتوسل إلى إيفا أن تفر معه. فجأة تسمع صافرة الحارس الليلي، فتطلب إيفا من فالتر أن يختبئ ريثما يمر الحارس وتهرع نحو المنزل. ينظر ساكس، الذي سمع حديث العاشقَيْن، ملياً، ويشير إلى أنه ينبغي منع الاثنين من ارتكاب هفوة غير محمودة.

تنسلُّ إيفا من المنزل مرتدية ألبسة ماغدالينا وترتمي بين ذراعي فالتر. وبينما هما يسيران يفتح ساكس بابه ويباغتهما بمصباحه. وبسرعة يتجنب الاثنان الضوء ويقبعان في الظلال. تقول إيفا محذرة إنه لا ينبغي أن يراهما الحذَّاء. يصغي إليها فالتر بهلع حين تخبره أن الحذَّاء هو ساكس وأنه بعيد عن أن يكون صديقه إذ وقف إلى جانب الأساتذة ضد القادم الجديد (فالتر). وحين يهم فالتر بالاندفاع نحو الدكان للاستفسار عما يجري، يظهر بيكميسر متجهاً نحو منزل بوغنر.

يقف بيكميسر أمام منزل بوغنر ويبدأ بدوزنة عوده، ثم ينظر إلى الأعلى نحو نافذة إيفا حيث تجلس ماغدالينا مرتدية ثياب إيفا. وفي غضون ذلك يُخرج ساكس نضد العمل إلى خارج الدكان ويضع حذاءً داخل القالب. وحين يبدأ بيكميسر بالغناء يبدأ ساكس بالطرق. يطلب بيكميسر، وهو يحاول السيطرة على نفسه، من

ساكس الهدوء، لكن الحذاء يجيب قائلاً: ينبغي عليه إنهاء عمله. وفي محاولة يائسة يقترح بيكميسر على ساكس أن يطرق حين يسمع خطأ في الغناء. وما أن يغني بيكميسر بضعة ميزورات حتى يبدأ الطرق مجدداً، وكلما غنى بصوت أعلى ازدادت طرقات ساكس عنفاً. أخيراً يُخرج ساكس الحِذاء من القالب، ثم يغني مطرياً عمله لأنه أنجزه على إيقاع أخطاء بيكميسر.

تسمع ضوضاء آتية من النوافذ، وفي كورس غاضب يطلب الجيران الهدوء. يتطلع دافيد من نافذته فيرى بيكميسر يناجي محبوبته فيهرع إليه وبيده هراوة ويبدأ بضربه ودفعه. ومع ارتفاع الصخب يظهر فالتر وإيفا من مخبئهما. يحاول الفارس، شاهراً سيفه، شقَّ طريقٍ وسط الحشد. يخرج ساكس من دكانه ويوقف فالتر ثم يدفع إيفا باتجاه منزلها. يبحث ساكس، وهو مايزال ممسكاً بفالتر، عن دافيد، وحين يجده يسحب الاثنين ويدخلهما إلى دكانه. أما بيكميسر فيعود أدراجه وهو يعرج. يُقفِر الشارع تماماً ويعود الهدوء. يغمر ضوء القمر أسطحة المنازل، تعزف الأوركسترا ثيمة الشجار وثيمة سيريناد بيكميسر. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث: داخل دكان هانس ساكس. تهيمن على الاستهلال ثيمات مرتبطة بـ هانس ساكس. الوقت صباح. الشمس تغمر الغرفة. يجلس ساكس على كنبة عريضة غارقاً في القراءة. يدخل دافيد يحمل سلة. وحين لا يلاحظه ساكس يأخذ من السلة فطيرة وقطعة نقانق ويبدأ بأكلهما. يضع دافيد الطعام جانباً ويجلس باحترام أمام ساكس. يخبره بأنه أوصل الحذاءَيْن لـ بيكميسر ثم يحاول أن يكفِّر عن سلوكه الخشن في الليلة الفائتة، فقد كان ذلك كله من أجل ماغدالينا التي كانت دائماً لطيفة جداً معه. فجأة يغلق ساكس الكتاب بغضب، فيرتعد دافيد ويجثو على ركبتيه. لكن أفكار ساكس كانت في مكان آخر. يسامح دافيد ثم يطلب منه ببرود تكرار بعض الأشعار.

حين يغادر دافيد يغني ساكس آريا رائعة « Wahn! Wahn! Überall Wahn!» يتأمل فيها الكراهية والنزاعات المتفشية في العالم ـ حتى هنا في نورنبرغ الوادعة المسالمة. يفكر بالحجج والذرائع الواهية التي تدفع جيرانه الأفاضل للصدام في غضب أعمى وكأنهم تحت تأثير رقية ماكرة. لقد عقد العزم على أن يحول الحماقة إلى خير.

حين يتوقف عن الغناء يدخل فالتر قادماً من غرفة أخرى. يحييه ساكس بحرارة، ويتبع ذلك حوار شجي «Grüss Gott, mein Junker». يخبره فالتر بأنه حلم حلماً رائعاً بالكاد يجرؤ على الحديث عنه خشية زوال سحره. يحثه ساكس على البوح به قائلاً: إن إلهامات الإنسان الرائعة تولد الأحلام. يصف فالتر حلمه، في حين يصغي ساكس بلهفة ويسجل الكلمات التي يغنيها فالتر، يتوقف فالتر أحياناً ليتحاور مع ساكس حول معنى الأغنية. يقترح الحذّاء، مدركاً أن هذه الأغنية مقدر لها أن تفوز بالجائزة، بضعة اقتراحات تتعلق بالإيقاع وبالشكل الموسيقي، كذلك فيما يتعلق بالأساتذة المحكمين. ثم يطلب المقطع الشعري الثاني فيجيب فالتر مردداً اللازمة التي يصف فيها رؤى حبيبته التي أتته في نهاية اليوم. حينذاك سمع أغنية سحرية، تلك الأغنية التي تلهمه الآن. ينصحه ساكس بمحاولة الفوز بالجائزة، ثم يغادر الاثنان من أجل الاحتفال.

يدخل الآن بيكميسر. إنه يرتدي بدلة الاحتفال، لكنه يعرج قليلاً. ينظر هنا وهناك، وأخيراً تقع عيناه على الورقة التي كتب عليها ساكس أغنية فالتر. يتمتم وهو يتفحصها قائلاً: لقد باتت مقاصد الوغد ساكس واضحة، وإن هذه تثبت بأنه يخطط لدخول المسابقة. ولدى سماعه صوت فتح الباب، يدس الورقة في جيبه في اللحظة التي يدخل فيها ساكس.

يحييه الحذّاء، لكن بيكميسر الغاضب يتهمه بمحاولة إخراجه من المسابقة عن طريق زجه في شجار الشارع، ويتهمه بمحاولة إخلاء الساحة من المتنافسين لكي يستطيع الفوز بيد إيفا. ثم يسحب الورقة من جيبه ويهزها أمام وجه ساكس قائلاً: إن هذه دليل على خداعه. عندئذٍ يرد ساكس قائلاً إنه يقدم له هذه الأغنية هدية. وحين يقتنع أخيراً أن ساكس لا يتحايل عليه، يخرج من الدكان وهو يعرج.

تدخل إيفا ويتبع دخولها ثنائي غنائي. تخبره إيفا بارتباك قائلة إن حذاءها الجديد ضيق جداً. ينحني ساكس، وقد أدرك السبب الحقيقي لمجيئها، ويتفحص الحذاء. في تلك اللحظة يفتح فالتر الباب ويقف في المدخل. إنه يرتدي بذلة فارس رائعة. يأخذ ساكس الحذاء إلى نضده ويبدأ العمل.

يحدق فالتر إلى إيفا بنشوة، ثم فجأة يأخذ بغناء أغنية حلمه، فتصغي إيفا كالمسحورة. يعود ساكس حاملاً الحذاء ويقف منتظراً انتهاء الغناء. تنفجر إيفا، وقد غلبها التأثر، بالبكاء، وترتمي بين ذراعي ساكس. يحرر نفسه بلطف وتأثُّر ويدفعها نحو فالتر.

تدخل ماغدالينا ودافيد فيتغير مزاج المشهد. يعلمه ساكس بعد أن يرحب بهما بولادة أغنية جديدة وتحتاج إلى تسمية وينبغي أن يكون هو وإيفا عرابيها، في حين ينبغي أن تكون ماغدالينا ودافيد شاهدَيْن. يتبع ذلك خماسي غنائي يختم المشهد. تغني إيفا قائلة: إن أغنية فالتر السحرية أبعدت حزنها، في حين يهتف فالتر قائلاً: إن حبها هو ملهمه. وعلى الرغم من ابتهاج ساكس فهو يعترف بوخز الأسف لأن حبها يخص شخصاً آخر غيره. تعبر ماغدالينا ودافيد عن سعادتهما لأنهما يستطيعان الآن الزواج. يطلب ساكس من الجميع الإسراع للحاق بالاحتفال. تسدل الستارة، بينما تستمر الموسيقا. وحين تبلغ الذروة ترتفع الستارة على مشهد مسابقة الأغنية.

مرج واسع خارج نورنبرغ. يرى في الخلف نهر بيغنيتز. إلى جانب ترتفع منصة لأصحاب المراكز وحكام المسابقة. في الجانب الآخر خيم مزركشة وحجرات. حشد من سكان البلدة. أعضاء الجمعيات الحرفية المختلفة يغنون وهم يحملون راياتهم. يدخل الأساتذة ويجلسون في أماكنهم فوق المنصة. وحين يستقر الجميع تطالب تلاميذ الصنعة الحشد بالهدوء، ثم يتقدم هانس ساكس ويفتتح المسابقة الرسمية. في البداية يستدعي بيكميسر الذي يتفرس بيأس بأغنية فالتر الذي يبذل جهداً حتى اللحظة الأخيرة في محاولة لتذكر كلماتها. يقوده تلاميذ الصنعة إلى المكان المخصص للمغني. يتعثر قليلاً بسبب اهتياجه، ويتذمر من التلة الصغيرة الوعرة التي ينبغي أن يقف فوقها. وبانحناءة متطرفة لـ إيفا يشرع بيكميسر بالغناء، إنه يحاول أن يلائم كلمات قصيدة فالترمع لحن المناجاة الذي سبق أن غناه تحت شرفة إيفا، لكن تأتي النتيجة سخيفة. ونتيجة اضطرابه بسبب الضحكات المنبعثة من الحشد ينسى الكلمات ويتابع الغناء بهلع وتخبط. وحين ينتهي ينفجر الحشد بالضحك. وبسرعة ينزل عن المنصة ويقذف الورقة في وجه ساكس صارخاً بأن الحذّاء خدعه ليغني هذه الأغنية البسيطة، ثم يزعق وسط الحشد ويختفي.

يعلن ساكس قائلاً بهدوء: إنه كتب فقط كلمات الأغنية التي هي ثمرة إلهام الزائر فالتر المتميز الذي يستطيع غناءها بالطريقة التي ينبغي أن تغنى بها. وبأمر منه يتقدم فالتر إلى الأمام ويغني أغنيته (أغنية الجائزة) الرائعة التي تشكل ذروة الأوبرا. إنها وصف شاعري للمعجزة التي ألهمته أغنيته. إنه يغني تجواله في الحديقة السحرية حيث رأى تحت شجرة مسحورة العذراء الرائعة. وحين وقف بجوارها عرف أن هذه العذراء الجميلة هي ملهمته. يغني بابتهاج قائلاً: إن ملهمته

هي إيفا، وإن الموسيقا التي ألهمته إياها سوف تنقلهما إلى ذرا البارناسوس(*) وإلى ذرا الفردوس. يعبر الأساتذة والناس في كورس يرافق العبارات الأخيرة من الأغنية عن دهشتهم وإعجابهم بجمال الأغنية الأخاذ. وهكذا يمنح فالتر الجائزة بالإجماع.

تضع إيفا على رأس فالتر إكليل النصر، ثم ينحني الاثنان أمام بوغنر ليمنحهما بركته. ومع ذلك، حين يقدم للفارس سلسلة رابطة الأساتذة الذهبية يرفضها بحرارة. عند ذلك يتقدم ساكس وينصحه بألا يزدري جائزة الأساتذة، إذ مع أن قواعدهم صارمة، فهم يقدسون معايير الفن الألماني. وإن أولئك الذي يقدسون الفن ينبغي عليهم أن يحموه من تهديد شر قد يأتي من الخارج. يكرر الناس كلماته في كورس ظافر. تأخذ إيفا إكليل النصر من على رأس فالتر وتضعه على رأس ساكس. ويأخذ ساكس أيضاً السلسلة الذهبية من بوغنر ويقدمها لـ فالتر. ينحني بوغنر أمام ساكس، في حين يومئ الأساتذة لـ ساكس بإجلال. وفي كورس مدهش يهلل الناس لحذّاء نورنبرغ المبجل «Heil Sachs!».

---

*ـ بارناسوس Parnassus، جبل في أواسط اليونان كان يعد في التاريخ مقدساً لدى ربات الفنون. (المعجم المحيط).

نورمــــا

Norma

أوبرا للمؤلف فينشينزو بيليني B. Bellini 1801-1835.
كتب نصهـا، المبني على مسرحية لـ ألكسندر سوميه، فيليس روماني.

الشخصيات

أوروفيسو، كاهن رئيسي في الديانة الكلتية القديمة، والد نورما	باص
بوليوني، حاكم إداري روماني	تينور
فلافيو، قائد كتيبة	تينور
نورما، كاهنة الدروديين العليا	سوبرانو
أدالغيزا، عذراء المعبد	كونترالتو
كلوتيلدا، مرافقة نورما	ميتسو ـ سوبرانو

كهنة وكاهنات درويون، عذراوات معبد، تابعون، جنود غاليون، طفلا نورما

المــــكان: بلاد الغال

الزمـــن: أثناء الاحتلال الروماني نحو عام ٥٠ قبل الميلاد

التقديم الأول: تياترو لاسكالا، ميلانو، ٢٦ كانون الأول عام ١٨٣١.

اللغة الأصلية: الإيطالية.

كان الدرويون (كهنة الديانة الكلتية القديمة) الذين تدور في وسطهم قصة نورما، أعضاء في أخوية دينية مارست تأثيراً كبيراً وسط القبائل القديمة لبلاد الغال وبريطانيا وإيرلندا. وكان ينظر إليهم بوصفهم وهبوا القدرة على التنبؤ. وكانت جميع القضايا المدنية والعسكرية تتطلب موافقتهم. كانت سلطتهم تفوق سلطة الملوك والقادة العسكريين. وكانت خدمتهم في المعابد تخضع لنظام صارم، خصوصاً الكاهنات ذوات الرتب العالية اللواتي أخضعن أنفسهن لقواعد طقسية صارمة، وأقسمن على الحفاظ على عفتهن وطهارتهن. وقد حنثت الكاهنة العليا نورما في قسمها حين أحبت الحاكم الإداري الروماني بوليوني وأنجبت منه طفلين. في الوقت الذي تبدأ فيه القصة يكون بوليوني قد مل نورما وغدا متيماً بـ أدالغيزا عذراء المعبد.

الفصل الأول: أرض مقطوعة الشجر وسط أيكة الدرويين المقدسة، تشرف عليها شجرة سنديان ضخمة بفروعها الممتدة المتشابكة مع شجيرات الدبق. تحت الشجرة ثمة مذبح حجري كبير. بمرافقة لحن وقور يدخل الكهنة والمحاربون الغاليون إلى الأيكة بموكب وقور. وآخر من يظهر هو رئيس الكهنة أوروفيسو. وحين ينظم الرجال صفوفهم يصدر أوروفيسو أمره للكهنة. ينبغي عليهم الصعود إلى قمة الجبل لمراقبة بزوغ القمر الجديد. وحين تتم رؤيته سيقرع الترس البرونزي الضخم، ترس إله الحرب إيرمينسول، ثلاث مرات

إشارة إلى البدء بقطع شجيرات الدبق، الطقس المقدس الذي ستقدمه نورما.

يستجيب الرجال في كورس ضخم هو الأشهر في الأوبرا. إنهم يبتهلون إلى إله الحرب ليساعدهم على تحطيم الفيالق الرومانية وإخراجها من أرضهم. إنهم يهتفون قائلين إن أيام روما باتت معدودة. وبينما هم يغنون يعبر الرجال الممرات المؤدية إلى قمة الجبل. يتلاشى صوتهم تدريجياً.

حين يُقفر المكان يظهر بوليوني وفلافيو. يقول فلافيو مذكّراً الحاكم الإداري إن نورما حذرتهما من القدوم إلى هذه البقعة المقدسة. وحين يذكر اسم نورما ينكمش بوليوني خوفاً. يسأله فلافيو مندهشاً؛ لماذا اضطرب لدى سماعه اسم المرأة التي يحبها. عندئذٍ يعترف بوليوني قائلاً إنه لم يعد يحب نورما، وإنه الآن مفتون بـ أدالغيزا عذراء المعبد الشابة الجميلة، ثم يضيف قائلاً إن انتقام نورما سيكون رهيباً إن هي علمت أن لديها منافسة. وفي مقطع دراماتيكي يكشف لـ فلافيو عن رؤية: كان راكعاً مع أدالغيزا أمام مذبح فينوس في روما، كانت يده مشبكة بيدها وكانا سعيدين جداً. فجأة يغلف ضباب هائل المذبح حاجباً ضوء النهار. وحين يلتفت لينظر إلى أدالغيزا يكتشف أنها اختفت، فتصدر عنه صرخة هائلة. عندئذٍ يتردد في المعبد صوت رهيب يرتل: هوذا انتقام نورما من عشيقها المخادع.

يقاطع سرد بوليوني ترومبيتات الكهنة ودوي ترس الحرب. تسمع أصوات الدروديين من بعيد. يحذّر فلافيو الحاكم الإداري ويحثه على الهرب، لكن بوليوني يصرخ قائلاً إنه سيتحدى هؤلاء البرابرة، ويعلن من خلال آريا إن لهيب حبه الجديد سوف لن يحميه فقط بل سيدمر الكفرة ومذابحهم. ونزولاً عند إلحاح فلافيو يخرج معه قبل ظهور الدروديين.

وبمرافقة العذارى والكاهنات يتجمع الدروديون في الأيكة ويغنون في كورس قوي هاتفين باسم نورما ومستنجدين بإله الحرب لكي يحميهم. تصعد نورما، تتبعها العذراوات، درجات المذبح الرئيسي. إنها ترتدي ثوباً واسعاً ويكلل رأسها إكليل من الأزهار المقدسة، وفي يدها منجل ذهبي لتقطع به شجيرات الدبق.

تعنف نورما الدروديين لمطالبتهم بالحرب على روما من دون موافقة السلطة السماوية. وتوضح قائلة إن قدر روما ستقرره الآلهة لا البشر الزائلون. وحين سأل أوروفيسو، بغضب، ومتى سيتوقف استبداد روما وطغيانها، تجيب نورما قائلة سوف يدمر الشرتلك المدينة من الداخل. وحتى ذلك الوقت ينبغي أن يعم السلام. وبتلك الكلمات تقطع بضع فروع شجيرات الدبق، تقدمة سلام رمزية، وترميها على قماش تحمله الكاهنات.

عندئذٍ تغني نورما آريا عظيمة «Casta Diva» ، يتضمن مقطعها الأول تضرعاً لإلاهة السماء لتطهير قلوب شعبها من المشاعر العدوانية، ويتضمن مقطعها الثاني معاناتها من حقد الدروديين الموجه ضد الإنسان الذي تحب ـ الحاكم الإداري الروماني. إنها تعبر عن توقها لسماع كلمة حب واحدة منه. إن عواطف الدروديين التي تهيمن عليها روح الانتقام يمكن إيجاد تعبير عنها في الكورال المرافق لآريتها. وبعد وصول الآريا إلى الذروة، تغادر نورما الأيكة.

تظهر الآن أدالغيزا وتقترب بتردد من المذبح وترثي لحالها، إذ على الرغم من أن حب بوليوني جعلها تخون ديانتها فهي لا تستطيع أن تبعده عن مخيلتها. ترتمي على درجات المذبح وتتضرع إلى الآلهة أن تحميها من هذا الحب القاتل «Deh ! Proteggimi, o Dio!». وبينما هي تصلي يدخل بوليوني، يحاول معانقتها لكنها تصده وتطلب منه الرحيل، يتبع ذلك محادثة دراماتيكية. في البداية يلومها لأنها قاومته حين أراد التضحية بنفسه على مذبح آلهتها من أجل حبها «Va, Crudel!». تغني أدالغيزا قائلة إن عبء الخطيئة يثقل روح العذراء التي تخون طهارتها. يتوسل إليها بوليوني لكي تفر معه إلى روما حيث سينعمان بالسعادة دائماً. ترتمي أدالغيزا بين ذراعيه وتهتف قائلة إنها ستتبعه مهما كلفها ذلك. يطلب منها أن تلقاه في الغد وفي ذات المكان وذات الساعة، بعد ذلك سيهربان. يمتزج صوتاهما بابتهاج، بينما تسدل الستارة.

مشهد منزل نورما الذي هو عبارة عن كهف صخري واسع. جلود الحيوانات معلقة على الجدران. ويتكون الأثاث من مقاعد خشنة وأريكة مغطاة بالجلود. يرى من خلال المدخل معبد درويدي، ووراءه الريف الموحش. إنه مشهد خشن وبربري. تدخل نورما تقود طفليها ترافقها كلوتيلدا. تقول نورما باهتياج إن بوليوني استُدعي إلى روما، ولكن لا يوجد حتى الآن إشارة منه تدعوها إلى الذهاب معه، وتضيف قائلة إن فكرة هجره لها سوف تدفعها إلى الجنون. ولدى سماعها صوتاً قادماً تطلب من كلوتيلدا إبعاد الطفلين.

تدخل أدالغيزا وعلائم الاضطراب بادية على وجهها. تطلب منها نورما أن تبوح لها بهمها. عندئذٍ تعترف أدالغيزا بأنها استسلمت إلى الحب وقررت الفرار من المعبد. وحين تسألها نورما كيف حدث ذلك، تصف أدالغيزا كيف قابلت عشيقها أول مرة، وتحدثها عن نشوة استيقاظ الحب. وخوفاً من العقاب تتوسل أدالغيزا إلى نورما لكي تمنحها القدرة على مقاومة إغراء الشهوة. تعانقها نورما وتبرئها من نذرها المقدس. وتصف لها الفرح الذي سيمنحها إياه الحب. يمتزج صوتا المرأتين حين تطلب أدالغيزا من نورما تكرار الكلمات التي طالما تاقت إلى سماعها. عندئذٍ تسألها نورما عمن يكون عشيقها. تجيب أدالغيزا بأنه روماني. وفي تلك اللحظة يظهر بوليوني. تتجمد نورما رعباً، بينما ينتظر بوليوني، وهو يحدق إلى أدالغيزا، ثَوَران العاصفة. ترتبك أدالغيزا وتنظر

من دون وعي تارة إلى نورما وتارة إلى بوليوني. تواجه نورما الحاكم الإداري وتنفجر منددة بخيانته. تنكمش أدالغيزا خوفاً، وتطلب من بوليوني تفسير ما يحدث.

ينجم عن ذلك ثلاثي غنائي عاصف. تمسك نورما يدي أدالغيزا وتجبرها على النظر إلى بوليوني، ثم تصرخ قائلة هذا الرجل غرر بفتاة بريئة، وقد ارتكب جريمة مزدوجة، جريمة الغش والخداع. تغني أدالغيزا، وقد أدركت فداحة الإساءة التي اقترفها بوليوني بحق الكاهنة العليا، قائلة إن التفكير بألم نورما يفقدها الحس. يتوسل بوليوني إلى نورما لكي تصب جام غضبها عليه وحده، ويعلن أن عاطفته تجاه أدالغيزا تجعله يتحدى الجحيم نفسه. ثم يحاول إجبار أدالغيزا على الذهاب معه، لكنها ترفض ذلك.

وفي ثورة غضب وحشية تأمر نورما بوليوني أن يغرب عن وجهها. يتحدى الحاكم الإداري غضبها، بينما تستسلم أدالغيزا لليأس. وحين يصل الثلاثي الغنائي إلى ذروة عنيفة تسمع أصوات الدروديين في المعبد وهم ينبهون نورما إلى أن إله الحرب يستدعيها. وفوق موجة الأصوات يسمع دوي الترس، شارة طقوس المعبد. تسير نورما باتجاه الباب وقد التفت ذراعاها حول أدالغيزا. يندفع بوليوني غاضباً إلى الخارج.

الفصل الثاني: منزل نورما. يرى الطفلان النائمان على الأريكة، تدخل نورما على أنغام بريلود أوركسترالي كئيب، حاملة مصباحاً في يد وخنجراً في الأخرى. تضع المصباح على الطاولة وتحدق بوحشية إلى الطفلين عازمة على قتلهما. لكن براءتهما تجعلها تتردد، ثم تغني آريا قصيرة مؤثرة تعبر فيها عن حبها لهما «Teneri figli». وحين تتذكر أنهما أيضاً طفلا بوليوني الغادر، تعود الكراهية لتحل محل الحب. ولكن ما إن تهم برفع الخنجر لطعنهما حتى تسقط على ركبتيها بجانب الأريكة وهي تنشج. تنادي كلوتيلدا وتأمرها باستدعاء أدالغيزا.

حين تظهر أدالغيزا تطلب منها، وقد قررت الآن وضع حد لحياتها، أن تأخذ الطفلين إلى بوليوني في المخيم الروماني. وفي مقطع مؤثر ترجو منها العناية بطفليها. «Deh! Con te li prendi». تحاول أدالغيزا اقناع نورما بالعدول عن قتل نفسها قائلة إنها لن تترك المعبد، وبدلاً من ذلك ستذهب إلى بوليوني وتتوسل إليه لكي يعود إلى المرأة التي تحبه والتي أنجبت له طفلين. وحين تطلب منها نورما بذهول أن تخرج، تقود أدالغيزا الطفلين نحو أمهما وتأمرهما بالركوع أمامها في حالة استعطاف. عندئذٍ يبدأ ثنائي غنائي جميل «Mira o Norma» تحض فيه أدالغيزا الكاهنة العليا على أن تدع حب الأم يتحكم في قلبها. في البداية لا تستجيب نورما البائسة لتوسلات أدالغيزا. ولكن في النهاية تتمكن أدالغيزا من إقناع نورما بأنها ستتخلى عن حب بوليوني إلى الأبد،

وسوف تدعوه للعودة إلى نورما. تعانقها نورما بحب، ثم تدعو كلوتيلدا وتطلب منها إبعاد الطفلين. وفي عبارات عاطفية، تختم الثنائي الغنائي، تعلن أدالغيزا ونورما تمسكهما بصداقتهما وإخلاصهما الأبدي.

يتحول المشهد إلى مكان صخري موحش في الغابة المقدسة. يقابل المحاربون الغاليون الكهنة للتشاور حول تحركات الرومانيين. يغني المحاربون قائلين إن الحاكم الإداري لم يسحب بعد قواته، وينضم إليهم الكهنة معلنين أنه ينبغي عليهم انتظار الفرصة المناسبة للهجوم على العدو بقوتهم الكاملة.

يظهر الآن أوروفيسو ويعلمهم أنه سيخلف بوليوني حاكم أكثر استبداداً وطغياناً. يتساءل الرجال بغضب إن كانت نورما ما تزال تنصح بالسلام. يجيب أوروفيسو إن الكاهنة العليا مازالت صامتة، ويضيف قائلاً إنه على الرغم من أنهم يرزحون تحت نير العبودية عليهم التظاهر بالخنوع ريثما يجمعون قواتهم، وحين يركن العدو إلى الإحساس الزائف بالأمن، عندئذٍ سيثورون ويطردونهم من أرضهم. يتجاوب الدروديون والمحاربون مع عواطف أوروفيسو في كورس مرافق.

يتحول المشهد إلى فناء واسع مكشوف في مدخل معبد إله الحرب. في وسط الفناء مذبح حجري، وبجانبه ترس إله الحرب مع مضرب يستخدم لقرعه. نورما واقفة بجانب المذبح تنتظر عودة أدالغيزا مع بوليوني النادم. لكن آمالها تتقوض حين تندفع كلوتيلدا مع أنباء تفيد أن

توسلات أدالغيزا كانت بلا جدوى. فقد حاول بوليوني إجبارها على المضي معه، لكنها التجأت إلى المعبد، وهناك حاول بوليوني ملاحقتها في المناطق المحرمة.

وفي ثورة غضب تندفع نورما نحو الترس وتقرعه ثلاث مرات، وعند إشارة الحرب هذه يظهر أوروفيسو يتبعه الكهنة والكاهنات والمحاربون الذين يتوافدون من جميع الجهات. تصيح نورما قائلة إن الآلهة قررت الحرب. تجيب الحشود في كورس ناري: الحرب.. الحرب، ثم يقسمون على إزالة الرومان من على وجه الأرض.

يتقدم أوروفيسو ويقول ليس ثمة قربان مهيأ لمذبح إله الحرب. تؤكد نورما قائلة بقسوة إن الطقس سيأخذ مجراه. في تلك اللحظة تعلو في الخارج أصوات اضطرابات تدخل إثرها كلوتيلدا وتصرخ قائلة إن رومانياً دنس المعبد بدخوله إليه. يحضر المحاربون بوليوني ويدفعونه نحو المذبح حيث يقف طاوياً ذراعيه على صدره ومحدقاً إلى الحشد. يستل أوروفيسو سكّينه القربانية من حزامه، ويتقدم نحو بوليوني. تنتزع نورما السكين من يد والدها وتهم بغرزها في صدر بوليوني، لكنها تحجم. تطلب نورما من أوروفيسو والآخرين التراجع، وتعلن أنها راغبة في استجواب السجين لتتحقق إن كان ثمة خائن ساعده في الوصول إلى المعبد.

تتقدم من بوليوني والسكين في يدها. يتبع ذلك ثنائي غنائي دراماتيكي «In mia man alfin tu sei». تعلمه نورما، مذكرة إياه بأنه تحت رحمتها، إنها ستبقي على حياته إن هو تخلى عن أدالغيزا، فيرفض ذلك بعنف. تعلن نورما، بعد رفضه التخلي عن أدالغيزا، أنه يتوجب على الفتاة الموت لأن الآلهة تطالب بقربان. عند ذلك يركع بوليوني أمامها ويتوسل إليها أن تضحي بحياته. تجيبه نورما باحتقار قائلة إنها سوف تعذبه أكثر حين تُضحِّي بالمرأة التي يحبها.

بعد بلوغ الثنائي الغنائي قمة عاصفة تلتفت نورما نحو المذبح. يحاول بوليوني بيأس انتزاع السكين من يدها. تبعده عنها وتخطو باتجاه المذبح وتدعو أوروفيسو والكهنة. يقف بوليوني مشلولاً، بينما يتجمع الآخرون لسماع حكمها. وبصوت مجلجل تصيح نورما قائلة إنها ستقدم ضحية جديدة كقربان ـ عذراء لم تدنس طهارتها فقط بل خانت أيضاً وطنها. وحين يطالب الحشد بذكر اسمها، يتوسل إليها بوليوني أن لا تتكلم، ظناً منه أنها ستحكم على أدالغيزا.

عندئذٍ تعلن نورما بأنها هي المذنبة «Sonio». عند ذلك تنزع ببطء الإكليل من رأسها وترميه على الأرض. وبهدوء تأمر بإعداد المحرقة القربانية. يستنكر بوليوني باضطراب إدانتها لنفسها. تلتفت إلى بوليوني وتغني قائلة: على الرغم من خيانته سيوحدهما الحب في العالم الآخر. يجيبها قائلاً إنه أدرك متأخراً حجم تضحيتها ويتوق إلى مشاركتها قدرها.

يحث أوروفيسو والكهنة نورما على التنصل من حكمها قائلين إن نطق الحكم جاء في لحظة جنون. لكن نورما تقترب من والدها وتعلن أنها مذنبة ذنباً لا يمكن التسامح معه. ثم تطلب منه أن يعتني بطفليها لكي لا يرزحا تحت رحمة الرومانيين، فيرفض أوروفيسو ذلك. لكنها تعود وتلح في طلبها، بينما يتقدم عدد من الرهبان يحملون حجاب الموت الأسود الذي يوضع فوق رؤوس الضحايا القربانية. يقود مقطع نورما الغنائي إلى غناء جماعي مفعم بالقوة يختم الأوبرا. يعد أوروفيسو ابنته نورما بحماية طفليها ويطلب منها أن تعانقه عناق الوداع. يغني بوليوني قائلاً إن رغبته الوحيدة هي الصعود إلى المحرقة مع نورما.

يطلب الكهنة من نورما، بعد أن طرحوا الخمار الأسود فوق رأسها، أن تتقدم نحو قدرها. تعانق أوروفيسو ثم ترتمي بين ذراعي بوليوني. تخطو نورما ومعها بوليوني ببطء نحو المحرقة يحيط بهما الكهنة. وحين يبلغ الكورس الذروة تسدل الستارة.

عطيـــــل

Otello

للمؤلف جوسيبه فيردي.

وضع نصها، المأخوذ عن شكسبير، أريغو بويتو.

الشـــــخصيات

مونتانو، حاكم قبرص السابق	باص
كاسيو، ملازم أول عند عطيل	تينور
ياغو، ملازم في البحرية عند عطيل	باريتون
رودريغو، نبيل فينيسي	تينور
عطيل، نبيل مغربي في خدمة فينيسيا	تينور
ديزديمونا، زوجة عطيل	سوبرانو
إميليا، زوجة ياغو ومرافقة ديزديمونا	ميتسو- سوبرانو
لودفيكو، سفير فينيسيا	باص
رسول رسمي،	باص

أهالي قبرص، جنود فينيسيون وبحارة، صاحبُ نزل، خدم، سيدات فينيسيات، وسادة فينيسيون

المكان ميناء في قبرص

الزمن : أواخر القرن الخامس عشر

التقديم الأول : لاسكالا ، ميلانو ، ٥ شباط عام ١٨٨٧

اللغة الأصلية الإيطالية

يتبع مخطط قصة الأوبرا بدقة مسرحية عطيل التراجيدية لـ شكسبير.

يهدد الأتراك سيادة حكومة فينيسيا في البحر الأبيض المتوسط. وكانوا شنوا هجوماً على جزيرة قبرص التي تحت الحكم الفينيسي. وكان دوق فينيسيا أرسل أسطولاً بقيادة عطيل ، الجنرال الاستثنائي اللامع ، وحاكم قبرص أيضاً.

ليس ثمة افتتاحية. ترفع الستارة بسرعة بعد عدة ميزورات تمهيدية.

الفصل الأول

ساحة مكشوفة خارج قلعة عطيل تطل على البحر. في المقدمة حانة وفي الخلف رصيف الميناء. الوقت ليلاً. ثمة عاصفة تعصف ورعود وبروق. تُشاهد في البعد سفينة عطيل. حشد كبير من الناس ، بضمنهم جنود ، تجمعوا وكلهم ينظر بقلق نحو البحر. ووسط الحشد يبدو ياغو ورودريغو وكاسيو ومونتانو.

يصور الكورس الافتتاحي العاصفة ، ويعبر عن الخوف من أن تتحطم السفينة فوق الصخور. يقول ياغو الواقف بجانب رودريغو إنه سيرى قريباً السفينة وقد غرقت. لكن الخطر يزول ، ويقترب عطيل سالماً من الشاطئ ، يتبعه الجنود والبحارة ، يعلن عطيل بإيجاز وهو يهتف «Esultate» انتصاره الساحق على الأتراك. يهلل الحشد ويغني مبتهجاً بالنصر ، بينما يدخل عطيل إلى قلعته يتبعه كاسيو ومونتانو والجنود. تهدأ الآن العاصفة ويبدأ الناس بإقامة مشعلة.

يتحدث ياغو مع رودريغو، الشاب النبيل الذي يحب ديزديمونا زوجة عطيل. رودريغو يائس من حبه، لكن ياغو يطلب منه أن يتحلى بالشجاعة والصبر لأن ديزديمونا سرعان ما تضجر من عطيل. يتظاهر ياغو بصداقته لـ رودريغو مضيفاً أنه يكره عطيل، على الرغم من أنه يخدمه ويتظاهر بأنه صديقه. يعود كاسيو فيشير إليه ياغو معبراً عن احتقاره وحسده. فقد عين كاسيو ملازماً أول عند عطيل، وهو مركز كان يشتهيه ياغو لنفسه. وهذا ما دفع ياغو إلى كره عطيل. ويأخذ رودريغو جانباً ليخبره المزيد.

تتصاعد ألسنة اللهب من المشعلة، ويغني الحشد النار المشرقة «Fuoco di gioia». وعندما تخبو النار يصف الخدم المصابيح الفينيسية الملونة على التعريشة المجاورة للحانة. ويتجمع الجنود حول الطاولات، وينضم إليهم ياغو ورودريغو وكاسيو ويشاركوهم الشراب. وبعد عدة كؤوس يحث ياغو كاسيو على شرب كأس أخرى، لكن كاسيو يرفض في البداية قائلاً أنه شرب بما فيه الكفاية. عندئذٍ يشرب ياغو نخب ديزديمونا الجميلة، فينضم إليه كاسيو مطرياً جمالها. وبذلك يمهد ياغو لخطته. وهو الآن يحاول إثارة انفعال رودريغو وغيرته، فيخبره بأن كاسيو ينشد أيضاً حب ديزديمونا، ويشير بذكاء إلى أن كاسيو أطراها لتوه، ويقول لـ رودريغو «ينبغي علينا أن نسكره». «فإن هو أسرف في الشرب يتحطم».

يندفع ياغو، لكي يدفع كاسيو لشرب المزيد من الخمر، في مرح شرير مغنياً Brindisi أو أغنية الشراب «Inaffia l'ugola!». ويتابع الكورس الأغنية. يغني كاسيو ويشرب، وشيئاً فشيئاً يقع تحت تأثير الخمرة لدرجة لا يستطيع معها متابعة الغناء. ولما كان ياغو قد مهد لإثارة غيظ رودريغو وحقده على كاسيو، فهو الآن يحث رودريغو على قتال كاسيو، ليخلق ذلك اضطراباً يوقظ عطيل.

في تلك اللحظة يصل مونتانو ليخبر كاسيو أن وقت نوبة حراسته قدْ حان. لكن ينتابه القلق عندما يرى حالة كاسيو الذي أصبح أكثر صخباً ومشاكسة. يحرض رودريغو كاسيو على القتال ضاحكاً في وجهه. يحاول مونتانو التدخل قائلاً لـ كاسيو بأنه ثمل، وعندئذٍ يستل كاسيو سيفه ويهاجم مونتانو.

يطلب ياغو من رودريغو أن يطلق بوق النذير، ثم يلتفت نحو المتقاتلين مرائياً ويأمرهما بالتوقف. يصاب مونتانو بطعنة، ثم يسمع بوق النذير، ويظهر عطيل يتبعه رجال يحملون المشاعل، ويتوقف القتال.

يطلب عطيل تفسيراً، فيعلن ياغو ببراءة بأنه لا يستطيع فهم ما حدث. إنهما صديقان متفاهمان، وفجأة استلا أسلحتهما كمجنونين. لا ينبس كاسيو ببنت شفة خجلاً.

تدخل ديزديمونا التي أيقظتها الجلبة. يصرف عطيل، في غضب، كاسيو من خدمته بسبب ما أشاع من اضطراب. وهذا بالطبع ما أراده ياغو وما خطط له. يرسل عطيل ياغو لتهدئة المدينة، ويُدخل مونتانو إلى القلعة. ويتفرق الحشد.

يبقى عطيل وديزديمونا وحدهما. ويُختتم الفصل بثنائي حب رقيق «Gia nella notta densa» يستحضر فيه المغربي وديزديمونا الساعات التي أمضياها معاً عندما كان عطيل يسلي ديزديمونا بقصصه عن أخطار المعركة وشدتها، وهكذا غدت تحبه. تغمر السعادة الاثنين، ويقبل عطيل ديزديمونا مرات عدة «Un bacio... Un bacio.. ancora un bacio» مع مرافقة موتيف القبلة، الذي يتكرر في نهاية الأوبرا. تنقشع السحب، ويُغرق ضوء القمر المشهد. يعود عطيل وديزديمونا إلى القلعة أثناء إسدال الستارة.

الفصل الثاني

غرفة في الطابق الأرضي لقلعة عطيل. في الخلف باب مقوس يفضي إلى الحديقة. ترتفع الستارة عن ياغو وهو يتحدث مع كاسيو، قائلاً له إن ديزديمونا غالباً ما تكون في الحديقة ظهراً، وهذه أفضل فرصة له ليحثها على عرض قضيته أمام عطيل. «إنها جنرال جنرالنا وذات طبيعة طيبة». إنها سوف تحصل على عفو عنك.

يوافق كاسيو على خطة ياغو الجيدة ويدخل الحديقة لينتظر قدوم ديزديمونا. يرمقه ياغو بنظرة احتقار وهو يختفي بين الأشجار ثم يغني الـ الكريدو الشهير «Credo in un Dio Crudel che m'ha creato». وتُظهر هذه الآريا، المؤثرة إلى أبعد حد، شخصية ياغو الخسيسة الغادرة. إنه يعتقد بإله قاسٍ خلقه على شاكلته. ويعتقد أن الحياة خُلقت لتغذي الموت، وإن الأخيار المخلصين هم ممثلون تعساء، وإن الفضائل التي يدعون إليها، الشفقة والحب والأثرة والشرف، ليست سوى أكاذيب. (نص الكريدو عرضي من ابتكار بويتو وليس له وجود في نص مسرحية شكسبير).

يتوقف ياغو عند دخول ديزديمونا الحديقة، ثم يدعو كاسيو بنعومة للقائها. وفي الوقت الذي يعبر فيه ياغو عن ارتياحه لخطته، يتمشى كاسيو وديزديمونا جيئة وذهاباً في الحديقة وهما يتبادلان حديثاً جدياً.

يحالف الحظ ياغو، ويرى عطيل يقترب لكنه يتظاهر بأنه لا يراه. يستند إلى عمود ويحدق إلى الحديقة ويقول، كأنه يخاطب نفسه، «أنا لا أرغب في ذلك». تثير كلماته فضول عطيل. يلقي المغربي نظرة إلى الحديقة في اللحظة التي يختفي كاسيو وديزديمونا من المشهد. فيلتفت بسرعة نحو ياغو يسأله إن كان من رآه مع

زوجته هو كاسيو. يجيب ياغو بغموض وبمكر، مما يثير شكوك المغربي، فيستمر في استجوابه. يسأل ياغو المغربي، هل كان كاسيو على علم بحب عطيل لـ ديزديمونا في تلك الأيام التي كان يتودد إليها؟ يجيب عطيل «نعم، لماذا تسأل؟» فيجيبه ياغو «لأريح نفسي».«لا أعتقد بأنه كان يعرفها». فيقول عطيل بلى، «كان دائماً رسولي ليحمل إليها الكلمات الرقيقة». فيتمتم ياغو: «صحيح؟» وكأنه يُلمح إلى أن عطيل كان نزاعاً إلى الثقة بالآخرين.

يشعر عطيل بأن ثمة شيئاً في عقل ياغو ويطلب منه الإفصاح عما يجول في خاطره؛ لكن ياغو يجيب إجابات ملغزة، ويطلب من عطيل أن يحذر الغيرة «إنها الوحش الأخضر العينين الذي يهزأ من الطعام الذي يفترسه». فيقول عطيل بغضب: إنه سيطرح الشك والغيرة جانباً، وسيطلب برهاناً قبل أن يرتاب. يوافق ياغو، متلاعباً بمزاج عطيل، قائلاً: البرهان مطلوب. وينصح بأن يراقب عن كثب، «وهكذا يمكن أن تعود ثقتك أو يتعزز ارتيابك».

في هذه اللحظة تعود ديزديمونا إلى الحديقة تحوطها النساء والأطفال والبحارة يحملون إليها الأزهار والهدايا. ويغنون مهللين لـ ديزديمونا ترافقهم الماندولينات والقيثارات الصغيرة «Dove guardi splendono». يؤكد هذا المشهد طبيعة ديزديمونا بنبلها ودماثتها، كما يبرز التباين الكلي بين شخصيتها وبين شخصية ياغو المجرد من المبادئ الخلقية. يلين موقف عطيل تجاهها.

في نهاية هذا المشهد القصير تجيء ديزديمونا من الحديقة عبر المدخل المقنطر وتدخل المنزل تتبعها مرافقتها إميليا، زوجة ياغو. ديزديمونا لا تعرف شيئاً عن الشك الذي زرعه ياغو في عقل عطيل، وتطلب من عطيل، بطريقة تعبر عن طيبة قلبها، أن يعيد كاسيو إلى مركزه السابق. يحاول عطيل تجنب الموضوع،

لكنها تصر. ويبدو أن ذلك يثير ارتياب عطيل ويعززه. ويبدأ بالتفكير بأن ياغو على صواب، وإن ديزديمونا ربما كانت واقعة في حب كاسيو، تلاحظ ديزديمونا سيماء الاضطراب على وجه زوجها فتسأله: «أمتوعك أنت؟» فيجيبها: «أحس ألماً في جبيني، هنا». تحاول ديزدمونا تهدئته وتعصب رأسه بمنديلها، لكن عطيل ينتزع المنديل بغلظة ويرميه على الأرض. تصاب ديزديمونا بالدهشة والفزع، خصوصاً أن المنديل كان أول هدية تتلقاها منه ـ وهو منديل مزين بحبات التوت البري الصغيرة. وهنا تلتقط إميليا المنديل.

يتبع ذلك رباعي غنائي دراماتيكي تعلن فيه ديزديمونا حبها لـ عطيل، وتتوسل إليه أن يسامحها إن هي أخطأت معه « Se inconscia, contro te, sposo, ho peccato»، ويخبرها المغربي بأن قلبه محطم وأن حلمه الذهبي بالحب تبدد في التراب. ويطلب ياغو من إميليا، وقد رآها تلتقط المنديل، أن تعطيه إياه. ترفض إميليا ذلك إذ يخامرها الشك، لكن ياغو ينتزعه منها، ويفكر بخبث الآن لأنه نجح في جرّهم إلى شباكه، بينما تصلي إميليا إلى الله لكي يحميهم من كارثة.

يطلب عطيل من الجميع أن يتركوه وحده. ينصح ياغو إميليا بألا تتفوه بكلمة عن الحادثة. تغادر ديزديمونا وإميليا، لكن ياغو يتجه نحو الباب الخلفي، بينما يرتمي عطيل على الكرسي ويصرخ من الألم الذي يعتمل في داخله. خلفه ياغو يتفحص المنديل بحرص ثم يبعده قائلاً: «التوافه برهان جيد كبرهان الكتب المقدسة بالنسبة لمن أصابته الغيرة، سأضع هذا المنديل في منزل كاسيو الذي سيجده حتماً» ثم يراقب عطيل بارتياح مقيت. «الآن تغير المغربي بفعل سُمّي». ثم يقترب منه بمودة قائلاً: «يكفي ذلك أيها الجنرال».

يتهم عطيل ياغو بأنه كان السبب في إثارة شكوكه، ثم يقول «الأفضل أن تكون مظلوماً من أن لا تعرف إلا القليل». وفي لحن مؤثر يقول الوداع للطمأنينة وللشهرة وللمهنة العسكرية «Ora a per sempre addio sante memoire».

يتظاهر ياغو برغبته في تهدئة مشاعر عطيل. لكن ذلك يثير حنق عطيل الذي يندفع نحو ياغو، ويقبض على حنجرته مطالباً إياه بتقديم برهان على اتهاماته. ينهض ياغو مخدوش الكبرياء ويتظاهر بأنه يأبى أن يتكلم. إنه يدع عطيل يضغط عليه من أجل البرهان. وأخيراً يخبره بأنه قضى الليل مع كاسيو وسمعه يدمدم وهو نائم عبارات حبه لـ ديزديمونا « Era la notte, Cassio dormia, gli stavo accanto». ويذهب أبعد من ذلك قائلاً: «ألم تشاهد أحياناً منديلاً مزيناً بحبات التوت البري في يد زوجتك؟» فيجيب عطيل «لقد كان هديتي الأولى لها»، فيعلن ياغو بأنه كان قد رآه مؤخراً في يد كاسيو. الآن يخرج عطيل عن طوره، ويجثو على ركبتيه رافعاً ذراعيه نحو السماء، ويصرخ بقسم الثأر «Si, pel ciel marmoreo giuro!». وفي هذه اللحظة يبلغ نفاق ياغو أقصى حدوده، وعندما يهم عطيل بالنهوض يبقيه ياغو جانباً ويجثو إلى جانبه ويقسم أيضاً على الانتقام من أولئك الذين أخطؤوا بحق عطيل. يمتزج صوتاهما في عبارات طنانة، وبهذا الثنائي تسدل الستارة.

الفصل الثالث

قاعة القلعة الكبيرة. في أحد جوانبها رواق معمد عريض. في الخلف تيراس. الغرفة فسيحة ومجهزة بأثاث غني. وفي أحد جوانبها ينتصب العرش.

بعد مقدمة أوركسترالية قصيرة ترتفع الستارة. عطيل وياغو في الصالة. ينطلق من الرواق صوت رسول معلناً وصول سفينة السفراء إلى قبرص. يصرف

عطيل الرسول، ويلتفت إلى ياغو ويطلب منه المضي في سرد حكايته. يشرح ياغو لـ عطيل أنه وافق على لقاء كاسيو في قاعة القلعة الكبيرة، وإن أراد عطيل برهاناً على ذنب ديزديمونا ينبغي عليه أن يختبئ ويصغي. وعندما تقترب ديزديمونا يغادر ياغو، لكنه يشير للمرة الأخيرة إلى المنديل المزين بحبات التوت البري.

تدخل ديزديمونا القاعة، وفي واحد من أكثر المشاهد دراماتيكية في الأوبرا يحاول عطيل ايقاعها في فخ الاعتراف بحبها لـ كاسيو. ويُظهر ثنائي غنائي «Dio ti giocondi» براءة ديزديمونا وارتياب عطيل الشديد. تحاول ديزديمونا التحدث لمصلحة كاسيو، لكن عطيل يسألها ببرود ولا مبالاة أن تعيره منديلها. فتعطيه واحداً، لكنه بالطبع ليس ذاك المنديل المزين بحبات التوت البري. فيطلب منها عطيل المنديل الذي أهداها إياه، فتخبره أنه ليس معها الآن. يتوعدها عطيل بالسوء إن هي فقدته، ويقول بأن أمه تلقته من ساحر مصري وضع عليه رُقية، ويصر على أن تجده، تجيب ديزديمونا قائلة بأن هذه مكيدة منه لمنعها من التحدث من أجل كاسيو، إنها بالطبع متأثرة بدافع الشفقة على الضابط الشجاع كاسيو الذي عَرض مهنته للخطر في لحظة ضعف؛ لكن بالنسبة لـ عطيل يبدو الأمر على نحو آخر، فيزداد إهتياجاً وإصراراً. وعلى الرغم من أمارات الاخلاص على وجهها يدعوها بالمخادعة.

أما هي فلا تستوعب هذه الضراوة، وتجثو على ركبتيها مؤكدة حبها الطاهر له «Esterrefatta fisso lo sguardo tuo tremendo»، لكن مزاج عطيل يمنعه من الإصغاء أو التصديق. ويبعدها بغلظة، ثم يطلق مناجاة حزينة

«Dio !mi potevi scagliar tutti i mali della miseria»، مغنياً بما يشبه الهمس فؤاده المحطم.

يعود ياغو ويهمس لعطيل لكي يراقب ويصغي من خلف العمود، لأن كاسيو قادم. يتراجع عطيل لكي لايُرى، وعندما يدخل كاسيو يبدأ ياغو محادثته التي خطط لها بمكر ليزيد من عذاب عطيل. إنه يغري كاسيو بالتحدث عن علاقته بـ بيانكا، المرأة التي تقطن البلدة، لكنه يلفظ اسمها بهمس حتى لا يتمكن عطيل من سماعه. وبينما هما منغمسان بالمحادثة، يعمد ياغو إلى إبقاء كاسيو على مسافة تسمح لـ عطيل سماع نتف مما يقولانه مدركاً أن عطيل سيظن أن كاسيو يتحدث عن ديزديمونا. يشير كاسيو بصوت منخفض إلى أنه وجد منديل سيدة في غرفته، ويتعجب من ذلك. يطلب منه ياغو أن يريه المنديل، ثم يحمله بطريقة تمكن عطيل من رؤيته. وفي الثلاثي الغنائي الذي يتبع «Quest, è Una ragna»، يتظاهر ياغو بأنه يدرك ما يرمز إليه المنديل من رومانسية حقيقية. يستعيد كاسيو المنديل ويتأمله بإعجاب، بينما يقول عطيل بصوت مكتوم «البرهان»، وهو على يقين تام بأن ديزديمونا قد خانته.

تشير آلات الترومبيت إلى وصول السفن من فينيسيا. يطلب ياغو من كاسيو أن يسرع بالخروج لكي لا يراه عطيل في القاعة الكبيرة. ينسل عطيل من المكان الذي يختبئ فيه ويسأل ياغو أن يدله على طريقة يتمكن بها من ذبح كاسيو. يهيج ياغو غضب عطيل بتذكيره بضحك كاسيو، وبإشارته إلى المنديل. يطلب عطيل من ياغو أن يحصل على سم لقتل ديزديمونا في نفس الليلة، لكن ياغو ينصحه بأن يخنقها وهي نائمة. يثمن عطيل ذلك الاقتراح، بينما يطلب ياغو من عطيل أن يحذر كاسيو. وبتهور يرقي المغربي ياغو إلى رتبة ملازم أول، فيشكره ياغو على

ذلك. يعلن ياغو عن قرب وصول السفير من فينيسيا، ويقترح بأن تكون ديزديمونا حاضرة تجنباً لأي شك. يوافق عطيل على ذلك ويطلب من ياغو دعوتها.

الآن يدخل الضيوف القاعة الكبيرة يرافقهم كورس جليل يهلل لـ عطيل بوصفه «أسد سان ماركو». وفي مقدمة الحشد ياغو ولودفيغو سفير فينيسيا وديزديمونا وإميليا. يغني لودفيغو التحية الرسمية لـ عطيل ويسلمه الرق. يستلم عطيل الرسالة، ويُقّبل ختم الرَق، ثم يفتحه ويشرع في قراءته.

في غضون ذلك يقدم لودفيغو إحتراماته لـ ديزديمونا. وتنفرد بإميليا لتعلق على سلوك عطيل الغاضب. ينضم ياغو إلى الجمع ويحيي لودفيغو الذي يسأله عن أخبار كاسيو. يجيبه ياغو بأن كاسيو قد جلب الغم إلى عطيل، وإثر ذلك تتنبأ ديزديمونا بأن الملازم سيعود قريباً إلى مركزه. تزداد شكوك عطيل عند سماعه ذلك. ويدمدم مهدداً ديزديمونا متظاهراً بأنه يقرأ الرَق. ترتبك ديزديمونا، لكن لودفيغو يقول عن غير قصد بأن عطيل أساء الفهم. يكرر ياغو بتعمد إشارة ديزديمونا حول كاسيو، فتقول ديزديمونا ببراءة وإخلاص بأنها ستبذل أقصى ما في وسعها من أجل كاسيو.

يحذرها عطيل وهو مازال يتظاهر بقراءة الوثيقة أن تلتزم الصمت، فتسأله ديزديمونا الصفح. وفي غضب شديد ينفجر عطيل صارخاً «اصمتي أيتها الشيطانة»، ويرفع يده كأنه يود صفع زوجته. يجره لودفيغو إلى الخلف، بينما يصاب الحشد بالهلع. يأمر عطيل بإحضار كاسيو، ثم يطلب من ياغو بنعومة أن يراقب ديزديمونا عندما يدخل الملازم. يصدم سلوك عطيل، تجاه ديزديمونا، لودفيغو ويطلب تفسيراً من ياغو. يهز لودفيغو كتفيه غير مبال بما يجري، ويطلب أن يُستثنى من التعبير عن رأيه.

يدخل كاسيو، ويطلب عطيل من ياغو أن يراقب عن كثب. يعلن المغربي بصوت عالٍ بأن قاضي فينيسيا الأول استدعاه. وعلى انفراد يزمجر عطيل مهيناً ديزديمونا. يصرخ رودريغو، الذي أحبطه حب ديزديمونا، بيأس. يتابع عطيل معلناً أن كاسيو سيحل مكانه كحاكم لقبرص. يصبُّ ياغو، عند سماعه تلك الكلمات، لعناته، مدركاً أن رحيل عطيل سيفسد خططه. يعبر المغربي وكاسيو عن امتثالهما للمرسوم السيناتوري. وفي همس يثير عطيل انتباه ياغو إلى ارتباك كاسيو. ويوجه ثانية كلامه إلى الضيوف معلناً أن حماية المدينة أصبحت في يدي كاسيو. يطلب لودفيغو من عطيل، مشيراً إلى ديزديمونا المذعورة، أن يقول كلمة طيبة لمواساتها. فيجيب عطيل أنهما سوف يبحران في الغد.

فجأة وفي غضب وحشي يحدق بديزديمونا ويأمرها بأن تجثو ثم يقذف بها أرضاً. وفي ارتباك يسقط عطيل الرق. يلتقطه ياغو ويقرؤه. تساعد إميليا ولودفيكو ديزديمونا على النهوض، ثم تبدأ الآريا المأسوية التي تنوح فيها ديزديمونا على فقدها حب عطيل «A terra ! – Si, nel livido». تصرخ بأنها مُرغت في التراب وأنها تشعر بيد الموت الجليدية. تبكي ضياع تحية عطيل الرقيقة، ابتسامته، قبلته. لاشيء الآن يستطيع تجفيف دموعها. وتستمر الآريا فوق مرافقة كورسية دراماتيكية. يعلق أولئك الذين في الحشد على سلوك عطيل المجنون ثم يحاولوا مواساة ديزديمونا. يصل ياغو، ويحث عطيل على الانتقام من ديزديمونا قبل أن يخف غضبه، بينما يقسم هو نفسه على قتل كاسيو. ثم يلتفت ليسخر من رودريغو، ويذّكره بأن عطيل، إن غادر إلى فينيسيا، فإن ديزديمونا لن تكون قريبة منه للأبد.ثم يتآمر مع رودريغو لقتل كاسيو لكي يمنعا عطيل من مغادرة قبرص، وينبهه إلى أن ينفذ ما قيل له، وألا يكون ضعيفاً جباناً.

وعند بلوغ الكورس الذروة يأمر عطيل بعنف الجميع بالمغادرة. يتراجع الحشد برعب. وعندما تندفع ديزديمونا نحو عطيل متوسلة، يدفعها بعنف لاعناً إياها. يفر الناس، وتقود إميليا ولودفيكو ديزديمونا خارجاً.

يبقى عطيل وياغو وحدهما. يصرخ عطيل بجنون طالباً الدم، ويتحدث بصخب حول المنديل. يتهاوى عطيل على الأرض بفعل التشنج. ينظر إليه ياغو ويلاحظ بدء عمل السم. تُسمع من خارج القلعة صيحات الحشد مهللة لـ عطيل «أسد فينيسيا». يشير ياغو إلى عطيل المتمدد على الأرض ويغني بغطرسة «Ecco il Leone!» انظر الأسد. وتسدل الستارة.

الفصل الرابع

ثمة تمهيد أوركسترالي قصير مبني على ثيمة أغنية الصفصاف الحزينة التي ستغنيها ديزديمونا فيما بعد في الفصل. ترتفع الستارة عن غرفة نوم ديزديمونا. يوجد قرب السرير مَرْكَعة وفوقها صورة مريم العذراء. وعلى الطاولة شمعة مشتعلة. تستعلم إميليا، وهي تهيئ ديزديمونا للنوم، عن عطيل. فتقول ديزديمونا بأنه أمرها أن تنتظره، وتطلب من إميليا أن تعد السرير وتستخدم ملاءات زفافها. فإن ماتت، فتستخدم الخادمة واحدة من الملاءات كفناً لـ ديزديمونا.

تجلس ديزديمونا أمام المرآة وتبدأ بهدوء بغناء ريسيتاتيف تسرد فيه قصة خادمة أمها، باربارا، التي جُن عشيقها. لقد غنت أغنية «الصفصاف» لكي تواسي نفسها. وفي هذه الليلة تتواصل الأغنية في ذهن ديزديمونا. ثم تبدأ تغني أغنية الصفصاف «O salce! Salce». تعطي ديزديمونا خاتمها لـ إميليا وتطلب

منها أن تصونه. ثم تستأنف الأغنية، وفجأة تتوقف لتصغي، متخيلة أنها تسمع تنهداً أو قرعاً على الباب. إنها الريح، تقول إميليا.

تنهي ديزديمونا أغنيتها بفقرة بسيطة دون مرافقة. وتتمنى لـ إميليا ليلة سعيدة. وتقول بأن عينيها تؤلمانها. ثمة نغمة طويلة وهادئة في الأوركسترا، ومرة أخرى تهمس ديزديمونا «ليلة سعيدة». وحين تشرع إميليا بالذهاب ترتجف ديزديمونا بفعل هاجس الموت، وتسكب عبارة الوداع التي تفيض بالعاطفة. وتعانق إميليا التي تنصرف. تجثو أمام المَرْكَعة وتغني صلاة إلى مريم العذراء «Ave Maria». وطوال لحظات تظل في وضع الصلاة، ثم تذهب إلى السرير وتستلقي.

وعندما تبدأ الأوركسترا بعزف ثيمة مشؤومة ومنذرة بالشر، يخطو عطيل من خلال باب سري. يضع سيفه المعقوف على الطاولة، يتوقف أمام الشمعة ناظراً إلى ديزديمونا. يطفئ الشمعة ويتجه ببطء نحو السرير. يحدق طويلاً في زوجته النائمة، ثم يقبلها ثلاث مرات، بينما يُسمع في الأوركسترا موتيف القبلة. تصحو ديزديمونا وتتفوه باسمه. يسألها بترو مشؤوم عمّا إذا كانت قد أدت صلاة المساء لأنه لا يرغب في قتل روحها. وبرعب تتوسل طالبة الرحمة.

يطلب منها عطيل أن تفكر في خطاياها، لكنها تقول متنهدة بأن خطأها الوحيد هو الحب الذي تقدمه لـ عطيل. وتتساءل بيأس هل ينبغي أن تموت بسبب ذلك الحب؟ يتهمها عطيل بغضب بحبها لـ كاسيو. فتنكر ديزديمونا ذلك. فيقول عطيل بأنه شاهد منديلها بيدي كاسيو. ومتجاهلاً اعتراضاتها يسألها بألا تحلف يميناً كاذبة في سرير موتها.

تناشد ديزديمونا عطيل لاستدعاء كاسيو وبذلك تثبت براءتها. يجيبها عطيل بحدة بأن كاسيو ميت. وعندما تعرب ديزديمونا عن يأسها، ينفجر عطيل كالمجنون لمرأى دموعها، التي كما يبدو له، تذرفها من أجل كاسيو. تتوسل ديزديمونا لعطيل أن يعاقبها ولا يقتلها. وعندما يزأر عطيل بغضب مجنون، ترجوه ديزديمونا أن يمنحها لحظة أخرى لتصلي. وبصرخة رهيبة ينقض عليها ويخنقها.

ثمة نقرة على الباب. يتلاشى ضجيج الأوركسترا، ليحلّ محله أكوردات قاتمة، بينما ينظر عطيل إلى زوجته ساكنة كالقبر. تسمع نقرات على الباب. تندفع إميليا إلى الداخل وتقول بأن كاسيو قتل رودريغو، وأن كاسيو لا يزال على قيد الحياة. تتحرك ديزديمونا وهي تعاني سكرات الموت وتصرخ قائلة إنها تموت بريئة.

تتساءل إميليا: من الذي فعل هذا الصنيع؟ تشهق ديزديمونا وتقول بأنها هي من فعل ذلك، لكنها بريئة ثم تموت.

يصرخ عطيل قائلاً بأن ديزديمونا كاذبة، وأنه هو من قتلها. ثم يخبرها بأن ياغو أثبت له بأن ديزديمونا خانته مع كاسيو. وعندما تصفه إميليا بالأحمق لأنه صدق ياغو، يهددها المغربي. تندفع إميليا إلى الخارج تطلب النجدة. يدخل ياغو ولودفيكو وكاسيو. تتهم إميليا ياغو بالغدر. يدخل مونتانو ويضيف أخباراً حول رودريغو الذي اعترف قبل أن يموت بضلوعه في المؤامرة التي حيكت ضد عطيل، وكشف النقاب عن غدر ياغو وخيانته. وعندما يطلب عطيل من ياغو الرد على التهمة، يندفع نحو الباب ويفر.

يخطو عطيل نحو الطاولة ويتناول سيفه. يحاول لودفيكو أخذ السيف منه، لكن عطيل يدفعه بعيداً. وبنعومة يغني، وكأنه يخاطب نفسه، بأن هذه اللحظة وحدها ستختم مصيره. يُسقط السيف ويذهب إلى السرير ويتطلع إلى ديزديمونا

وفي مناجاة مأسوية أخيرة يندب قدرها البغيض، ثم يستل بنعومة خنجراً من سترته ويطعن نفسه. يصرخ لودفيكو ومونتانو وكاسيو برعب.

ثم يغني عطيل بالإيطالية أبيات شكسبير الخالدة: «قبل أن أقتلك قبلتك، وما من سبيل آخر، قتلت نفسي لأموت على قبلتك».

يغور في السرير ثم يغني العبارات المؤثرة «قبلة، وأيضاً قبلة، وعلاوة على ذلك، قبلة». يسقط عطيل ميتاً فوق جسد ديزديمونا. وتسدل الستارة ببطء.

المهرجون

أوبرا للمؤلف روجييرو ليونكافالو 1919-1857 .R. Leoncavallo
وضع نصها المؤلف نفسه

الشخصيات

كانيو	رئيس فرقة الممثلين الجوالين (بالياتشو ، المهرج الأول في المسرحية)	تينور
نيدا	زوجته (كولومبينا ، في المسرحية)	سوبرانو
تونيو	ممثل (تاديو ، المهرج الثاني في المسرحية)	باريتون
بيبي	ممثل (هارليكوين ، في المسرحية)	تينور
سيلفيو	ابن قرية ، عشيق نيدا	باريتون
	فلاحون وأبناء قرى	

المكان : مونتالتو ، مقاطعة كالابريا ، إيطاليا

الزمان : بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٧٠

التقديم الأول : تياترو دال فيرم ، ميلانو ، ٢١ أيار عام ١٨٩٢

اللغة الأصلية : الإيطالية

ترتبط أوبرا «المهرجون» في أذهان عشاق الأوبرا ، على نحو وثيق ، بأوبرا الفروسية الريفية ، لأن كلا الأوبريين يجمعهما قاسم مشترك. ذلك أن مسيرة المؤلفين ليونكافالو وماسكاني في الحقل الفني متشابهة على نحو ملحوظ. فكل منهما حقق شهرة دائمة بأوبرا واحدة ، بينما ظلت أعمالهما الأخرى مغمورة إلى حد ما. ويقال إن نجاح أوبرا الفروسية الريفية ألهم ليونكافالو تأليف أوبراه «المهرجون».

أطلق اسم «المهرجون Pagliacci» على الكوميديين والإيمائيين الذين شكلوا علامة الممثلين الجوالين التجارية في إيطاليا في القرن السادس عشر. تتشكل الحبكة في مسرحية ضمن مسرحية. فيها يلعب الممثلون فجأة أدوار الحياة الحقيقية. في هذه الحالة، فإن المسرحية التي تدور فوق خشبة المسرح هي تمثيل إيمائي لكوميديا إيطالية قديمة بشخصياتها المعروفة، كولومبينا وهارليكوين والمهرج. وذات مرة كتب ليونكافالو يقول: إنه في مونتالتو، بلدة صباه ومكان أحداث الأوبرا، قتل أحد الممثلين زوجته بعد انتهاء العرض. وكان والد المؤلف قاضياً في المحاكمة التي جرت لمحاكمة القاتل. وقد ترك ذلك الحدث أثراً عميقاً في نفس ليونكافالو مما دفعه إلى تخليده في أوبراه «المهرجون».

يبدأ التمهيد بثيمة نشطة تعكس الجو الاحتفالي الذي يرافق الممثلين الجوالين القادمين للقرية في عيد الصعود. بعد ذلك نسمع لحناً قصيراً من الآريا «Ridi Pagliaccio» التي يغنيها كانيو في نهاية الفصل الأول. يتبع ذلك عدة ميزورات من موسيقا الحب تغنيها نيدا وسيلفيو. ثم تعود الموسيقا إلى المقطع الافتتاحي.

استهلال: يخطو المهرج الأحدب تونيو إلى الأمام ويغني الاستهلال «Si può? Signore! Signore!»، معلناً فيه أن كاتب هذه المسرحية القديمة يقدم شيئاً من الحياة الواقعية، مستلهماً الذكريات المؤثرة «Un nido di memorie»، وأن الكاتب دوّن أفكاره على إيقاع تنهداته ودموعه. وستغدو النتيجة مهرجاناً للعواطف الإنسانية العنيفة. وفي عبارة طنانة يصيح تونيو «Andiam! Incomiciate، إذن تعالوا! لندع المسرحية تبدأ».

الفصل الأول: شارع قرية مشمس. في أحد الجوانب أُقيم مسرح صغير جوال. يأتي من بعيد صوت آلة ترومبيت وضربات طبل قوية. يدخل القرويون

وهـم يـصيحون عـاد الباليـاتـشو. يتوقفـون ليحـدّقوا إلى تونيـو المـستلقي قـرب الـدرجات المؤدية إلى خشبة المسرح الـصغير. يغـني أبنـاء القرية مرحبين « Viva Pagliaccio» ، في حـين يـصعد كـانيو ونيـدا وبيـبي إلى العربـة الـتي يجرهـا حمـار وهـم مرتدون ثياب الممثلين الإيمائيين المعتادة ، يضرب كـانيو طبلـه الكـبير ليـصمت الجميع ، ثم يدعو الحشد لحضور المسرحية التي تـدور حـول الباليـاتـشو العظـيم ، والتي ستعرض في المساء. وحين ينـزل كـانيو مـن العربـة يتقـدم تونيـو ليـساعد نيـدا على النزول منها ، لكن كـانيو يدفعـه بخشونة ويلكمـه علـى أذنيـه. يـضحك الحـشد ويبـدأ بعـض الأطفـال بمضايقة تونيـو. يـدفعهم تونيـو بغـضب ويـنسحب إلى داخـل المسرح مدمدماً عبارات التهديد ضد كانيو. يبتعد بيبي عن العربة.

يـدعو بعـض أبنـاء القريـة كـانيو للـشراب معهـم. وعلـى الفـور يـدعو بـيبي نفسه. يـدخل كـانيو إلى المسرح ليخلـع بدلتـه. يـسأل كـانيو تونيـو إن كـان سيـأتي ، فيجيـب الأحـدب قـائلاً ينبغـي عليـه الاعتنـاء بالحمـار أولاً. يلمـح أحـد القـرويين قـائلاً إن تونيـو يـود البقـاء في الخلـف ليتمكن مـن مغازلـة نيـدا. يخمـد كـانيو غـضبه ويغـني قـائلاً إنـه كباليـاتـشو إن وجـد حبيبتـه نيـدا مـع منـافس لـه فـسوف يجلـدهما معاً ، ثم يقول لكـن إن وجـد نيـدا في هـذا الوضـع فـستكون نهايـة المسرحية مختلفـة جداً.

نيـدا علـى حـدة ، تهتـف مـذعورة. يعـود كـانيو إلى نفسه ويقـول إنـه يعبـد زوجته ، وكبرهـان علـى ذلـك يبعـث لهـا قبلـة. يخرج الـرجلان. وسـرعان مـا يظهـر أبنـاء القريـة وهـم في طـريقهم إلى صـلاة الغـروب يـرافقهم كـورس الأجـراس المعروف «Din don, suona vespero». يتلاشـى الـصوت تـدريجياً ، في حـين يبتعد الناس.

نيدا، وحدها، تتذكر هيجان كانيو العاطفي الغريب وتتساءل إن كان يشك فيها. وفي محاولة لإبعاد تلك الفكرة تتأمل الطيور وهي تدور في الشمس الساطعة «O che be 1sole». يؤدي هذا إلى البالاتيلا الشهيرة، وهي واحدة من آريات السوبرانو الأوبرالية الشهيرة. تغني نيدا تحليق الطيور الحر البهيج «Stridono lassù».

في نهاية الآريا يظهر تونيو ويخبرها قائلاً إنه فُتن بغنائها لدرجة أنه لم يستطع الانضمام إلى الرجال الآخرين. وحين يعلن حبه لها تطلب منه أن يدخر غزله إلى خشبة المسرح، وإثر هذه الإهانة يتقدم نحوها مهدداً، لكنها تلتقط سوط بيبي وتلسعه في وجهه. يبتعد تونيو صائحاً إنه سينتقم.

في اللحظة التالية يظهر سيلفيو قرب الحائط خلف المسرح. ترتعش ثيمة الحب في الأوركسترا. وحين تخبره نيدا عما جرى لها مع تونيو، يناشدها أن تضع حداً لكل ذلك وتفر منه. يمتزج صوتاهما في ثنائي غنائي طويل ومؤثر «Silvio! A quest'ora». وأثناء غنائهما يتسلل تونيو ويسترق السمع للحظة ثم يبتعد. في النهاية تستسلم نيدا وتعد سيلفيو بلقائه في تلك الليلة بعد انتهاء العرض.

يظهر تونيو وكانيو في ذات اللحظة ويسمعان نيدا وهي تعد سيلفيو بأنها ستكون له الليلة وللأبد «A stanotte – e per sempretua sarò». يطلق كانيو صرخة غضب مدوية. تحاول نيدا أن تسد عليه الطريق أثناء محاولته القفز فوق الحائط للحاق بـ سيلفيو، في حين يضحك تونيو بتشفٍ. يعود كانيو وبيده خنجر، ويجابه نيدا طالباً منها البوح باسم عشيقها. وحين ترفض الإجابة ببرود يندفع نحوها. يهرع بيبي، الذي كان مشغولاً خلف المسرح، لدى سماعه أصوات المشاجرة، ويقف بين الاثنين، وينتزع الخنجر من يد كانيو ويقذفه بعيداً. ويطلب

من كانيو أن يكبح جماح نفسه، إذ إن الناس غادروا الكنيسة وهم في طريقهم لمشاهدة المسرحية.

يحاول تونيو أيضاً أن يهدئ كانيو وينصحه بأن ينتظر الفرصة المناسبة، لأن العشيق ربما يقدم إلى المسرحية ويكشف عن هويته. يطلب بيبي من كانيو أن يرتدي بدلته ويأمر تونيو بإعلان بدء العرض. ويتوارى الاثنان خلف المسرح.

يقف كانيو وحيداً ويغني آريا رائعة «Vesti la giubba»، يعبر بها عن القدر المأسوي للمهرج. بالبدلة والمكياج! يدفع الناس لذا ينبغي أن يستمتعوا. إن سرق هارليكوين كولومبينك، اضحك واكسب التصفيق! بدِّل دموعك بضحكة، المهرج - «Ridi, Pagliaccio!». وحين تعيد الأوركسترا ثيمة تفجُّعه العنيفة يترنح كانيو وهو يصعد درجات المسرح ويختفي في الداخل. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني: بعد فاصل موسيقي قصير ترتفع الستارة عن ذات مشهد الفصل الأول. إنه مساء ذات اليوم. وبينما يُبوِّق بيبي في بوقه ويطبِّل تونيو بطبله، يجلس الناس على المقاعد التي صفت أمام المسرح. وبكورس جميل يعبِّر أبناء القرية عن انفعالهم بحضور المسرحية. يدخل سيلفيو ويقترب بحذر من نيدا التي تتنقل لجمع رسوم الدخول. تهمس قائلة إنها ستكون في الموعد المحدد، ثم تتابع جولتها. يرن الجرس وتبدأ المسرحية.

نرى خشبة مسرح بسيطة ونيدا جالسة إلى طاولة - إنها هنا في دور كولومبينا. تعزف الأوركسترا مينويت يستمر مرافقاً للمشهد. تغني كولومبينا قائلة إن زوجها بالياتشو سيرجع إلى المنزل متأخراً هذا المساء، وهي تشعر بالقلق لأن الخادم تاديو لم يرجع بعد من السوق. يأتي من الخلف صوت بيبي، الذي يلعب دور

هـارليكوين، وهـو يغـني مناجاتـه «آه، كولومبينـا، هنـا ينتظـر المخلـص لـك هارليكوين».

بعـد انتهـاء المناجـاة، يلـبس تونيـو زي تـاديو ويـدخل حـاملاً سـلة التسوق. تـسأله كولومبينـا إن كـان قـد جلـب معـه الـدجاج، فيـنحني أمامهـا ويطلـب منهـا النظـر في الـسلة، ثـم يحـاول مغازلتهـا. تتجاهلـه كولومبينـا وتـذهب إلى النافـذة وتـومئ بإشـارة إلى الخـارج. يغـني تونيـو قـائلاً إن كولومبينـا هـي روح الـبراءة، نقيـة نقـاء الـثلج «É casta al par di neve». يتسلق هـارليكوين النافـذة وهـو يحمـل زجاجـة خمـر وينـسل إلى الـداخل ويـرفس تـاديو طالبـاً منـه الانـصراف. يقترح تاديو السمح أن يبقى لحراسة العاشقين ومن ثم يذهب.

تجلـس كولومبينـا إلى الطاولـة بجـوار هـارليكوين، ويتنـاول الاثنـان الطعـام والشراب. ثم يقدم هارليكوين لـ كولومبينا جرعة منوِّمة من أجل بالاتشيو. يـصيح تـاديو محـذراً العاشـقين مـن أن بالاتـشيو يقـترب. يقفـز هـارليكوين مـن النافـذة في اللحظة التي يدخل فيها كانيو ـ هـو الآن في دور بالاتـشيو. تكـرر نيـدا، كجـزء مـن المسرحية، كلماتها الوداعية لـ سيلفيو.

يتهم كانيو نيدا بالخيانة ـ الاتهام جزء من المسرحية. يصيح تونيو ـ هو الآن في دور تـاديو، مـن الخـارج قـائلاً إن كولومبينـا لا تـستطيع أن تتفـوه بالأكاذيـب. يـأمر كانيو نيدا أن تخبره باسـم عشيقها. وحين تهتف بكلمة «بالاتشيو»، يصرخ كانيو «لم يعد بالاتـشيو». وفي آريـا دراماتيكيـة يغـني قـائلاً ينبغـي أن يـصان شـرفه بالانتقـام، ويؤنِّب نفسه بمرارة لأنه أحب المرأة التي لا تساوي الآلام التي سببتها له.

تسخر نيدا قائلة إن كان يعدُّها بلا قيمة فليدعها تذهب في حـال سبيلها، وإذ ذاك يعلن كانيو قائلاً إنها ستظل هنا إلى أن تنطق باسـم عـشيقها. وفي محاولـة يائـسة

لمتابعة المسرحية، تغني نيدا بمرافقة المينويت مطمئنة كانيو بعدم حدوث شيء مأسوي. لكن كانيو يصرخ قائلاً لها إما أن تذكر اسم عشيقها أو تموت. يعبر المتفرجون عن دهشتهم إزاء ما يجري في المشهد. يحاول بيبي التدخل بين الزوجين الغاضبين لكن تونيو يكبح جماحه.

فجأة يصرخ كانيو قائلاً «الاسم» ويطعن نيدا. يستل سيلفيو خنجره ويندفع نحو خشبة المسرح. وبينما تلفظ نيدا أنفاسها الأخيرة تنطق باسمه. يلتفت كانيو نحو سيلفيو ويطعنه في صدره. يسُسقط كانيو مديته ثم يلفظ الأسطر الختامية للمأساة «انتهت الكوميديا». وتسدل الستارة.

ريغوليتو

Rigoletto

للمؤلف جوسيبي فيردي

كتب نصها، المبني على دراما فيكتور هوغو «الملك يتسلى»

فرانشيسكو ماريا بياڤيه

الشخصيات

دوق مانتوا	تينور
بورسا ، أحد أفراد الحاشية	تينور
الكونتيسة تشيبرانو	ميتسو ـ سوبرانو
ريغوليتو ، مهرج الدوق الأحدب	باريتون
الكونت تشيبرانو ، أحد النبلاء	باص
مارولو ، أحد أفراد الحاشية	باريتون
كونت مونتيروني ، احد النبلاء	باريتون
سبارافوتشيل ، قاتل محترف	باص
غيلدا ، ابنة ريغوليتو	سوبرانو
جيوفانا ، مربية غيلدا	ميتسو ـ سوبرانو
غلام	سوبرانو

حاجب باريتون

مادالينا ، أخت سبارافوتشيل كونترالتو

أفراد الحاشية ، سيدات وسادة القصر ، خدم

المكان : مانتوا ، إيطاليا

الزمن القرن السادس عشر

التقديم الأول : تياترو لافينيس ، فينيسيا ، ١١ آذار عام ١٨٥١

اللغة الأصلية : الإيطالية

تأثر فيردي تأثراً كبيراً بـ دراما فيكتور هوغو التي تدور حول المكيدة والخيانة والثأر في بلاط فرانسوا الأول ملك فرنسا ، ورأى أنها تصلح لحبكة أوبرالية. وحين طلب منه «تياترو لا فينيس» كتابة أوبرا أصر على الـ ليبريتو الذي كتبه بيافيه والمبني على تلك المسرحية. وعلى الرغم من تغيير عنوانها ، الذي يثير الشك نوعاً ما ، من «الملك يتسلى» إلى «اللعنة» ، إلا أنه لاقى معارضة الرقيب. وبسبب الاضطراب السياسي في تلك الفترة فقد رأت السلطات أنه من غير الحكمة تقديم قصة عن الانحطاط الملكي. وهكذا جرى تغيير مكان الحدث إلى قصر دون مانتوا ، وهو نبيل إيطالي صغير الشأن ، كذلك جرى تغيير العنوان إلى ريغوليتو. وقد رضي فيردي بذلك ، وكذلك السلطات الإيطالية.

ألف فيردي الأوبرا في ستة أسابيع ، ونجح عرضها نجاحاً باهراً.

الثمية الأولى التي نسمعها في المقدمة القصيرة هي ثيمة اللعنة التي أوقعها كونت مونتيروني على ريغوليتو. وسرعان ما تفسح هذه الموسيقا الكئيبة الطريق أمام لحن إيقاعي يسمع أثناء رفع الستارة.

الفصل الأول

المشهد الأول: قاعة رقص متألقة في قصر دوق مانتوا. ثمة فرسان مع سيداتهم، بعضهم يرقص. يدخل الدوق وهو يتحدث مع بورسا. إنه يحدثه عن فتاة جميلة لاحظها في القداس قبل ثلاثة شهور. وقد علم أنها تعيش في منطقة نائية من البلدة، وأن شخصاً غريباً يدخل منزلها كل ليلة. عندئذٍ يتحول اهتمام الدوق إلى السيدات في القاعة ويعلن أن زوجة الكونت تشيبرانو هي الأجمل بينهن. ينبهه بورسا إلى أن يسمع ذلك تشيبرانو فيحذر السيدة المعنية من عينه الزائغة. يجيبه الدوق أن ذلك سيكون مدعاة للأسف. وفي آريا رشيقة خالية من الهم (Questa O quella) يجمل الدوق فلسفته الساخرة حول النساء. ليس للإخلاص جاذبية عند العاشق الحقيقي الذي ينشد الحرية في الانتقال من امرأة إلى أخرى. إنه يحتقر روح الغيرة عند الزوج، ويزدري غضب العاشق.

يبدأ الضيوف الآن الرقص على أنغام المينويت، ويقود الدوق بأناقة الكونتيسة شيبرانو لتكون شريكته في الرقص. ومما يزيد قلقها مضيه في خلق عاطفة متقدة، ثم يرافقها إلى خارج القاعة أمام عيني تشيبرانو. يسخر ريغوليتو، الذي دخل تواً والذي لاحظ خروج الدوق، من غضب تشيبرانو ومن ارتباكه. يخرج الكونت من القاعة للحاق بالدوق وينضم ريغوليتو إلى أفراد الحاشية الذين يصيحون بمكر مرح مندهشين من سخريته من شيبرانو. يبتعد المهرج باضطراب، في حين تضج الحاشية بالضحك. ثمة إنترلود قصير يُعزف أثناء انضمام الضيوف لرقصة الـ بيرجوردان، رقصة البلاط الفخمة.

فجأة تتغير الموسيقا متحولة إلى اللازمة النشطة التي سُمعت في بداية المشهد. يدخل مارولو بسرعة ويخبر أفراد الحاشية بأن ريغوليتو قد صمم على لعب دور

العاشق، فهو قد اتخذ حبيبة شابة. وفي تلك اللحظة يعود الدوق للظهور يتبعه ريغوليتو. يطلب الدوق من ريغوليتو أن يدله على طريقة يتخلص بها من تشيبرانو لأن الكونتيسة ملكت قلبه. يقترح المهرج على الدوق أن يتخلص من الكونت إما باعتقاله وإما بقطع رأسه.

يسمع تشيبرانو الحديث مصادفة ويصيح بغضب. يستمر ريغوليتو بتعذيب تشيبرانو إلى أن يهدده تشيبرانو بالسيف. لكن ريغوليتو يتبجح قائلاً بأنه ليس ثمة أذى يستطيع أن يمسه. تقود هذه العواطف المتنوعة إلى كورس دراماتيكي حين يضم أفراد الحاشية أصواتهم ليغنُّو (Vendetta del pazzo!). إنهم يهاجمون ريغوليتو معلنين أنهم لن يتسامحوا مع سخرياته الشريرة. يكرر ريغوليتو القول بأنه في مأمن من انتقامهم. يتغير مزاج الموسيقا حين يتجمع الراقصون. وتتغنى المجموعة بالمرح والقصف اللذين سادا الليلة. وحين ينتهي غناء الكورس، يسمع من بعيد صوت الكونت مونتيروني يطلب إذناً بالدخول. يدخل الكونت وهو يهتف غاضباً متهماً الدوق باغتصاب ابنته. وحين يلاحقه ريغوليتو بسخرياته يستشيط غضباً ويتحدى الدوق قائلاً بأن لعناته سوف تلازم المخادع، ويسأل الله أن يأخذ بثأره. يأمر الدوق باعتقال الكونت. يندفع الكونت نحو ريغوليتو ويقول «لتنزل عليك اللعنة، أنت الذي يضحك من آلام الوالد». يتراجع ريغوليتو وقد امتلأ رعباً. تلوم المجموعة مونتيروني لأنه أفسد الاحتفال وتطلب منه المغادرة. يكرر مونتيروني لعنته، بينما يعلو صوت ريغوليتو منذراً بكارثة. يُخرج الحراس الكونت، ويخرج الجميع من القاعة، وتسدل الستارة.

المشهد الثاني: شارع مهجور قرب منزل ريغوليتو. بجانب المنزل فناء مسوَّر له باب يقود إليه. ثمة شجرة في الفناء. وفوق الحائط ترتفع شرفة المنزل، في الجانب الآخر من الشارع ثمة حائط عالٍ، وخلفه يلوح منزل تشيبرانو.

يظهر ريغوليتو في الشارع متلفعاً بعباءة طويلة. تعزف الأوركسترا أكوردات مشؤومة حين يتذكر ريغوليتو لعنة مونتيروني ـ (Quel vecchio maledivami). يدنو منه سبارافوتشيل ويعرّفه بنفسه بوصفه رجلاً يستطيع التخلص من أي عدو أو منافس. ثم يضيف بخطورة وهو يومئ برأسه نحو منزل ريغوليتو «لديك امرأة...». يسأله ريغوليتو بلهفة، وقد انتابه خوف يتعلق بـ غيلدا، ما هو السعر الذي تطلبه لقاء قتل أحد النبلاء؟ يجيبه سبارافوتشيل، يمكن المساومة عليه، على كل حال ينبغي دفع نصف المبلغ مقدماً. ويمضي القاتل المأجور قائلاً إنه بمساعدة أخته الجميلة يستدرج ضحاياه إلى حانته في ضواحي البلدة وهناك يقتلهم بهدوء. ويخبر ريغوليتو بأنه يمكنه أن يجده في هذا المكان ليلاً. ثم يبتعد مدمدماً اسمه.

يحدق ريغوليتو إليه وهو يبتعد، ويغني مناجياً نفسه (Pari Siamo). «نحن متماثلان ـ المجرم وأنا، هو يقتل بالسكين ليلاً، وأنا أقتل بلساني السليط نهاراً». وفي يأس يشجب المهرج تلك الطبيعة، ففي نزوتها الوحشية خلقته إنساناً مشوهاً بشعاً (O Vomini ! O natural). عندئذٍ امتلأ قلبه بغضاً وإزدراء للحاشية، وأخيراً نفض عن كاهله هذه الأفكار المعذّبة ودخل فناء الدار.

تغدو الموسيقا أكثر حيوية حين تندفع غيلدا إلى الخارج وتعانق أباها. وبعد أن يرحب أحدهما بالآخر(Figlia! Mio Padre) يمتزج صوتاهما في حديث منغم طويل. تناشده غليدا أن يخبرها عن سر الحزن الذي بدأ يلقي بظله على حياتهما. ولكي يتملص من الجواب، يسألها إن كانت قد غادرت المنزل في هذا اليوم. وحين تجيبه بأنها ذهبت لحضور القداس فقط، تعود إليه طمأنينته.

تطلب غيلدا من ريغوليتو أن يحدثها عن أمها. ونزولاً عند رغبتها يخبرها، في مقطع مؤثر، أن أمها ماتت منذ عهد بعيد (Deh non Parlare al misero).

والآن، هما وحيدان محاطان بالأعداء ومهددان بلعنة غريبة. ويمتزج صوتاهما في قمة مؤثرة حين يعبران عن حزنهما على الماضي، ويتعهد كل منهما بتكريس نفسه للآخر.

بعد ذلك تسأله غيلدا لم لا يسمح لها بالذهاب إلى المدينة؟ يهتاج ريغوليتو ويتساءل عما إذا كانت قد تجرأت على الذهاب أبعد من المنطقة المجاورة. لكن غيلدا تهدئه وتبدد مخاوفه، لكنها تستشعر وخز الضمير وهي تفكر بالغريب الوسيم الذي شاهدته في الكنيسة. يحذرها والدها من مغادرة المنزل، ويطلب من المربية جيوفانا أن تحرسها جيداً.

يخرج ريغوليتو من باب الفناء ويراقب الشارع بحذر. وبينما هو يفعل ذلك، ينسلُّ الدوق، متنكراً بزي طالب، من وراء المهرج ويدخل الفناء عبر الباب دون أن يلحظه أحد. وقبل أن يعاود ريغوليتو الدخول، يرمي الدوق كيساً من النقود إلى جيوفانا ويومئ إليها لكي تظل هادئة ثم يختبئ خلف الشجرة. لكنه يُصعق حين يخاطب ريغوليتو غيلدا بصفتها ابنته. وبعبارات مؤثرة يودع ريغوليتو ابنته. وبعد خروج ريغوليتو تستغرق غيلدا في التفكير حول الوسيم المجهول الذي نال إعجابها، وأثناء غنائها يدخل الدوق ويشير إلى جيوفانا بالخروج، ثم يركع أمام غيلدا معلناً حبه في عبارة تكمل غيلدا جملتها.

يقود هذا إلى ثنائي غنائي ملتهب يصرح فيه الاثنان عن حبهما. تسأله غيلدا عن اسمه، فيجيبها الدوق «والتر مالديه»، طالب متواضع. في هذه الأثناء يُشاهد الكونت تشيبرانو وبورسا وهما يقتربان من المنزل. وحين يتأكد الاثنان من أنه منزل ريغوليتو ينسحبان. تندفع جيوفانا وتقول بأنها سمعت وقع أقدام، فتطلب منها غيلدا أن تقود الدوق إلى الخارج عبر المنزل، ويودع الاثنان بعضهما بحنان.

تحدق إليه غيلدا وهو يغادر وتكرر بنشوة الاسم الذي ذكره أمامها «Walter Maldê». ثم تشرع بغناء الآريا الشهيرة (Caro nomeche il mio cor) تعبر بها عن حبها الذي أُوقِظ للتو. وعند إنتهاء الآريا تذهب غيلدا إلى الشرفة حاملة مشكاة لتضيء بها درب حبيبها. وبنعومة تكرر عدة عبارات من آريتها، ويتلاشى صوتها حينما تدخل إلى المنزل.

في تلك الأثناء يواجه تشيبرانو ومارولو وبورسا وآخرون من أفراد الحاشية ريغوليتو وهو عائد إلى منزله. إنه لا يتبينهم في الشارع المظلم. يكشف مارولو عن هويته ثم يقول جئنا لاختطاف زوجة تشيبرانو. يوافق ريغوليتو على أن ينضمّ إليهم ويرضى أن يقنِّع نفسه كالآخرين. يضع مارولو قناعاً على عيني ريغوليتو ويربط فوقه منديلاً حتى لا يتمكن من رؤية شيء. يقوده المتآمرون نحو منزله قائلين بأنهم ذاهبون باتجاه منزل تشيبرانو.

وحين يدخلون عنوة منزل ريغوليتو يغنون (Zitti, zitti, moviamo a vendetta) ابتهاجاً بخداعهم ريغوليتو. وعند انتهاء الغناء يظهر رجال الحاشية وهم يحملون غيلدا مقيدة ومكممة. الآن يتناهى من بعيد صوت غيلدا يطلب النجدة، ثم صيحة انتصار يطلقها المتآمرون.

ينزع ريغوليتو العصابة والقناع ويرى في ضوء المشكاة وشاح غيلدا. يندفع كالمجنون إلى داخل المنزل، ثم يظهر من جديد جارّاً جيوفانا المذهولة. وخلال لحظة لا يقوى على الكلام، ثم ينفجر أسى ولوعة (Ah ! La maledizione) «اللعنة»، ثم ينهار وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

غرفة مجاورة لحجرات نوم الدوق في القصر*. يدخل الدوق، وفي مناجاة مهتاجة يكشف أنه عاد إلى منزل غيلدا ليجد الباب مغلقاً والدار مقفرة. وفي آريا قصيرة يصرح الدوق أنه يتوق بإخلاص إلى غيلدا (Parmi Veder le lagrime). يقاطع تأمله الرقيق دخول أفراد الحاشية وهم يغنون في كورس حيوي (Scorrendo uniti remota via). إنهم يعلمونه أنهم نجحوا في اختطاف عذراء ريغوليتو. وحين يبوحون بأنهم أحضروا معهم الفتاة، يغني الدوق بتوهج فرحه المتوقع برؤية حبيبته ثانية. وفي نهاية المقطع يهرع خارجاً من الغرفة، تاركاً الحاشية مندهشة من تصرفه الغريب.

من الخلف يأتي صوت ريغوليتو. ولدى دخوله يسخر منه رجال الحاشية مرددين صباح الخير. يبحث ريغوليتو بمكر عن آثار لوجود ابنته خافياً قلقه بغنائه لنفسه وهو يعرج. يختلس ريغوليتو نظرة إلى منديل ملقى على البلاط خارج الغرفة، يلتقطه ويتفحصه مدمدماً أنه ليس لـ غيلدا.

وحين يسأل ريغوليتو عن الدوق تجيبه الحاشية بأنه مازال نائماً. وبطريقة مماثلة يجيبون خادم دوقة مانتوا الذي دخل تواً. وقد أثار هذا شكوك ريغوليتو فيصيح مواجهاً الحاشية أن الفتاة في الحجرة مع الدوق ويطلب من الحاشية إعادة ابنته إليه. «ابنته!» يهتف رجال الحاشية مندهشين. وحين يندفع ريغوليتو نحو باب الحجرة تعترض الحاشية طريقه. وفي هذه اللحظة يغني ريغوليتو آريا دراماتيكية مؤثرة (Cortigiani, vil ra zza dannata). شاجباً غدر رجال الحاشية وخيانتهم. ومرة ثانية يحاول اقتحام حجرة الدوق صارخاً «افتحوا الباب أيها القتلة»، ثم يتوسل أن يعيدوا له طفلته. وتنتهي الآريا العظيمة بطلب الرحمة «Pietà signori!».

* الفصل الثالث حين تقدم الأوبرا بأربعة فصول.

وفي حين يتطلع رجال الحاشية إلى المهرج بازدراء ينفتح باب الحجرة فجأة وتخرج غيلدا مسرعة وترتمي بين ذراعي والدها. يستقبلها ريغوليتو بحبور، ثم يلحظ دموعها. تهمس غيلدا قائلة «أنا عار عليك ياأبت». وحين يتراجع ريغوليتو برعب تتوسل إليه أن يسترعارها. يلتفت ريغوليتو نحو الحاشية ويأمرها بالخروج. ثمة نغمة واحدة تتكرر في الأوركسترا مشددة على كلماته.

يتهاوى ريغوليتو على كرسي ويأمر ابنته أن تتكلم. وفي آريا قصيرة (Tutte le feste al tempio) تعترف بلقاء محبوبها الشاب، ثم تخبره كيف انتزعت من منزلها وأحضرت إلى القصر. يرتجف ريغوليتو رعباً. وفي ثنائي غنائي يحاول كل منهما مواساة الآخر. يصرح ريغوليتو بأنه ينبغي عليهما ترك القصر تواً. وفي تلك اللحظة يعبر مونتيروني الغرفة وحوله الحراس يقتادونه إلى السجن. لكنه يتوقف بصورة دراماتيكية تجاه صورة الدوق ويقول بأن لعنته ذهبت هباء لأن الدوق ما زال ينعم في آثامه. وحين يجبره الحراس على متابعة السير يصيح ريغوليتو خلفه قائلاً بأن الثأر لن يتأخر. يحدق ريغوليتو إلى صورة الدوق ويقسم على الانتقام، في حين تصلي غيلدا لتصبح قادرة على حماية الإنسان الذي أحبته. يمتزج صوتاهما في ثنائي مرتعش. وحين يغادر الاثنان الغرفة تسدل الستارة.

الفصل الثالث

حانة سبارافوتشيل في ضاحية من ضواحي مانتوا*. يرى في الخلفية نهر مونتشيو. يجلس سبارافوتشيل إلى طاولة داخل الحانة ينظف حزاماً جلدياً. يقف ريغوليتو وابنته في الطريق يتحدثان باضطراب.

* الفصل الرابع حين تقدم الأوبرا بأربعة فصول.

يسأل المهرج ابنته إن كانت ما تزال تحب الدوق، تجيبه «نعم»، إذ ذاك يطلب منها أن تنظر داخل الحانة عبر فتحة في الجدار. في تلك اللحظة ينادي الدوق، وقد ارتدى لباس جندي، طالباً بعض النبيذ. وبينما ينتظر تلبية طلبه يغني آريا لامعة (La donna è mobile) تصوره كزير نساء مرح. إنه يغني قائلاً بأن عواطف المرأة متقلبة كالنسيم.

يدخل سبارافوتشيل ويضع إبريقاً من النبيذ وكؤوساً على الطاولة ثم يقرع السقف بمقبض سيفه. بعد تلك الإشارة تنزل ما دالينا من الغرفة العليا. يحاول الدوق معانقتها لكنها تبعده عنها. يخرج سبارافوتشيل ويسأل ريغوليتو إن كان ينبغي عليه قتل الضحية في الحال أم بعد حين. يطلب منه ريغوليتو انتظار التعليمات. يبتعد سبارافوتشيل باتجاه النهر .

عندئذٍ يبدأ رباعي ريغوليتو العظيم (Un di, se ben rammentomi)، الدوق داخل الحانة يتودَّد إلى مادالينا التي تستجيب له بخفر، في الخارج غيلدا وريغوليتو يعبران عن ذلهما وغضبهما. إن العواطف المتصارعة مندمجة بمهارة لتصل بالرباعي إلى قمة رائعة.

يطلب ريغوليتو من غيلدا أن ترتدي ثياب غلام وتنطلق إلى فيرونا حيث سيلقاها هناك. وحين تغادر يعود سبارافوتشيل للظهور. يدفع ريغوليتو للقاتل المأجور سبارافوتشيل نصف الأجر، ثم يخبره بأنه سيعود في منتصف الليل لحمل الجثة إلى النهر. من بعيد يسمع قصف الرعد، وخلف المشهد دوي الكورس منذراً بهبوب العاصفة.

حين يدخل سبارافوتشيل ثانية إلى الحانة يعلمه الدوق بأنه قرر قضاء الليل بطوله في الحانة. يقدم سبارافوتشيل غرفته للدوق ثم يقوده إلى الأعلى. وحين يعود تحاول مادالينا، التي وقعت تحت تأثير الدوق، إقناع شقيقها بألا يقتله.

وأثناء مجادلتهما تظهر غيلدا وقد ارتدت ملابس رجل. إنها تغني حبها للدوق الذي دفعها إلى هنا على الرغم من أوامر والدها بالرحيل، ثم تمعن النظر داخل الحانة.

تغني مادالينا قائلة بأنها تعبد الدوق ولا تستطيع أن تدعه يموت. وجواباً على ذلك يقذفها سبارافوتشيل بكيس كبير آمراً إياها أن ترتقه ليضع فيه جسد الضحية. تقترح عليه مادلينا أن يقتل ريغوليتو بدلاً من الدوق حين يعود الأحدب لدفع بقية الأجر. ترتجف غيلدا من الرعب لدى سماعها ذلك.

وأخيراً يوافق سبارافوتشيل على أن يقتل، بدلاً من الدوق، أول شخص يصل إلى الحانة قبل منتصف الليل. يتبع ذلك ثلاثي قصير لكنه دراماتيكي. تصلي غيلدا طالبة العون؛ تهلل مادالينا لأن خطتها ستنجح؛ يكرر سبارافوتشيل عبارات التسوية التي توصل إليها مع شقيقته. تغدو العاصفة أعنف. أزفت الساعة. تقرع غيلدا، التي قررت التضحية بنفسها بدلاً من الدوق، باب الحانة. وحين يرد سبارافوتشيل تخبره بأنها غريب ضل طريقه. تدخل غيلدا فينقض عليها سبارافوتشيل ويطعنها بخنجره.

ثمة فاصل موسيقي يصور العاصفة وقد وصلت إلى ذروة غاضبة، ثم تخمد ببطء. وحين تتلاشى أصوات العاصفة يصل ريغوليتو معتقداً بأن ساعة الانتقام أزفت أخيراً. تعلن الساعة منتصف الليل حين يدق باب الحانة. يرد سبارافوتشيل، ثم يدحرج الكيس الذي يحتوي جسد غيلدا. يدفع له ريغوليتو بقية الأجر ويحمل الكيس قاصداً النهر. وفجأة يتناهى إلى سمعه غناء الدوق الذي يردد مقطع (La donna è mobile). يصغي إلى الصوت وكأنه منوم مغناطيسياً، وحين يتلاشى صوت الدوق يفتح ريغوليتو الكيس ليجد فيه جسد طفلته.

تخبر غيلدا، وهي في النزع الأخير، والدها بأنها ضحت بحياتها في سبيل الإنسان الذي أحبته. يمتزج صوتها بصوت والدها في ثنائي الوداع، ثم تموت بين ذراعي والدها. ينشج المهرج مردداً «طفلتي غيلدا! ميتة!». وفي نوبة يأس ينفجر هاتفاً (Ah ! La maledizione!). ينهار ريغوليتو على جسد ابنته، في حين يتردد صدى ثيمة اللعنة في عنف. وتسدل الستارة.

خاتم النيبيلونغ

Der Ring des Nibelungen,

أربع أوبرات (درامات موسيقية) للمؤلف ريتشارد فاغنر

وضع نصها، المبني على أساطير جرمانية واسكندنافية وإيسلندية، خصوصاً ساغا النيبيلونغن، المؤلف نفسه.

ـ ذهب الراين Das Rheingold

ـ الفالكوره Die Walküre

ـ زيغفريد Siegfried

ـ غروب الآلهة Die Götterdämmerung

ذهب الراين

Das Rheingold

الشخصيات

فوغليندة فيلغونده فلوسهيلده	عذراوات الراين............	سوبرانو سوبرانو ميتسو ـ سوبرانو
ألبريش ،	ملك النيبيلونغ...............	باص
فريكا ،	زوجة فوتان	ميتسو ـ سوبرانو
فوتان ،	حاكم الآلهة	باص ـ باريتون
فرايا ،	أخت فريكا ، إلهة الشباب والجمال	سوبرانو
فاسولت فافنر	عملاقان	باص باص
فروه دونر ، إله الرعد	شقيقا فرايا	تينور باريتون
لوغا ،	إله النـــار	تينور
ميمه ،	شقيق ألبريش	تينور
إيردا ،	إلهة الأرض	ميتسو ـ سوبرانو

المكان: ألمانيا الأسطورية

الزمان: العصور القديمة

التقديم الأول: ميونيخ، ٢٢ أيلول عام ١٨٦٩

اللغة الأصلية: الألمانية

بدأ فاغنر العمل في كتابة قصيدة خاتم النيبيلونغ النثرية عام ١٨٤٨، مع كتابة موت زيغفريد، التي تجسد جوهر الدراما، ولكنه بعد إكمالها أدرك أنها تتطلب تفسيراً تمهيدياً، ولذلك كتب «شباب زيغفريد». وعندما رأى أنه من الضروري التمهيد لهذه القصيدة بمادة تفسيرية كتب الفالكيري ثم ذهب الراين. وأصبح موت زيغفريد غروب الآلهة.

أكمل فاغنر قصيدة الخاتم عام ١٨٥٢، وفي عام ١٨٥٣ بدأ بتأليف موسيقا ذهب الراين، التي صممها لتكون تمهيداً للدراما. وفي عام ١٨٧٢ اكتملت مدونة الخاتم الموسيقية. وقُدمت سلسلة خاتم النيبيلونغ كاملة في بايروت في شهر أب عام ١٨٧٦.

يتميز استهلال ذهب الراين بأنه غير عادي، وذلك لأنه يتواصل على مدى ١٣٥ ميزور دون تغيير في المفتاح. ومن المرجح أن فاغنر فعل ذلك ليرمز إلى السكون وإلى أعماق الراين الهادئة وإلى الحالة الأصلية للخلق في وقت بدء الدراما. إن هذا المقطع المدهش يتضمن ما يمكن أن نعده اللاتيموتيف الأول أو اللحن الدال الأول لـ دراما الخاتم. ومع أنه لا يظهر ثانية في شكله الأصلي، فإن عدداً من الألحان الدالة تتشكل من عنصره الهارموني ـ ذلك هو كورد الماجور الكامل. ووسط تلك الألحان الدالة التي سيتم التعرف إليها ثمة موتيفات لعذراوات الراين والذهب وإلاهات القدر وهلاك الآلهة وقوس القزح والسيف وانطلاق الفالكورات ونوم برونهيلده. ويبدو اللحن الدال الأول في ذهب الراين قوياً واضحاً

في نهاية غروب الآلهة، عندما تبتلع مياه الراين في النهاية الخاتم. إن الكورد البسيط والقوي الذي يسيطر على الموسيقا يرمز إلى العودة إلى حالة الخلق البدائية.

وبسبب اتساع حبكة الخاتم وتعقيدها هناك عدد لا يحصى من الألحان الدالة التي ترمز إلى الشخصيات وإلى الأوضاع الدراماتيكية. إن اللحن الدال كما عالجه فاغنر ليس مجرد محاكاة موسيقية للأصوات المميزة، مثل عدو الأفراس وصوت الضحك أو زمجرة الريح، بل هو يعبر موسيقياً عن العوامل السيكولوجية لوضع دراماتيكي إلى جانب الميزات المطابقة لفرد ما. إن اللحن الدال لا يُسمع فقط عند ظهور الشخصية في المشهد، بل يسمع أيضاً عندما تُربط الشخصية بوضع دراماتيكي محدد. فمثلاً، عندما تُعنِّف فريكا (في الفصل الثاني من الفالكيري) فوتان لتركه زيغموند يسرق زوجة هوندينغ، نسمع الألحان الدالة على أشخاص أو أشياء أثناء ذكرهم في المحادثة ــ هوندينغ، سيف، خاتم، حب، ربيع، معاهدة.

المشهد الأول

قاع نهر الراين الصخري. في أعماق النهر الزرقاء الضاربة إلى الخضرة تسبح عذراوات الراين ويلعبن. وبينما هن ينزلقن جيئة وذهاباً يظهر من بين الظلال أسفل الصخور ألبريش، وهو قزم ذو خلقة شيطانية مشوهة، ويبدأ بالارتفاع نحو الأعلى محدقاً بافتنان بحوريات الماء. إن جمالهن يحرك عواطفه الجامحة، فيحاول على نحو أخرق الايقاع بهن وإمساكهن، لكنهن يكتفين بالضحك من محاولاته. يلعنهن القزم بغضب عندما يتملصن منه.

فجأة يتوهج ضوء مصفّر في قمة واحدة من الصخور الكبيرة، وتحيي عذراوات الراين ذهب الراين وهن يسبحن حوله. إنهن يغنين بأن والدهن، الذي

فرض عليهن واجب حماية الكنز، أخبرهن أن الخاتم الذي يصاغ منه سيجعل مالكه سيد العالم أجمع. ولكن الوحيد المستعد لإنكار الحب إلى الأبد هو الذي يستطيع أن يصوغ هذا الخاتم.

يحدق ألبريش إلى الذهب وهو ينصت كأنه في حلم، ثم يتسلق ببطء قمة الصخرة. وعندما يصل إلى القمة يصيح بأنه ينكر الحب، ثم ينتزع الذهب من الصخرة ويتشبث به ثم يختفي، في حين تتعقبه عذراوات الراين صائحات بغضب. تتقلص المياه عندما تلف الظلمة المشهد، ويبدأ ضباب كثيف بالتشكل. وعندما يصفو الجو وتتألق خشبة المسرح من جديد تغدو قمة الجبل واضحة. وإلى جانب صخور منبسطة ينام فوتان وفريكا.

المشهد الثاني

ضوء الصباح. في الخلف تلتمع قلعة الفالهالا بيت الآلهة المشيَّد حديثاً وسط سهل الراين. يستيقظ فوتان وفريكا بينما تعزف الأوركسترا موتيف الفالهالا الجليل. يتأمل فوتان القلعة بفخر ويعلن أن دار الآلهة التي شيَّدها العملاقان فاسولت وفافنر قد اكتملت أخيراً. تذكّره فريكا بأنه قدم إلى العملاقين أختها فرايا مكافأة على بنائهما للقلعة وتؤنبه بمرارة على صفقته البغيضة. وتضيف أن القلعة، بدلاً من أن تشبع شهوته للقوة والمجد، تبدو أنها تزيد في شدة رغبته في الترحال وتصميمه على فتح العالم. وعندما تتهمه بأنه أصبح قاسياً عليها لا قلب له، يرد بحسم أن ثمة برهاناً كافياً على إخلاصه، وهو تضحيته بإحدى عينيه لكسبها عروساً له.

في تلك اللحظة تظهر فرايا وتلتمس حمايتها من العملاقين اللذين قدما الآن للمطالبة بأجرهما. يستشيط فوتان غضباً ويقول بأن لوغا مرشده الذكي والماكر في شؤون الدولة ينبغي أن يكون حاضراً لأنه دبر خطة لتخليص فرايا. وعندما يتحداه

العملاقان يعمد الإله لكسب الوقت مقترحاً عليهما طلب مكافأة أخرى. فيذكّرانه في غضب بالعقد الذي كُتب على رمحه المقدس، ويضيفان أن عليه، بصفته رئيس الآلهة، الوفاء بوعده. وعندما يهمّان بأخذ فرايا يندفع أخواها دونر وفروه، ويهدد دونر العملاقين رافعاً مطرقته، لكن فوتان يتدخل ويقف بين الآلهة المتنازعة.

وبمرافقة موسيقا النار السحرية يظهر لوغا. يحاول فوتان المراوغة بشأن الاتفاق الطائش مع العملاقين ويقول لـ لوغا بأنه لم يكن ليبالي بنصيحته لو لم يكن إله النار قد وعده بإيجاد طريقة للتخلص من العقد. يشير لوغا، وقد فوجئ بعض الشيء، إلى أن فاسولت وفافنر قد قاما بمهمتها، والآن من الإنصاف أن يطالبا بأجرهما. ثم يردف أنه طاف في الأرض باحثاً عن كنز ليقدمه لهما بدلاً من فرايا. ثم يضيف أنه لم يجد في أي مكان كنزاً يرغب الرجال من أجله بالتضحية بجنس النساء.

رجل واحد فقط، ألبريش البغيض، أنكر الحب من أجل الذهب، يتابع لوغا. ثم يخبر الآلهة كيف سرق ملك النيبيلونغ كنز الذهب وصاغ منه خاتماً سحرياً. ويضيف لوغا قائلاً إنه وعد عذراوات الراين بنقل التماسهن إلى فوتان لاسترجاع كنزهن. لكن فوتان، الذي انشغلت أفكاره بالخاتم وقوته الرهيبة ينصت بحذر، بينما تنصحه فريكا ومعها دونر وفروه ـ بدفع من لوغا الماكر ـ بسرقة الكنز من ألبريش. وتقول فريكا بازدراء إن عذراوات الراين يستحققن الموت.

يقترح الآن فاسولت وفافنر إلغاء العقد والتخلي عن فرايا إذا وافق فوتان أن يعطيهما كنز ألبريش بدلاً منها. يرفض فوتان بازدراء، وإذ ذاك يقبض العملاقان على فرايا ويحملانها بعيداً.

يصيح لوغا، وهو يراقب الآخرين بأنهم يبدون أمام عينيه وقد ازدادوا ضعفاً وهرماً. ثم يدرك ما حدث. ويخبر فوتان قائلاً بأنه بسبب إبعاد إلهة الشباب

والجمال حُكم على الآلهة بالهرم البشري وبالتعرض للفناء. وينبه إلى أنهم محرومون الآن من التفاحات الذهبية من الشجرة التي تحرسها (فرايا)، تلك التفاحات التي تمنحهم الأبدية. عند ذلك يقرر فوتان النزول إلى عرين ألبريش للبحث عن الكنز ليقدمه فدية لتحرير فرايا.

يتبع فوتان لوغا من خلال فتحة في الصخور ويختفي، بعد أن أمر الآلهة بانتظار عودته. تُظْلِم سحب الدخان المشهد. وتتدفق موسيقا النار السحرية ثم تمهد لبنية إيقاعية، بينما تُسمع ضربات المطارق على سندانات، يومض توهج أحمر من خلال الضباب. وأخيراً يتلاشى الدخان، ويبدو للعيان كهف كئيب. إنه الـ «نيبلهايم» منزل النيبيلونغ العميق في الأرض.

المشهد الثالث

يدخل ألبريش ساحباً ميمه من أذنه شاتماً إياه لأنه لم ينه عمله. وأثناء تعرضه للصفع يُسقط قطعة من المعدن تشبه السلسلة. إنها الخوذة التي تمكن لابسها من الاختفاء. يُسمع في الأوركسترا موتيف الخوذة الغريبة. يقول ميمه لـ ألبريش إنه ينبغي عليه الاحتفاظ بها فترة أطول لأنها لم تنته تماماً، وعندما يتفحصها ألبريش عن كثب يقول أنه لا يوجد فيها عيوب، ثم يتهم ميمه بالتخطيط للاحتفاظ بها لنفسه. ولكي يختبر قدرتها يضعها فوق رأسه فيختفي فوراً، وتظهر سحابة من الدخان مكانه. ينظر ميمه بذهول عندما يسمع صوت ألبريش، ثم يحاول بوحشية تفادي اللطمات غير المنظورة. ونسمع ضحكة ابتهاج وحشية، ثم يتلاشى الصوت حين يذهب ألبريش إلى عبيده في الطرف الآخر من الكهف.

يفاجأ فوتان ولوغا، وهما يسيران في الكهف، بميمه رابضاً في الظلال، ويرفعانه من قدميه. يخبرهما القزم وهو ينشج ألماً ورعباً كيف أن ألبريش صاغ

الخاتم السحري الذي اكتشف بمعونته كنزاً لا حد له في الأرض، وقد أطلق النيبيلونغيين ليقتلعوا كنوز الذهب من أجله، وهو لم يوفر لهم الراحة لا في النهار ولا في الليل، ويخبرهما ميمه أيضاً بقصة الخوذة.

يظهر في تلك اللحظة ألبريش وهو يدفع أمامه مجموعة من النيبيلونغيين المحملين بالذهب يكدسونه في ناحية من نواحي الكهف. أما الخوذة فمعلقة في حزامه. وحين يلمح فوتان ولوغا يدفع بـ ميمه والأقزام إلى الخلف، ويأمرهم باستخراج المزيد من الذهب. يزعقون تحت ضرباته ويختفون.

يحدق ألبريش إلى الإلهين مرتاباً ويسألهما عن سبب قدومهما. فيجيبه فوتان قائلاً: إنهما سمعا عن كنوز ألبريش الرائعة ويودان التحقق من الأمر. ومن خلال التملق يتمكن لوغا من أن يجعل ألبريش يتباهى بالإعلان عن قدرته، بمعونة خاتمة وذهبه، ليس على حكم العالم فقط بل على حكم الآلهة أيضاً. فيسأله لوغا بمكر: ما قيمة هذا الذهب بالنسبة له إذا تمكن أحدهم من سرقة الخاتم وجرده من قوته؟ يجيبه ألبريش قائلاً إنه يستطيع بخوذته ليس فقط الاختفاء بل انتحال أي شكل يريده. وهكذا فإن أي شخص يحاول سرقة الخاتم لن ينجو منه.

يعبر لوغا متعمداً عن شكه في قدرة الخوذة، عندئذٍ يضع ألبريش الخوذة على رأسه فيتحول إلى ثعبان هائل يفح ويتلوى على الأرض أمام الإلهين، فيتظاهران بالرعب. وحين يعود ألبريش إلى طبيعته البشرية، يسأله لوغا عما إذا كان بمقدوره أن يتحول إلى مخلوق صغير وإلى مخلوق كبير أيضاً ـ مثلاً إلى ضفدع. فيختفي ألبريش مرة أخرى، ويرى الإلهان ضفدعاً صغيراً يزحف قرب صخرة.

وعلى الفور يضع فوتان قدمه فوق المخلوق، بينما ينتزع لوغا الخوذة. يعود ألبريش إلى طبيعته وهو يلعن ويقاوم تحت قدم فوتان. يقيّده الإلهان بإحكام

ويجرانه إلى خارج الكهف. يُظلم المشهد، وتتوهج النيران من خلال الدخان المتماوج، وتُسمع مرة ثانية أصوات المطارق. وإثر ضربة إيقاعية متميزة يحل موتيف الفالهالا، بينما يتلاشى الدخان ويغدو المشهد أكثر تألقاً. ومرة ثانية نرى ذروة الجبل قرب الفالهالا، لكن الضباب الكثيف يخفي القلعة في الخلفية.

المشهد الرابع

يدخل فوتان ولوغا وهما يجران ألبريش إلى ممر في الصخور، ذلك الممر الذي نزلا منه إلى الـ نيبلهايم. يصب القزم لعناته وهو في سورة غضب يائسة، بينما يوبخه لوغا بسخرية ودون شفقة. يخبره فوتان أنه يستطيع شراء حريته بما اكتنزه من ذهب. فيدمدم ألبريش أنه ما دام يحتفظ بالخاتم فإن بمقدوره تجديد كنوزه ساعة يشاء، وهكذا فالثمن الذي سيدفعه من أجل حريته ليس غالياً. يطلب ألبريش من لوغا حل وثاق يده اليمنى، ثم يرفع الخاتم إلى شفتيه ويطلق تعويذة تجلب عبيده من الأعماق ومعهم الكنز. عند ذلك يعلن الإلهان أنهما سيحتفظان بالخوذة جزءاً من الفدية. وعندما يقذف لوغا الخوذة إلى كومة الذهب يصيح ألبريش أنهما وغدان جشعان، ثم يقول بينه وبين نفسه، مع ذلك يستطيع أن يجبر ميمه على صنع واحدة أخرى.

يسأل لوغا فوتان عما إذا كان بإمكانه الآن أن يحرر الأسير. فيشير فوتان إلى الخاتم مطالباً به كبند أخير للفدية. فيحتج ألبريش باهتياج متهماً فوتان بالغدر وبعدم احترامه لشروط الاتفاقية. ويضيف ألبريش أن كل من يسلبه الخاتم سيكون ملعوناً إلى الأبد. يسخر فوتان من تحذير ألبريش وينتزع الخاتم من إصبع ألبريش ويضعه في إصبعه ويحدق إليه في انتصار.

يطلب فوتان من لوغا تحرير ألبريش. يطلق ألبريش، وهو يترنح، لعنته الرهيبة، لتصاحب هذا الخاتم اللعنة، وليجلب الألم والموت لكل من يملكه. ثم يقول لـ فوتان محذراً بأنه سوف لن ينجو من لعنة الخاتم، ثم يختفي. يعلّق لوغا بسخرية على «بركة» ألبريش، بينما يحدّق إلى الخاتم وكأنه مُنوَّم.

فجأة يهتف لوغا قائلاً إن فاسولت وفافنر قد وصلا ومعهما فرايا. وفي تلك اللحظة يدخل دونر وفروه وفريكا، فيريهم لوغا بفخر مكنوز الذهب. يواجه العملاقان فوتان الذي يخبرهما بأن الفدية جاهزة. يغرز العملاقان عصويهما في الأرض على كل جانب من فرايا كقياس لطولها وعرضها، ويطلبان من الإلهين تكديس الذهب حتى تحتجب عن أنظارهما. وعندما يتكدس كل الذهب أمامها، يقول فافنر بأنه مازال يستطيع رؤية شعر فرايا ويطلب أن يلقى بالخوذة إلى أعلى الكومة، فيمتثل الإلهان بتجهم لطلبه. لكن فاسولت يهتف قائلاً، وهو يتفحص كومة الذهب، بأنه لن يتخلى عن فرايا مادام يستطيع أن يرى عينيها من خلال فتحة صغيرة مازالت غير مملوءة، ويضيف أن الخاتم في إصبع فوتان سوف يسد الثغرة ويحجب فرايا تماماً عن النظر. وعندما يعترض فوتان بشدة على تقديم الخاتم، يسحب فاسولت فرايا من بين العصوين ويأخذها بعيداً.

وبينما يتوسل الآلهة إلى فوتان يبدأ ضوء بالتوهج من صدع في الأرض، ثم تصعد إيردا إلهة الأرض إلى الأعلى. وبنبرة منذرة بالسوء تغني بأنها إلهة المعرفة التي تعلم كل ما حدث وكل ما سيحدث «Weiche, Wotan, weiche» إن فوتان، من خلال بناتها الثلاث «الإلاهات القدر الثلاث» اللواتي ينسجن شبكة القدر، اكتسب حكمته. لكنها قدِمت بنفسها لتنبهه إلى أن الآلهة مشؤومون ويتوجب عليه التخلي عن الخاتم. وببطء تختفي إيردا في جوف الأرض.

فجأة يرفع فوتان رمحه ويأمر العملاقين بتحرير فرايا، ثم يرمي الخاتم على قمة الذهب. تعانق الآلهة فرايا المحررة بفرح. وفي اللحظة التالية يبدأ العملاقان بالتقاتل فيما بينهما حول اقتسام الغنائم. ينصح لوغا بمكر فاسولت بأخذ الخاتم وترك بقية الكنز لفافنر. ينتزع فاسولت الخاتم وإذا ذاك يقتله فافنر بضربة من هراوته وينتزع الخاتم من قبضته. تصرخ الآلهة رعباً بينما يقول فوتان متأملاً إن اللعنة بدأت الآن عملها. ثم يقرر الذهاب إلى إيردا من أجل المشورة.

تحث فريكا زوجها، وقد لاحظت اضطرابه، على العودة إلى القلعة حيث يستطيع أن يجد الراحة من همومه. يأمر فوتان دونر بتبديد الضباب الذي مازال يخفي القلعة. يستدعي دونر عاصفة رعدية، ويدعو فروه لمساعدته، ثم يختفي الإثنان في دوامة السحب. أثناء ذلك يجر فافنر جثة فاسولت والكيس الذي يحتوي على الكنز. تسمع من بعيد ضربات مطرقة دونر القوية، البروق وقصف الرعود. وعندما تحوم ثيمة قوس القزح في الأوركسترا، تزول السحب كاشفة عن جسر قزحي متألق يتقوس من القلعة عبر الوادي إلى أقدام الآلهة. وعلى مرافقة موتيف الفالهالا يعلن فوتان أن الحصن المتألق سوف يدعى الفالهالا «Abendlich strahlt». ويلتقط السيف الذي خلفه فافنر وراءه وهو يجر الكنز، ويشير به نحو الفالهالا، في حين تسمع ثيمة السيف وهي تدوي، ويأمر الآلهة أن يتبعوه إلى مقرهم الواسع. ويداً بيد مع فريكا يبدأ عبور الجسر. ويبقى لوغا في الخلف معلقاً بسخرية على اعتقاد الآلهة بأنهم آمنون في بيتهم الجديد. ويقول متأملاً بأنه ربما من الأجدر أن يذهب في طريقه بدلاً من الانضمام إلى الآلهة في فردوسهم المزعوم. إنه سوف يفكر في الأمر، ثم يقرر اللحاق بالآلهة. يأتي من الأسفل نواح عذراوات الراين المؤثر، إنهن يندبن ضياع ذهبهن، ينظر فوتان باضطراب إلى الأسفل ويطلب من لوغا أن يهّدئهن. وعندما يوبخ عذراوات الراين بنبرات ساخرة، يضحك الآلهة وهم يتابعون سيرهم. يبتلع أصوات العذراوات الحزينة موتيف الفالهالا المنتصر، بينما تسدل الستارة.

الفـــالكـــوره

Die Walküre

الشخصيات

زيغموند	ابن وابنة فوتان البشريان من سلالة الـ فالسونغ	تينور
زيغلينده		سوبرانو
هوندينغ ،	زوج زيغلينده	باص
فوتان		باص ـ باريتون
برونهليده ،	ابنة فوتان وإيردا ، كبرى الفالكورات	سوبرانو
فريكا ،	زوجة فوتان	ميتسو ـ سوبرانو

غير هيلده أورتليندة فالتراوته شفيرتلايته هيلمفيغه زيغرونه غريمغيرده روسفايسه	الفالكورات بنات فوتان وإيردا الأخريات	أصوات سوبرانو ، وميتسو ـ سوبرانو ، وكونترالتو

المكان   ألمانيا الأسطورية

الزمان : العصور القديمة

التقديم الأول : ميونيخ، ٢٦ كانون الثاني عام ١٨٧٠

اللغة الأصلية : الألمانية

كان على فوتان أن يحبط عدوه ألبريش، بعد أن تبين له أنه سيبذل كل الجهود لينتزع الخاتم من فافنر ليمتلك القوة ثم ليدمر الآلهة. ولكي يصون الفالهالا، أوكل لـ بناته التسع «الفالكورات» مهمة جلب جثث أشجع الأبطال من ساحات القتال في العالم. وبعد أن أصبحوا خالدين، قاموا بمهام الدفاع عن الآلهة.

في غضون ذلك كان فوتان قد طاف في الأرض بحثاً عن البطل الذي سوف يسترد الخاتم من فافنر. وكان العملاق قد حمل كنز الذهب إلى كهف داخل الغابة، حيث حرس غنيمته متخذاً شكل تنّين. ويأمل فوتان الآن أن يغدو ابنه زيغموند البطل الذي سيسترد الكنز من فافنر. (زيغموند وزيغليندە هما طفلا فوتان، أنجبهما من امرأة بشرية عاش معها زمناً في هيئة فولف أو فالس، ومن تلك العلاقة نشأت سلالة الـ فالسونغ) وتبدأ أوبرا الفالكيري بـ زيغموند الهارب من قبيلة معادية، والذي وجد ملجأ في بيت هوندينغ.

الفصل الأول

بيت بدائي في الغابة، بُني من جذوع الأشجار حول شجرة ضخمة تتفرع خلال العوارض الخشبية. ومن جذع شجرة ينتأ مقبض سيف عظيم. ثمة موقد في جانب الغرفة، وفي الخلف هنالك بابان عريضان مزدوجان. يصور تمهيد قصير عنف العاصفة في الخارج، وفي ذروة التمهيد ينفتح الباب ويدخل زيغموند، ثم يسقط متعباً منقطع الأنفاس على فروة بجانب الموقد.

تـدخل زيغلينـده مـن غرفـة أخـرى وتـصرخ مندهـشة حـين تـرى الغريـب، وعندما تنحني لتنظر إليه عن كثب يعود إليه وعيه ويطلب ماءً. تجلـب لـه زيغلينـده كوباً مصنوعاً من قرن، وأثناء شربه يُسمع في الأوركسترا موتيف الحب. يحدق زيغموند إليها ويسأل من هي. تجيب زيغلينده بأنها زوجة هونـدينغ وهـذا هـو بيتـه. يشرح زيغمونـد قـائلاً بـأن سيفه وترسـه قـد تحطمـا أثنـاء اشـتباكه مـع العـدو وقـد اضطر للهرب. وبينما هو يسرد قصته تقدّم له شراباً يسترد به نشاطه.

يستعيد زيغموند قوته وينهض لينصرف. وعنـدما تـدعوه زيغلينـده إلى البقـاء هنيهة، يرد بحزن أن عليه الذهاب ليجنب أهـل البيـت سـوء الطـالع الـذي مـا فتـئ يلاحقـه. فتعلـق زيغلينـده قائلـة بأنـه لا يمكنـه جلـب الاضـطراب إلى المكـان حيـث الاضطراب نفسه يكمـن فيـه. يتوقـف الاثنـان كأنهمـا مسحورين، يحدق أحـدهما إلى الآخر في حماسة، في حين يُسمع مرة ثانية، موتيف الحب بقوة.

يقاطعهما دخول هوندينغ الذي يتمتم بتحية فظة ويتفرس في زيغمونـد بريبـة. وحفاظاً على قواعـد حسن الـضيافة التقليديـة، يـدعو زيغمونـد ليشاركه وجبتـه، مـشيراً بدهـشة إلى التـشابه الكـبير بـين ملامـح الغريـب وملامـح زوجتـه. ورداً عـلى تساؤلات هوندينغ يتحدث عن نفسه على نحو مطول. يقـول إنـه يـدعى فيهغالـت، وإنه من قبيلة فالسونغ. وقد عاش زمناً وهو سعيد في الغابة مع والـده فـالس وأمـه وأختـه التـوءم. وذات يـوم عـاد مـع والـده مـن الـصيد ليجـد منزلهمـا يـشتعل وأمـه مقتولـة. بحثـا في الخـراب فلـم يجـدا أثـراً لأختـه. ويـضيف زيغمونـد أن مرتكبـي هـذا العمل هـم النايدينغيون، قبيلة عدوة كانت منذ أمد بعيد تكـنُّ العـداء للفالـسونغ، ويستطرد فيقول إن من المحتمل أن يكون والده قد قتل في معركـة، تاركـاً ابنـه يهـيم وحيداً في الغابة مآله الفشـل والتعاسة.

ثم يخبرها زيغموند أنه ذهب في أحد الأيام لانقاذ صَبيَّة أخذها رجال قبيلتها إلى منزل رجل أجبروه على الزواج بها. وبعد معركة عنيفة قُتلت فيها الفتاة، هرب ناجياً بحياته.

يثب هونديغ على قدميه، ويعلن بغضب قائلاً إن أولئك الذين قاتلهم زيغموند هم أقرباؤه، والآن أصبح عدوه تحت سقفه. ثم يعرض على زيغموند قضاء الليل عنده، لكنه يسأله أن يكون على استعداد لحماية نفسه في الصباح. عندئذٍ يطلب هونديغ من زيغليندة أن تهيئ له شراب المساء ويغادر الغرفة. فتلحقه زوجته محاولة بفضول لفت نظر زيغموند إلى السيف المغروز في جذع الشجرة. لكن زيغموند يفشل في قراءة معنى تلميحاتها.

وحيداً، يشكو زيغموند لأنه أعزل في بيت خصمه، ويتعجب قائلاً: لماذا لا يمتلك السيف الذي قال عنه أبوه بأنه سوف يجده عند الحاجة (Ein Schwert verhiess mir der Vater). لكن أفكاره تتحول نحو جمال زيغليندة. إنه لم يلاحظ كيف ينعكس وميض الجمر بين حين وآخر على مقبض السيف المغروز في جذع الشجرة.

وعندما تخبو النار تغادر زيغليندة غرفتها وتقبع في الظلام بجانب زيغموند وتهمس له بأنها مزجت بشراب هونديغ جرعة منومة. ثم تخبره كيف أجبرت على الزواج بـ هونديغ، وكيف دخل البيت، خلال حفلة الزفاف، رجل متطفل بعين واحدة، غرز سيفاً ضخماً في جذع الشجرة قائلاً إنه يخص المحارب الذي يستطيع نزعه. يثب زيغموند على قدميه باهتياج كبير. وتغني زيغليندة بحماسة بأنها تتوق إلى رجل يستل السيف ويثأر لها، ثم تندفع إلى ذراعي زيغموند.

في تلك اللحظة ينفتح البابان، فتبدو الغابة وقد غمرها ضوء القمر. يغني زيغموند بجذل آريا الحب والربيع الرائعة (Winterstürme wichen dem Wonnemond)، وتجيب زيغليندة نشوى (Du bist der Lenz). إنهما يكتشفان أنهما أخ وأخت، وأن السعادة تغمرهما لاجتماعهما بعد فراق. ويدرك زيغموند الآن أن والده هو الذي غرز السيف في جذع الشجرة، وأنه هو المقدر له أن ينتزعه.

يصيح زيغموند مكرراً «فالس» بصوت مفعم بالقوة، ثم يحيي السيف (Nothung! So nenn' ich dich Schwert!)، ويسحبه بحرية. وبانفعال كبير يتعانق زيغموند وزيغليندة، ويندفعان إلى الخارج. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

جبل مقفر يطل على وادٍ ضيق شديد الانحدار. يقف فوتان في الطليعة لابساً درعه وحاملاً رمحه. أمامه برونهيلده في درع الفالكيري. يأمرها فوتان باستدعاء الفالكورات والانطلاق لمعونة زيغموند الذي سيواجه قريباً هوندينغ في معركة. تتسلق برونهيلده صخرة وتغني من فوقها صيحة المعركة، (Hojotoho!) ناظرة أسفل السهل، وتُعلم فوتان باقتراب فريكا، ثم تغادر وهي تتابع نداء المعركة.

وبغضب تواجه فريكا فوتان، ويتبع ذلك محادثة دراماتيكية. إنها تؤنبه بحرارة لأنه أجاز لـ زيغموند سلب زوجة هوندينغ. ولما كانت إلهة الزواج لا تسمح بانتهاك عهود الزواج، تطلب فريكا من فوتان معاقبة العاشقين المذنبين. فيعترض فوتان قائلاً بأن الآلهة بحاجة ماسة إلى بطل بشري يستطيع تقديم خدمة لا يستطيعون هم أنفسهم إنجازها. ويضيف فوتان؛ من أجل تلك المهمة قُدر على زيغموند ما قُدر، ولذلك السبب فهو يحميه. تشجب فريكا فوتان لأنه يحمي إنساناً آثماً، ثم تنتزع منه وعداً بالحكم على زيغموند.

تخبر فريكا برونهيلده بأن فوتان اتخذ قراره. ويهدوء تدنو برونهيلده من أبيها الذي يغمره شعور من الخزي واليأس، وفي محاولة لمواساته تضع جانباً درعها وأسلحتها وتجثو أمامه. وفي مونولوغ طويل يخبر فوتان ابنته عن محاولاته التراجيدية لاستعادة الخاتم. إنه يكشف لها عن ذهابه أولاً إلى إيردا للمشورة، ففاز بحبها وأنجب منها تسع بنات ــ الفالكورات اللواتي جلبن الأبطال إلى الفالهالا لحمايتها. ثم ربى زيغموند كمحارب غير شرعي، وأعطاه سيفاً سحرياً آملاً أن يستعيد الخاتم. والآن فإن لعنة الخاتم المخيفة سوف تضرب ثانية، لأن فريكا أجبرته على أن يرفض حماية زيغموند في مواجهته المقبلة مع هونديغ. ويتابع فوتان قائلاً بحرارة: لقد ولى المجد وذهبت القوة، والآن لم يبق سوى النهاية الكئيبة. الآلهة مُدانة، وسيفوز ألبريش. ويتابع فوتان قائلاً لقد اشترى ألبريش، ذلك القزم المثير للاشمئزاز، امرأة بذهبه، وسوف تلد له ابناً سيواصل عمله الشرير. لكنه هو رئيس الآلهة لا يستطيع أن يجد أحداً يساعده على اصلاح العالم. ويقول في سخرية فظة، إن الإله سيسلم الفالهالا إلى النيبيلونغ بمباركته.

وعندما يخبر برونهيلده بأن زيغموند يجب أن يموت، تتوسل إليه لكي يصون حياته. لكن توسلاتها تحرك فيه مشاعر العنف والغضب، ويأمرها بخشونة بإطاعته ويخطو بسرعة إلى خارج المشهد. تقف برونهيلده طويلاً دون حراك ينهكها الرعب واليأس. وأخيراً تلتقط أسلحتها وتسير ببطء إلى قمة الذروة الصخرية. ومن هناك ترى زيغموند وزيغليندە في السهل. تراقبهما برهة من الزمن، ثم تهبط بحزن من على القمة وتختفي.

تناشد زيغليندە، وقد خرجت عن طورها، زيغموند أن يتركها لتموت وحيدة في عارها. إنها تتخيل برعب كلاب هونديغ بأنيابها الحادة وقد وثبت عليها. وإثر صرخة حادة تسقط بين ذراعي زيغموند مغمياً عليها. يعانقها زيغموند برقة، ويحدق إليها بقلق.

تقـترب برونهيلـده بـبطء وتقـف أمامـه هاتفـة باسمـه، بينمـا يـسمع في الأوركسترا موتيف القدر (Siegmund, sieh auf mich !). وبمرافقة موتيف الموت، يسأل زيغموند من هذا؟. فتجيبه بوقار قائلة: إن الأبطال الذين كتب عليهم الموت في معركة هم فقط الذين يتفرسون فيها، وإنها جاءت لتأخذهم إلى الفالهالا. وعندما يسأل زيغموند إذا كان من الممكن أن تذهب معه زيغليند، تقول برونهيلده بأن عليه الانفصال عنها للأبد. يرفض زيغموند بصورة قاطعة الذهاب قائلاً بأنه ينوي الدفاع عن محبوبته وعن نفسه بالسيف السحري الذي يحوذته. فتقول برونهيلده بأن فوتان أبطل سحر السيف، وأنه كُتب عليه أن يُذبح بيد مطارده هونديغ. وبتهور يرفع زيغموند سيفه ويصيح قائلاً إنه سيقتل زيغليند ثم يقتل نفسه مفضلاً في ذلك الانفصال عنها. تعد برونهيلده زيغموند، وقد استمالها بتحديه الشجاع، بمساعدته على الرغم من أمر فوتان. وتسأله الاستعداد للمعركة، ثم تندفع بعيداً.

يُسمع بوق هونديغ من بعيد. ويقبّل زيغموند زيغليند النائمة برقة، ثم يقف استعداداً لمجابهة خصمه. يلمع البرق ويهزم الرعد حين يتقابل الرجلان وجهاً لوجه. تحاول برونهيلده حمايته بدرعها. وفجأة ينبثق وهج محمرٌ من خلال السحب كاشفاً فوتان مع رمحه الموجه نحو زيغموند. فتتراجع برونهيلده برعب وفي اللحظة التي يسدد زيغموند ضربة مميتة إلى هونديغ يتحطم سيفه على رمح فوتان المعترض، فيقتله هونديغ.

أثناء القتال تندفع برونهيلده نحو زيغليند وترفعها إلى حصانها وتنطلق بها بعيداً. يقف فوتان برهة يتطلع إلى زيغموند. ثم بإشارة ازدراء من يده يسقط إثرها هونديغ ميتاً. ثم يقسم بغضب على معاقبة برونهيلده ويختفي. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث

جبل صخري تحيطه أشجار الصنوبر، يسمع بريلود انطلاق الفالكورات المرتعش والقوي. سحب هائجة تدفعها الريح، دوامة عبر السماء السوداء. وعلى أعلى قمة تنتظر ثلاث من الفالكورات وصول الأخريات اللواتي يشاهَدْن قادمات من السماء يحملن أجساد الأبطال مدلاة من فوق صهوات الجياد. عذارى الحرب يضحكن بفرح وحشي، والجياد تشبُّ وكأنها صُبغت بصبغة المعركة.

فجأة تقترب برونهيلده، فيُصعقن عندما يكتشفن أنها لا تحمل محارياً بل امرأة، هي زيغلينده. تقص برونهيلده على شقيقاتها قصة المعركة قائلة بأن فوتان الحانق جداً يطاردها ليعاقبها على محاولتها مساعدة زيغموند. وتناشدهن أن يعطينها واحداً من جيادهن المرتاحة، فيرفضن ذلك خوفاً من غضب فوتان.

وبينما يتصاعد هدير نُذر العاصفة يدنو فوتان. تناشد زيغليندە الفالكورات حمايتها، فينصحنها بالهروب شرقاً إلى كهف عميق في الغابة حيث ينام فافنر على ذهبه، وفوتان الذي ينأى بنفسه عن ذلك المكان سوف لن يطاردها إلى هنالك. تطلب منها برونهيلده التحلي بالشجاعة لأنها ستلد ابناً سيغدو أكثر الأبطال مجداً في العالم ـ زيغفريد، ثم تعطيها شظايا سيف زيغموند. تشكرها زيغليندە، ثم تلوذ بالفرار.

وفي ذروة العاصفة يتقدم فوتان بخطا واسعة. تتقهقر الفالكورات إلى قمة في جبل، وهن يحطن برونهيلده في محاولة لإخفائها. وفي غضب مهيب يأمر الإله فوتان برونهيلده بالوقوف أمامه. تناشده شقيقاتها الرحمة. يعلن فوتان قائلاً إنه من الآن فصاعداً لم تعد برونهيلده فالكوره، ويأمر شقيقاتها بألا يتعاملن معها

تحت طائلة عقاب مماثل. تفر الفالكورات الثماني برعب، بينما تخر برونهيلده، وقد حطمها اليأس، على قدمي فوتان.

وطيلة وقت طويل يبقى فوتان وبرونهيلده دون حراك. تهدأ العاصفة، ويصحو الجو، ويهبط الشفق. ثم يتبع ذلك مشهد الوداع الرائع. تحاول برونهيلده ببلاغة تسويغ أفعالها، لكن والدها يصر على عقابها. سوف توضع، وهي في نوم عميق، على قمة هذا الجبل حتى يأتي البطل المنشود فيوقظها. واستسلاماً منها لقدرها تتوسل برونهيلده إليه أن يحميها في سباتها البائس بحائط من نار.

يطوقها فوتان، وقد استولى عليه حبها، بذراعيه ويغني أغنية الوداع المفعمة بالأسى «Leb' wohl, du kühnes, herrliches Kind». وعندما يختتم أغنيته يقبل عينيها برقة وهو يغني بحزن عميق «So küsst er die Gottheit von dir» (وهكذا انتزع منكِ الإله ألوهيتك). ويبطء تغيب برونهيلده عن الوعي.

يحملها فوتان إلى منحدر معشب تحت شجرة ضخمة، يطبق خوذتها ويضع رمحها بجانبها، ويغطيها بدرعها. وعندئذٍ ينادي لوغا ويأمره بإحاطة العذراء النائمة بالنار. ثم يضرب صخرة برمحه ثلاث مرات. وبمرافقة موسيقا النار السحرية التصويرية المرتعشة، تثب ألسنة اللهب محيطة صخرة برونهيلده. وعلى أنغام موتيف زيغفريد النبوئي، يقف فوتان في عزلته المهيبة على ربوة شامخة تجاه خلفية من الدخان والنار حاملاً رمحه مغنياً أن من يخشى هذا السلاح لن يستطيع اقتحام النار. وبينما ينبجس موتيف النوم من خلال ثيمة النار، يلتفت فوتان برهة من الزمن ليحدق في رقة وأسى إلى برونهيلده، ثم يختفي. وتسدل الستارة.

زيغفريد

Siegfried

الشخصيات

ميمه		تينور
زيغفريد		تينور
عابر سبيل	(الإله فوتان متنكراً)	باص ـ باريتون
ألبريش		باريتون
فافنر (التنين)		باص
طائر الغابة		سوبرانو
إيردا (إلهة الأرض)		كونترالتو
برونهيلده		سوبرانو

المكان غابة أسطورية في ألمانيا

الزمان العصور القديمة

التقديم الأول بايروت، ١٦ آب عام ١٨٧٦

اللغة الأصلية الألمانية

تُقدّم الدراما الموسيقية زيغفريد، شخصية زيغفريد المركزية في دراما الخاتم.

كان ميمه ، وهو قزم يعيش في بيت يشبه الكهف في الغابة ، قد ربّى زيغفريد الشاب ابن زيغموند وزيغليندە. وكان القزم قد عثر على زيغليندە ، التي فرت بعد موت زيغموند، هائمة في الغابة. فأخذها إلى بيته حيث ماتت وهي تضع مولودها. والآن ، وقد بلغ زيغفريد مبلغ الرجال، شرع يأخذ دوره بطلاً مقدراً عليه النصر لأنه غير مدرك للخوف وتعلّم معنى الحب.

يقدم البريلود بإيجاز موتيف ميمه المظلم والملغز، ثم لا يلبث أن يهيمن بإلحاح ، قارعاً إيقاعاً يوحي بضربات المطرقة. يُسمع موتيف الكدح ، بينما يقاطعه موتيف السيف في كل لحظة.

ترتفع الستارة ، بينما تستمر الموسيقا دون توقف.

الفصل الأول

كهف ميمه البدائي في الغابة. في أحد الجوانب تقوم دعامة حجرية تستخدم كـ كير حدادة وفوقها منفاخ كبير. وأمام الكير ثمة سندان يعمل ميمه عليه. يطرّق ميمه دون طائل نصل سيف. ثم يستبد به الغضب إزاء فشل جهوده (Zwangvolle Plage! Müh' ohne Zweck). إنه يستشيط غضباً لأن كل سيف يصنعه يحطمه على الفور الشاب الجموح الذي ابتكره من أجله. وبنفاذ صبر يرمي النصل إلى الأرض. ويقول متأملاً إنه لو يستطيع فقط أن يجمع أجزاء السيف المحطم (شظايا سيف زيغموند التي أعطتها برونهيلده لـ زيغليندە) لا نتهت متاعبه. وإنه بامتلاكه هذا السلاح القوي ، يستطيع أن يُقنع ذلك الولد الشيطان الطائش بذبح التنين فافنر من أجله واستعادة الكنز الذي يحرسه التنين بجسده ، وبذلك سوف يمتلك الخاتم ويصبح سيد العالم.

يعود ميمه إلى عمله وهو يتذمر من قدره القاسي. وفي تلك اللحظة يدخل زيغفريد، وهو يسحب دباً بحبل. يضع الدب على ميمه ويضحك من محاولات ميمه المسعورة للهرب. وعندما ينتهي من لهوه يقود الدب إلى خارج الكهف معلقاً: لقد أثبت الحيوان أنه مرافق ألطف من ميمه. ثم يتناول السيف الذي كان يعمل به ميمه ويهشمه على السندان، ثم يجلس على مقعد حجري ويلوذ بصمت متجهم.

يحاول ميمه استرضاءه، وأخيراً يقدم له طبقاً من الطعام. يوقع زيغفريد الطبق من يده، وعندئذٍ ينطلق القزم بخطبة تتسم بالشكوى المريرة. ألم يكن سخياً وأبوياً ومتفانياً مع هذا الصبي الذي أطعمه وألبسه وعلمه ما يعرف؟ والآن ما هي مكافأته؟ لا شيء سوى نكران الجميل والمعاملة السيئة! فيجيب زيغفريد بأن الشيء الوحيد الذي تعلمه دائماً من ميمه كان النفور من ميمه نفسه. إنه يتعجب قائلاً: ما الذي دفعه إلى العودة إلى الكهف بينما طيور الغابة ووحوشها أكثر وداً من ميمه؟

ويستمر زيغفريد بإزعاج القزم إلى حد بعيد بتساؤلاته المتواصلة. فيقول إن الحيوانات تعيش معاً بسعادة ــ الذكر ورفيقته وذريتهما. والصغير منهم يشبه أبويه، بينما هو نفسه يعرف فقط القزم البغيض على أنه «والده». ويتابع زيغفريد فيقول: ولسوء الحظ فإنه لا يشبهه البتة، والأكثر من ذلك أنه لا يصدق أن ميمه والده. إنه يطلب بإلحاح معرفة والديه. وعندما يحاول ميمه الهروب من السؤال، يمسكه زيغفريد من حلقومه صائحاً بأنه سيرغمه على الإجابة.

عند ذلك يخبره القزم الخائف إنه منذ وقت طويل عثر في الغابة على امرأة ممددة على الأرض ضعيفة بائسة، فأخذها إلى كهفه، حيث ولدت طفلاً ثم

ماتت. ويتابع ميمه قائلاً، ولكن قبل موتها أخبرته بان الطفل سيدعى زيغفريد وإن اسمها زيغليندة. ويتابع ميمه، إنه علم بأن والد زيغفريد الحقيقي كان قد قتل في معركة. وعندما يطلب من زيغفريد تقديم بعض الإثباتات على صحة قصته الخيالية، يطلعه ميمه على نصل السيف المحطم، وهذا، يشير ميمه، كان المكافأة الوحيدة على صنيعه.

يصيح زيغفريد باهتياج قائلاً بأنه ينبغي أن تجمع هذه الشظايا لتشكل سيفه الحقيقي. إنه يأمر ميمه لكي يعيد جمعها وصياغتها من أجله، مهدداً إياه بالجلد إن هو أخفق. ثم ينطلق الشاب إلى الغابة، تاركاً ميمه يندب قائلاً إن براعة جميع النيبيلونغيين وبراعته سوف لن تكون قادرة على صياغة سيف البطل هذا.

يقف القزم أمام السندان وقد غمره اليأس محاولاً متابعة عمله. عندئذٍ يظهر عابر سبيل عند مدخل الكهف. إنه يرتدي عباءة سوداء طويلة وقبعة ذات حافة عريضة تتدلى فوق عينه المفقودة، ويحمل رمحاً عظيماً. وبعد تقديم نفسه إلى ميمه المرتعش، يقول بأنه جال في العالم وتعلم الكثير من حكمته. يطلب منه القزم بفظاظة أن يتابع طريقه، لكن عابر السبيل، متجاهلاً كلامه، يخطو نحو الموقد ويجلس.

وبعد لحظة يقول بأنه اكتشف في رحلاته أن الإنسان يفتقر إلى الحكمة على نحو موجع. يتطلع إليه ميمه بريبة ويقول إنه مقتنع بما يملكه من قدرات. عند ذلك يقترح عابر السبيل مباراة في المقدرة الذهنية، مقدماً رأسه غرامة إن هو فشل في الإجابة على أي ثلاثة أسئلة يسألها ميمه. يوافق ميمه طامعاً بإيقاع هذا المتطفل في فخ حماقته. ثم يشرع بالسؤال الأول، ما هي السلالة التي تقطن أعماق الأرض؟ فيجيب عابر السبيل؛ إنها سلالة النيبيلونغ ويحكمها ألبريش الذي سرق ذهب الأرض، إنه يأمل أن يستعبد البشرية بذهبه ومعونة خاتم سحري. يسأل ميمه سؤاله الثاني التالي؛ من الذي يحكم على سطح الأرض؟ يجيب عابر السبيل؛

العملاقان فاسولت وفافنر، إنهما يستحوذان على كنز ألبريش، وفي شجار بينهما حول الغنائم ذبح فافنر فاسولت، والآن يحرس فافنر، وهو في هيئة تنّين كنزه. وفي سؤاله الثالث يسأل ميمه؛ من الذي يحكم السماوات؟ يدوي موتيف الفالهالا في الأوركسترا، يجيب عابر السبيل أن الآلهة هي التي تحكم فوق، وأن فوتان ملكهم، وهو يحمل رمحاً نحت من رماد العالم، نقشت عليه مراسيم مقدسة تتحكم بتصرف الإنسان، وبهذا الرمح يحكم فوتان الآلهة، والنيبيلونغ، والعمالقة على السواء.

والآن، يقول عابر السبيل، جاء دور ميمه. أولاً؛ من هم أولئك الذين يعاملهم فوتان بصرامة أكبر مع أنه يحبهم أكثر من الآخرين؟ الفالسونغ، يجيب ميمه، والمحبوبون الأفضل هم زيغموند وزيغليندە وابنهما زيغفريد. عندئذٍ يسأل عابر السبيل؛ أي سيف يتوجب على زيغفريد أن يمتلكه لذبح فافنر واستعادة الكنز؟ يصيح ميمه إنه الـ «Nothung». والسؤال الثالث ـ من هو الذي سيعيد صياغة السيف المحطم «Nothung»؟ يتمتم ميمه بخوف أنه لا يستطيع الإجابة.

يخبره عابر السبيل بأن الوحيد الذي لا يعرف الخوف يستطيع إصلاح السيف، ثم يغادر، يحدق ميمه بالغابة، ثم يقبع مذعوراً في زاوية. وفي اللحظة التالية يظهر زيغفريد ويسأل عما إذا كان السيف قد جهّز. فيقول ميمه بأنه كان مهموماً بالمخاوف من أجل زيغموند، لذا لم يهتم بأمر السيف. وعندما يسأله زيغفريد عن معنى الخوف، يقول القزم بأنه سيأخذه إلى نايدهوهل عرين التنين حيث سيتعلم هذا الدرس الهام.

يأمر زيغفريد ميمه بصياغة السيف عله يحمله في طريقه. فيشكو ميمه قائلاً بأنه ليس كفؤاً لهذه المهمة. عندئذٍ يلتقط زيغفريد السلاح المحطم معلناً أنه سوف يصوغ هذا السيف بنفسه. يشعل النار، ويجهز القالب. وبينما هو يعمل يغني أغنية

الحدادة المرحة «Nothung! Nothung! Neidliches Schwert!». يراقبه ميمه برضا، ثم يبدأ بتحضير الشراب السحري، الذي يعتزم أن يسمم به زيغفريد بعدما يذبح فافنر ويستحوذ على الكنز.

وأخيراً ينتهي السيف العظيم. فيبرده زيغفريد في الماء، ثم يلوح به عالياً. ويخرج من الكهف فرحاً. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

منطقة مظلمة في الغابة بلا أشجار. موتيفات فافنر والخاتم واللعنة والدمار منسوجة في ميزورات البريلود الكئيبة.

في الخلفية فتحة الكهف الواسع. ألبريش يربض في الظلال، يراقب كهف فافنر يحدوه أمل باسترجاع كنزه الضائع. يظهر عابر السبيل فيدرك ألبريش أنه فوتان خصمه القديم ويلعنه بوصفه مثيراً للمتاعب. الإله نفسه، يقول ألبريش متهكماً، يخاف من أن يستعيد النيبيلونغ الخاتم، وما يتبع ذلك من عواقب، يجيب عابر السبيل قائلاً بأن ميمه يقود في هذه اللحظة شخصاً سيحظى بالخاتم ـ شاباً لا يعرف معنى الخوف. ويقترح على ألبريش أن يحث فافنر على التخلي عن الخاتم قبل وقوع المحتوم. يوقظ ألبريش بأريحية فافنر، ويصيح قائلاً إنه سيكون راضياً أن يبقى التنّين محتفظاً بالذهب شرط أن يتنازل له عن الخاتم. يهدر التنين صائحاً أن من حقه امتلاك الكنز. يضحك فوتان من خيبة أمل ألبريش، ثم يختفي بكلمة تحذير. يقسم ألبريش على الانتقام ثم يختفي وسط الصخور.

يزداد المشهد ضياءً عندما يطلع النهار. يدخل زيغفريد وسيفه على خصره. يسير ميمه خلفه بتثاقل يحدق باحتراس. يجلس زيغفريد تحت شجرة زيزفون ويسأل إن كان سيتلقى الآن درساً في الخوف. يشير ميمه إلى الكهف ويخبر الشاب

عن أحوال التنّين؛ أنفاسه سم قاتل، قطرة واحدة من لعابه تتلف اللحم والعظم، بمقدوره أن يسحق عظام إنسان بضربة من ذيله. يؤكد زيغفريد أن هذا الوحش الاستثنائي سيشعر قريباً بالسيف «Nothung» في قلبه. ويسخر من ميمه لأنه عرض عليه كل هذا الهراء بدلاً من درس مفيد في الخوف، ثم يطلب منه بنفاد صبر الذهاب إلى الغابة. يخرج ميمه قائلاً إنه سينتظر قرب نبع مجاور.

يتمدد زيغفريد تحت الشجرة متمتعاً بجمال الغابة. وتبدأ الأوركسترا بعزف موسيقا وصفية رائعة تُعرف بهمسات الغابة. يتأمل زيغفريد، ويفكر برقة بأمه التي لا يعرفها. يقاطع أفكاره صوت طائر منبعث من خلال الأغصان، تأسر أغنيته زيغفريد، فيعمد إلى صنع مزمار من القصب ويحاول أن يصفر نداءً جوابياً. لكن النغمات التي تعزفها الأوركسترا خارج المقام لا تنطق بإجابة. وأخيراً يكف زيغفريد عن ذلك، ويرفع بوق الصيد إلى شفتيه، ويعزف نداء البوق الشهير.

عند ذلك يستيقظ فافنر ويجر جسمه التنيني المخيف إلى خارج الكهف. يندفع زيغفريد ويواجه الوحش. يزأر فافنر كاشفاً عن أنيابه، ويسأل عن الذي يجرؤ أن يعكر هجوعه، فيسأل زيغفريد الوحش بسخرية إن كان يستطيع أن يعلمه الخوف. يطلق التنين سمه وهو يخور غضباً، بينما يتدفق الدخان من منخريه. يتجنب زيغفريد بحذق الزبد المسموم، ويثب استعداداً للهجوم. ثم يطعن ذنب التنين، وعندما ينتصب الوحش من الألم يغرس زيغفريد سيفه في قلبه.

يسأل التنين زيغفريد وهو يلفظ أنفاسه، ترى من حرضه على هذا الصنيع المهلك. يجيب زيغفريد بأن تهديد التنّين دفعه إلى استخدام سيفه للدفاع. يدرك فافنر الآن أن لعنة ألبريش على الخاتم أسقطته في النهاية. ويحذر زيغفريد قائلاً: إن الذي خطط لهذا العمل يخطط أيضاً لموت الشاب. يسأله زيغفريد إن كان يعرف لغز مولده، عندئذٍ يبوح باسمه. يكرر التنّين الاسم ثم يخر ميتاً.

يسحب زيغفريد السيف من جسم التنين فتتطاير نقاط من الدم وتصيب يده. فيصيح زيغفريد قائلاً إنها تشتعل، ثم يضع يده على شفتيه ماصاً نقاط الدم. وبوساطة سحر الدم يجد أنه يستطيع فهم لغة طائر الغابة، الذي بدأ يغني من جديد. يخبره الطائر أن في الكهف كنزاً، وأن أهم ما في الكنز هو الخوذة التي ستساعده على إنجاز المآثر، والخاتم الذي يمنح من يلبسه قوة العالم. يشكر زيغفريد الطائر ثم يدخل إلى الكهف.

يعود الآن ألبريش وميمه، وينشأ بينهما شجار عنيف حول الكنز. يتملك ميمه غضب ضارٍ عندما يرفض ألبريش أن يتقاسما الخوذة والخاتم ويطالب بالكنز كاملاً. وفي ذروة المجادلة يظهر زيغفريد ومعه الخاتم والخوذة. يتفحصهما عن كثب، ثم يضع الخاتم في إصبعه، ويعلق الخوذة في حزامه. يبدأ طائر الغابة في الغناء ثانية، ويخبر زيغفريد أن تذوقه لدم التنّين سيمكنه من الآن فصاعداً من التكهن بالمعنى الحقيقي الذي يكمن خلف كلمات ميمه المضللة.

يتبع ذلك محاورة غير عادية، يفهم زيغفريد من خلالها نية ميمه بتسميمه. وعلى الرغم من ذلك يقدم ميمه لـ سيغفريد قرن الشراب الذي يحتوي السم. فيعاجله زيغفريد بضربة واحدة مميتة من سيفه. إثر ذلك يقدم ألبريش وهو يضحك بمكر. يسحب زيغفريد جثة القزم إلى داخل الكهف، ثم يسد فتحة الكهف بجثة التنين، يتردد صدى موتيف اللعنة في الأوركسترا مذكراً بلعنة الخاتم التي تستدعي ضحية أخرى. يلقي زيغفريد بنفسه، وقد أنهكه التعب، تحت شجرة الزيزفون، ويتأمل عزلته وماضيه الملغز. يغني طائر الغابة ثانية، ويخبر زيغفريد عن برونهيلده التي تستلقي نائمة فوق صخرة هائلة على قمة جبل تحوطها ألسنة اللهب، والذي لم يعرف الخوف أبداً يمكنه أن يقتحم النار ويفوز بالعذراء الماجدة ويتزوجها. يصيح زيغفريد

بابتهاج قائلاً إنه هو هذا البطل، لأنه لم يفهم أبداً درس الخوف. ويطلب من الطائر بحماسة أن يقوده إلى صخرة برونهيلده. ثم ينطلق زيغفريد ملاحقاً صوت الطائر، بينما نسمع في الأوركسترا موسيقا النار وموتيف زيغفريد، وتسدل الستارة.

الفصل الثالث

وادٍ صخري موحش، يعرض التمهيد الموجز موتيفَيْ حاجة الآلهة والمعاهدة، اللذان يرتفعان تدريجياً إلى الذروة مع ثيمة غروب الآلهة. ثمة عاصفة ثائرة أثناء رفع الستارة. يدخل فوتان الذي ما زال في زي عابر السبيل، ويتوقف أمام فتحة كهفية في الصخور. ينادي إيردا إلهة الأرض. يلتمع ضوء في الكهف، وتصعد إيردا من الأرض ببطء. يتبع ذلك محادثة طويلة. يحاول فوتان أن يعلم من الإلهة الكلية الحكمة كيف يمكن أن تتوقف أعمال القدر. فتشير عليه إيردا أن يسأل ابنته برونهيلده التي وُهِبت أيضاً الحكمة الإلهية. وعندما يكشف لها فوتان كيف عاقب برونهيلده، توبخه إيردا على قساوته، مشيرة إلى أنه بخطاياه التي تثقل ضميره في موقع ليعاقب بشدة.

ومع ذلك يتابع فوتان بعناد قائلاً إن الحكمة التي رسختها إيردا في قلبه، لم تجلب له السلام والثقة، بل الفزع والارتباك. والآن يتوجب عليها أن تخبره كيف يتغلب على اليأس الذي يغمر روحه. وفي مواجهة رد إيردا الغامض يستسلم فوتان إلى قدره. ثمة توقف طويل. ثم يعلن فوتان بكآبة أنه لم يعد الآن منشغلاً بهلاك الآلهة القريب. فقد حاز زيغفريد دون خوف الخاتم، وبمعونته سوف يفوز بـ برونهيلده، وبمأثرة الحب تلك سوف يخلص العالم. وحين يأمر إيردا بالعودة ثانية إلى نومها الأبدي، تغوص ببطء عائدة إلى الأرض.

ومن بعيد يشاهد فوتان زيغفريد يقترب، فيجلس منتظراً وصوله، يندفع الشاب بقلق متعقباً طائر الغابة، الذي يتحرك باضطراب للحظة ثم يختفي، يلمح زيغفريد فوتان ويسأله عن الطريق المؤدي إلى الصخرة المطوقة بالنار. وبدلاً من الاجابة، يستجوب فوتان الشاب، فيخبره زيغفريد عن ميمه، وعن قتل التنّين بسيفه، وعندما يسأله من الذي صاغ السيف، يجيبه زيغفريد بأنه هو من فعل ذلك.

يخبر زيغفريد الغريب وقد ضايقه بأسئلته بأنه ليس لديه وقت للكلام التافه. ويطلب منه أن يدعه يواصل طريقه إلى الصخرة.

وفي غضب مهيب يعترض فوتان طريقه، ويطلب منه التطلع إلى قمة الجبل حيث تتوهج نار عظيمة، ويتابع قائلاً، وهناك تنام العذراء، ولكن الذي يجرؤ على الدنو منها سوف تلتهمه ألسنة اللهب، يحاول زيغفريد بخشونة تنحية فوتان جانياً، وإذ ذلك يمد الإله رمحه أمامه معترضاً سبيله. وعندما يستل زيغفريد بغضب سيفه، يحذره فوتان قائلاً بأن رمحه حطم ذات مرة نفس السيف الذي يحمله زيغفريد بين يديه ـ وسيفعل ذلك مرة أخرى. وفي ومضة إدراك مفاجئة يصيح زيغفريد قائلاً؛ وأخيراً يواجه عدو والده. يزأر زيغفريد، وبضربة قوية يحطم رمح فوتان. ثمة برق ورعد ثم يختفي فوتان.

يتوجه زيغفريد نحو الجبل المشتعل، رافعاً بوقه إلى شفتيه، ثم ينفخ نداء بوقه ويخوض في ألسنة اللهب. يغلف المشهد ضباب متوهج، في حين تعلو موسيقا النار في الأوكسترا.

عندما ينقشع الضباب نرى قمة الجبل المشمسة حيث تستلقي برونهيلده نائمة تحت شجرة تنوب ضخمة. تهمس الوتريات بموتيف النوم. يظهر زيغفريد من خلف صخرة ويحدق بالمشهد بذهول. يلاحظ جواداً مطهماً يقف في الجوار. يدنو زيغفريد ببطء من الجسم النائم في درع وخوذة، ومستور جزئياً بترس عظيم.

يرفع الترس بلطف، ويحدق بوجه المحارب الفاتن. وبحذر يقطع بسيفه أربطة درع الصدر، ثم يرفع الدرع. ويصعق عندما يكتشف أن المحارب هو امرأة فاتنة. وفجأة يوجعه هاجس عميق في صدره. ثم يخر إلى جانب برونهيلده.

وبعد لحظات ينهض ببطء، ويثبت عينيه في وجه برونهيلده. ثم ينحني، مأخوذاً بجمالها الساحر، ويقبل فمها بشهوة متقدة. تستيقظ برونهيلده، تهلل بنشوة للعالم المشمس من حولها. تلتفت إلى زيغفريد وتحييه بفرح بوصفه ابن الأم التي ناصرتها على الرغم من فوتان.

تهز زيغفريد عاطفة الحب غير المألوفة فيستجيب لها بذهول وجذل، ويحاول معانقة برونهيلده. تتراجع برونهيلده برعب، مدركة أنها بدرعها المنزوع يكون البطل قد نزع عنها ألوهيتها. إنها لم تعد فالكورة، بل امرأة بشرية. تناشد زيغفريد بيأس أن يدعها قائلة بأنها تعاف العناق البشري. يندفع نحوها معلناً حبه، فتستسلم أمام حماسته الملتهبة قاطعة صلتها بالفالهالا وبعظمة الآلهة. ويمتزج صوتاهما أثناء غنائهما ثنائي الحب الرائع الذي غمرهما في فجر عالمها الجديد «Leuchtende Liebe! Lachender Tod!». ويرتمي أحدهما بين ذراعي الآخر. وتسدل الستارة.

غروب الآلهة

Die Götterdämmerung

الشخصيات

النورن* الأولى	بنات إيرد	كونترالتو
النورن الثانية	بنات إيرد	ميتسو - سوبرانو
النورن الثالثة	بنات إيرد	سوبرانو
زيغفريد		تينور
برونهيلده		سوبرانو
غونتر	ولدا غيبيش وغريمهيلده (الغيبيشونغ)	باص
غوترون	ولدا غيبيش وغريمهيلده (الغيبيشونغ)	سوبرانو
هاغن	أخوهما غير الشقيق، ابن غريمهيلده وألبريش	باص
فالتراوته		ميتسو - سوبرانو
ألبريش		باص
فوغلينده	عذراوات الراين	سوبرانو
فيلغونده	عذراوات الراين	ميتسو - سوبرانو
فلوسهيلده	عذراوات الراين	كونترالتو

---

* النورن : إحدى إلاهات القدر الثلاث في الأساطير الإسكندنافية. (المورد)

أتباع ـ محاربون ـ نساء

المكان : ألمانيا الأسطورية

الزمان : العصور القديمة

التقديم الأول : بايروت ، ١٧ آب ، عام ١٨٧٦

اللغة الأصلية : الألمانية

تمهيد

صخرة برونهيلده (كما في المشهد الختامي للفالكيري وزيغفريد). الوقت ليلاً. في أسفل الخلفية ثمة وهج نار تحوط الصخرة. في العتمة ، ثمة ضوء ضارب إلى الزرقة ، نرى النورنات الثلاث. تفك النورن الأولى من حول جسدها حبل القدر ، وتربط أحد طرفيه إلى شجرة صنوبر ، ثم تمرره إلى الأخريين. وبينما هن ينسجن ، تتقرر مصائر الآلهة والناس.

تغني النورن الأولى أنها بينما كانت تنسج ذات يوم قرب نبع أسفل شجرة الدردار ، ظهر فوتان وقايض إحدى عينيه بشربة من مياه الحكمة. ثم كسر فرعاً من الشجرة وصنع رمحاً عظيماً ، وبعد ذلك ذبلت الشجرة وجف النبع. تتابع النورن الثانية القصة ، وهي تلف الحبل حول نتوء صخري ، فتصف كيف نقش فوتان على رمحه المعاهدات المقدسة التي تمنحه القوة العالمية ، وكيف تحطم الرمح بعد ذلك على يد زيغفريد ، ثم عاد فوتان إلى الفالهالا وأمر الأبطال بقطع شجرة الدردار. تمسك النورن الثالثة طرف الحبل وتختتم الحكاية. لقد تقطعت فروع الشجرة إلى قطع وتكدست كمتراس حول الفالهالا. وترنم النورن الثالثة قائلة إن فوتان وجيشه ينتظرون يوم الحساب الذي سيأتي عندما تلتهم ألسنة اللهب المتراس والقلعة.

تكمل النورنات النبوءة ويغنين قائلات بأن فوتان سيغمد رمحه المحطم في صدر لوغا، الذي أحاط بوساطة السحر صخرة برونهيلده. ثم سيسحب الرمح متوهجاً بفعل إله النار، وسيقذف به إلى متاريس الفالهالا، وبذلك يضرم النار المدمرة. وبنبرات رعب تصرخ النورنات قائلات بأن حواف الصخرة مزقت خيوط الحبل. وبينما هن يندبن لأن شرور العالم ولعنة ألبريش قد قطعت خيوط الحبل، يُسمع في الأوركسترا موتيف القدر. تربط النورنات أنفسهن بالحبل الممزق ثم يختفين، صارخات لأنهن سيعدن الآن إلى أمهن الأرض.

يضيء الفجر القمة الصخرية. وتظهر برونهيلده وزيغفريد. تغني برونهيلده، أن على زيغفريد الآن أن يتقدم نحو النصر من أجلها. وفي تبصر مشؤوم تكشف أنها تنتابها فكرة فقدانها حبه. لقد أعطته الحكمة الإلهية على حساب ألوهيتها. والآن هي تملك الحب البشري لتقدمه له، وهو، بصفته بشرياً، ربما يدوس في يوم ما هذا الحب. وتناشده ألا ينسى عهود حبهما. يعدها زيغفريد بأن يُكمل مآثره المجيدة لأجلها. ويعطيها الخاتم السحري. رمزاً للإخلاص وتعطيه برونهيلده، على سبيل المبادلة، جوادها (غران).

وفي نهاية ثنائي نشوان يبدأ زيغفريد رحلته إلى وادي الراين. تراقبه برونهيلده وهو يبتعد ملوّحة له بفرح غامر. تسدل الستارة، بينما تعزف الأوركسترا موسيقا رحلة الراين المألوفة، ثم تتواصل الموسيقا عارضة موتيف هاغن بينما ترتفع الستارة ثانية.

الفصل الأول

قلعة الغيبيشونغ على الراين. يجلس غونتر، ملك الغيبيشونغ، على عرشه وإلى جانبه أخته غوترون. إنهما يتحدثان مع هاغن، الذي يجلس إلى طاولة أمامهما. يبدي هاغن قلقه إزاء مستقبل سلالة الغيبيشونغ، ذلك أن غونتر غير

متزوج، وكذلك غوترون. إنه يود أن يتزوج غونتر برونهيلده الأجمل بين النساء، لكن عريسها الذي قُدر عليها الزواج منه هو زيغفريد البطل الأعظم في الدنيا. لقد كان شجاعاً إلى حد كاف ليخترق دائرة اللهب السحرية ويصل إلى قمة الجبل التي تستلقي عليها. ثم يقص هاغن حكاية زيغفريد، أصله ومغامراته، ثم يضيف قائلاً إن بطلاً له هذه المنزلة الرفيعة يجب أن يكون زوجاً لـ غوترون. يعنفه غونتر بغضب على أحلامه التي لا يمكن تحقيقها.

في تلك اللحظة يأخذ هاغن غونتر جانباً ويحدثه عن خطته الشريرة قائلاً، عندما يزور زيغفريد، وهو في رحلته إلى الراين، قلعة الغيبيشونغ، يمكنه أن يعطيه شراباً سحرياً يجعله ليس تحت سلطة غونتر فحسب، بل ينسى برونهيلده ويقع في غرام غوترون. وبسيطرة الرقية يمكن إقناع زيغفريد باستمالة برونهيلده من أجل غونتر في مقابل اتخاذ غوترون عروساً له.

وبينما هما يتحدثان يُسمع نداء بوق زيغفريد من بعيد، ثم يصل القارب الذي يحمل زيغفريد وجواده إلى عدوة النهر. يرعد موتيف اللعنة عندما يقفز زيغفريد وهو على جواده إلى اليابسة. يترجل عن فرسه ويدخل القلعة، يشير هاغن بهدوء إلى غوترون أن تنسحب إلى غرفتها. ويضع غونتر أراضيه واتباعه ونفسه تحت تصرف زيغفريد. في مقابل ذلك لا يستطيع زيغفريد تقديم شيء سوى عضلاته القوية وسيفه. يقترب هاغن من زيغفريد قائلاً بأنه تناهى إلى سمعه أن زيغفريد قد حاز كنز النيبيلونغ. فيرد زيغفريد بحذر أنه نسي ذلك، لأن الذهب لا يعنيه أبداً. والشيء الوحيد الذي احتفظ به من الكنز هو الخوذة. ويضيف أنه لا يعرف الغرض منها. فيقول هاغن؛ يقال إنها تمثل قطعة رائعة من حرفية النيبيلونغ، ويشرح قوتها السحرية، ثم يسأل زيغفريد إن كان لديه شيء آخر من الكنز. فيجيب زيغفريد؛ الخاتم، الذي هو الآن في يد امرأة. فيبدي غونتر دهشة

كبيرة. وبينما يتحدث عونتر مع زيغفريد، يفتح هاغن بتطفل باب غرفة غوترون. تخرج غوترون وهي تحمل قرناً يحتوي على الشراب السحري. تقدمه لـ زيغفريد وتدعوه إلى شربه.

وبسرعة تمحو الجرعة ذكرى برونهيلده من عقله، ويحدق بإمعان إلى غوترون بعاطفة جياشة. فتنسحب غوترون، وقد أربكتها وشوشتها حماسته، إلى غرفتها. يعد زيغفريد أن يرتحل فوراً لجلب برونهيلده لـ غونتر، وبوساطة الخوذة سيخطب ودها في هيئة غونتر. ولقاء هذه الخدمة يؤكد له غونتر أن غوترون ستغدو عروسه. ثم يحز الاثنان ذراعيهما ويمزجان دمهما بالنبيذ، ويشربانه مقسمين قسم أخوية الدم، ويمتزج صوتاهما في ثنائي قوي «Blühenden Lebens, labendes Blut». ويعلن الاثنان أن من يحنث بالقسم يتوجب عليه دفع غرامة من دم قلبه. يرفض هاغن أن يشرب قائلاً بأن دمه بارد جداً من أجل جرعة نارية كهذه.

يثب زيغفريد وغونتر بعد أن حملا سلاحهما إلى القارب، ثم يجدفان سعياً وراء مغامرتهما. تظهر غوترون وتتطلع إليهما وهما يبتعدان وتغني في نشوة اسم زيغفريد. يحمل هاغن درعه ورمحه ويراقب الرجلين وهما يغادران. وبسخرية يتمنى لهما رحلة موفقة، ويتلذذ بسعيهما وراء عروس غونتر الذي سيجلب له الخاتم. «Hier sitz' ich zur Wacht». وتسدل الستارة، بينما تتواصل الموسيقا دون توقف في إنترلود تهيمن عليه ثيمات دمار وانتصار النيبيلونغ المعتمة. يُسمَع موتيفا الذهب والخاتم، ثم موتيف برونهيلده. وهنا ترتفع الستارة ثانية على صخرة برونهيلده ـ كما هو الحال في مشهد التمهيد.

تنظر برونهيلده في نشوة إلى الخاتم السحري في إصبعها، لكن صوت الرعد يروعها. وبينما يتردد صدى انطلاق الفالكورات في الأوركسترا، تنطلق فالتراوته

في حماسة وحشية. تسألها برونهيلده بتلهف هل أتت تحمل رسالة صفح من فوتان. ودون أن تترك لها فرصة الإجابة تغني بجذل، أن حكم فوتان القاسي كان بركة مقنعة، لأنها جلبت لها هبة الحب.

وبنفاد صبر تسكتها الفالكورة وتخبرها عن سبب قدومها. فتصف لها، وذلك في سرد فالتراوته الشهير «Seit er von dir geschieden»، كيف ينتظر فوتان والآلهة لحظة سقوطهم. فقد قال فوتان إن أعادت برونهيلده الخاتم إلى عذراوات الراين، فإن لعنة ألبريش ستزول وسيترسخ سلام الفالهالا. وتناشد فالتراوته برونهيلده التخلي عن الخاتم، لكن برونهيلده تجيب بأنها لن تتخلى عن هذا التذكار الذي هو عربون حب بطلها، حتى لو أدى ذلك إلى تدمير الآلهة. وبصيحة تحذير ويأس تنطلق فالتراوته بعيداً.

الآن يزداد وهج النار، التي تحيط الصخرة، توهجاً بألسنة اللهب التي تتواثب في المشهد لترافق موسيقا النار السحرية. تنظر برونهيلده إلى أسفل الوادي تحيي دنو زيغفريد. ويظهر زيغفريد، لكن برونهيلده تتراجع برعب عندما ترى غريباً يقف أمامها. إنه زيغفريد وقد أخفى معظم وجهه بوساطة الخوذة منتحلاً شخصية غونتر. وبصوت زائف يخبر برونهيلده بأنه غونتر وأنه قدم ليعلنها عروساً له. ثم يمسك بها، وبعد صراع ضار، ينتزع الخاتم من إصبعها ويدفعها إلى كهف في قاعدة الصخرة. وقبل أن يدخل، هو نفسه، يستل سيفه صائحاً ـ الآن في صوته الطبيعي ـ سيحرس ذلك السلاح عروس غونتر.

الفصل الثاني

إلى اليمين مدخل صالة قلعة الغيبيشونغ. إلى اليسار عدوة نهر الراين المائلة. في الخلف ترتفع قمة الجبل التي تبرز فوقها هياكل الآلهة، فوتان،

فريكا، دونر. الوقت ليلاً. يجلس هاغن دون حراك، وبيده رمحه وترسه، بجانب عمود من أعمدة القاعة ينتظر عودة زيغفريد وغونتر. يجثو أمامه ألبريش ويداه على ركبتي هاغن. ألبريش يخبر هاغن بقصة لعنة الخاتم، ثم يجعله يقسم على استرجاع الخاتم. يتلاشى صوت القزم بينما يختفي في الظلال. يبزغ الفجر. ويوقظ زيغفريد، الذي ظهر فجأة، هاغن ويشرح له كيف نقلته الخوذة فوراً من صخرة برونهيلده. ويقول بأن غونتر وعروسه يتبعانه في الزورق. تدخل غوترون فيرحب بها زيغفريد ببشاشة. ويروي لها كيف استطاع الوصول إلى برونهيلده. وكيف ساعده سيفه على الالتزام بقسمه الذي أقسمه مع غونتر. ويطلب من هاغن دعوة الأتباع للاحتفال بالعرس، ثم يذهب إلى القاعة مع غوترون.

ينفخ هاغن في البوق داعياً الأتباع من الغيبيشونغ «Hoiho! Hoiho! Hoiho»، وبسرعة يتجمع على عدوة الراين حشد كبير من الناس مرددين في كورس قوي ونشيط. يعلن هاغن أن زيغفريد البطل جلب فالكورة عروساً لـ غونتر، وهو نفسه (زيغفريد) سيتزوج غوترون. ويدعو الجميع إلى حفل العرس. وأثناء ذلك يصل القارب الذي يحمل برونهيلده وغونتر، وحين يلمس اليابسة يهتف المدعوون في بهجة.

يقود غونتر بفخر برونهيلده. إنها تسير إلى جانبه محنية الرأس، ويعكس شحوبها البؤس والذل، يقدم زيغفريد وغوترون مع وصيفاتها من القلعة. ترى برونهيلده الخاتم في إصبع زيغفريد، فتصرخ قائلة إن غونتر أجبرها على أن تغدو عروسه. وانتزع الخاتم من يدها، ثم تطلب معرفة كيف انتقل الخاتم إلى إصبع زيغفريد. يرتبك غونتر ويقول إنه لم يعط زيغفريد الخاتم. تلتفت برونهيلده إلى

زيغفريد وتتهمه بالخيانة وبسرقة خاتمها. لكن زيغفريد، الذي مازال تحت تأثير الجرعة، يحدق إلى الخاتم قائلاً بأنه انتزعه من التنّين، وليس من يد امرأة. يخطو هاغن إلى الأمام ويتهم زيغفريد أيضاً بالخيانة، ويطلب الثأر باسم غونتر. ودون أن يعي التهمة الموجهة إليه، يعلن زيغفريد أنه كان وفياً لـ غونتر، وأن سيفه (نوتانغ) كان حارس أمانته.

عند ذلك يحمل هاغن رمحه ويطلب من زيغفريد أن يقسم عليه. يضع زيغفريد أصابعه فوق الرمح ويقسم بأنه لم يتزوج برونهيلده أبداً «Helle Wehr!». تندفع برونهيلده شاحبة غاضبة نحو الرمح وتَنْذُره لدمار زيغفريد بسبب خيانته وحنثه باليمين. لا يكترث زيغفريد بغضبها الشديد، ويعانق غوترون، ثم يدعو الجميع إلى الاحتفال بالعرس. ويقود غوترون إلى القلعة يتبعه المدعوون.

تبقى برونهيلده وغونتر وهاغن للتخطيط للثأر. وعندما يسأل هاغن برونهيلده كيف يمكن القضاء على زيغفريد، تقول بأنها بوساطة فنونها السحرية جعلت البطل منيعاً لا تجدي مهاجمته ـ إلا ظهره الذي لا يديره لعدو. فيقول هاغن إذن سيكون هدفاً لرمحه. لكن غونتر الذي يفكر بـ غوترون يعترض على قتل زيغفريد. فيهمس هاغن؛ أن موته سيهب الغيبيشونغ الخاتم، ولا ينبغي أن تعرف غوترون كيف مات البطل، ويتابع قائلاً في الغد ستجري حفلة صيد كبيرة، وخلالها سيقتل خنزير بري زيغفريد. وفي حين تتمازج أصوات المتآمرين في التعبير الدراماتيكي للثأر، ينبثق من القلعة موكب العرس مع الأتباع يحملون غوترون وزيغفريد على تروسهم. يجبر هاغن برونهيلده على الانضمام إلى المسيرة مع غونتر.

الفصل الثالث

غابة على منحدر الراين. عذراوات الراين يمرحن في الماء. يظهر زيغفريد على عدوة النهر، يراقب الحوريات ويسألهن إن كن قد رأين الطريدة التي كان يبحث عنها. فيسألنه بمزاح إن كان سيعطيهن خاتمه فسيخبرنه أين تختبئ طريدته. وعندما يرفض يوبخنه لكونهن بائسات. وعندما يجدن أنه مصمم على الاحتفاظ بالخاتم تتحول ملاطفتهن إلى توسل جدي، ويحذرنه من لعنة الخاتم التي ستصرعه في يوم من الأيام. يمتزج صوت زيغفريد بأصواتهن في أداء لحني وهو يعبر عن ازدرائه بنصيحة النساء.

تسبح عذراوات الراين مبتعدات. يسمع زيغفريد أبواق الصيد، وينفخ في بوقه نداءً جوابياً. يظهر هاغن وغونتر يتبعهما أتباعهما يحملان الحيوانات المصيدة. يستعد الصيادون ليولموا بما اصطادوه. يخبرهم زيغفريد كيف فقد أثر طريدته واقترب من عدوة الراين حيث الحوريات الثلاث اللواتي أخبرنه بأنه سيقتل قبل حلول الليل. ينظر غونتر برعب إلى هاغن، الذي قدم لـ زيغفريد خمراً يتضمن جرعة تعيد له ذاكرته.

وحين يتحلق الصيادون حول النار، يلتفت هاغن إلى زيغفريد ويسأله أن يخبره عن بطولاته. وحين يصفو عقل زيغفريد بفعل الجرعة يروي كيف اقتحم ألسنة اللهب وأعلن برونهيلده عروساً له «Mime hiess ein mürrischer Zwerg»، فيثب غونتر برعب على قدميه. وفي تلك اللحظة يحلق غرابان ثم يبتعدان نحو الراين. وحين يلتفت زيغفريد ليراقبهما، يباغته هاغن بطعنة من رمحه في ظهره. يسقط زيغفريد على ترسه، في حين يختفي القاتل في الظلمة. وفي نزعه الأخير ينهض زيغفريد ويغني وداعاً مؤثراً، وداع برونهيلده.

يتبع ذلك موسيقا مارش زيغفريد الجنائزية المهيبة، التي تتتبع في ثيمتيها ماضي البطل وموته المأسوي. يرفع الأتباع جثمان زيغفريد على أكتافهم ويغادون في موكب دراماتيكي. الضباب المتصاعد من الراين يغلف المشهد تدريجياً أثناء هذا الفاصل. وحين ينقشع الضباب نرى قاعة قلعة الغيبيشونغ، كما في الفصل الأول.

تقفز غوترون، وقد عذّبها هاجس الكارثة، على صوت بوق الصيد الآتي من بعيد. يصل فريق الصيد، وتراقب غوترون، وقد شلّها الرعب، الأتباع وهم يُدخلون جثمان زيغفريد ويضعونه وسط القاعة. وعندما يخبرها هاغن بأن خنزيراً برياً قتل زيغفريد، تطلق صرخة ألم وتسقط فوق الجثمان مغشياً عليها. وبعد برهة يعود إليها الوعي وتتهم غونتر بجريمة القتل، لكن غونتر يصرخ قائلاً بأن هاغن هو المجرم. وبتحدٍ وحشي يعترف هاغن بصنيعه. ثم يعلن بأن زيغفريد قد أقسم زوراً على رمحه، وأن ذلك الرمح نفسه ثأر الآن من خيانته. ثم يصرخ قائلاً إن الخاتم من حقه، ثم يندفع نحو غونتر ويقتله بضربة من سيفه. وبينما هو يلتفت لينتزع الخاتم من يد زيغفريد الميت، ترتفع ببطء الذراع الميتة، وكأنها إيماءة تحذير. يقف الحشد الصاخب متجمداً من الرعب.

تصل الآن برونهيلده، وتطلب بازدراء من الناس الكف عن نحيبهم الطفولي لأنهم غير كفؤ للبطل. تصرخ غوترون قائلة بأن برونهيلده هي التي تسببت في محنتها، بينما تخبرها برونهيلده بازدراء بأنها، غوترون، لم تكن أبداً زوجة لـ زيغفريد، بل مجرد دخيلة. تدرك غوترون أنها هي أيضاً ضحية لغدر هاغن فتلعنه، ثم تخر فوق جثمان غونتر.

تأمر برونهيلده الأتباع ببناء محرقة فوق عدوة النهر، وأن يأتوها بجواد زيغفريد. تنظر برونهيلده إلى البطل وتسكب حبها وحزنها

«Wie Sonne lauter strahlt mir sein Licht». ثم ترفع ناظريها وتدعو الآلهة أن ينظروا إلى ما فعلوه من دمار، وتسحب الخاتم من إصبع زيغفريد وتضعه في إصبعها. وتنظر باتجاه الراين وتغني؛ عما قريب ستسترجع عذراوات الراين خاتمهن الثمين من رمادها، نظيفاً من لعنته. وبأمر منها يحلق الغرابان، اللذان حطا قرب عدوة النهر، عائدين إلى فوتان ومعهما رسالة تقول بأن هلاكه وشيك. وتطلب منهما برونهيلده التوقف عند النار التي تطوق الصخرة، ويخبرا لوغا أن يلتحق بالآلهة في ساعتهم الأخيرة. ثم تنتزع من يد أحد الأتباع مشعلاً، وتقذفه إلى المحرقة التي تنفجر بألسنة اللهب.

يؤتى بجواد زيغفريد. وبمصاحبة موسيقا مشهد القربان العظيم، تحيي برونهيلده زيغفريد في موته، ثم تنطلق ممتطية جواد زيغفريد، وتقذف نفسها في المحرقة المشتعلة. تتأجج النيران وتبدو وهي تلتهم القاعة كلها. وعندما يخبو اللهب، يجيش الراين بطوفان عنيف، دافعاً عذراوات الراين إلى قمته. وعندما يراهن هاغن يغوص في النهر كالمجنون ليستحوذ على الخاتم المشتهى، ويصيح «Zurück vom Ring» ابعدن عن الخاتم. فتجره العذراوات إلى أسفل، ثم يظهرن مع فلوسهيلده وهي تعرض الخاتم في إيماءة نصر فرحة.

يخمد الراين. وفي البعيد يبزغ وهج من خلال حزام السحب الأسود، كاشفاً عن الفالهالا وفوتان مع الآلهة من حوله، يواجهون قدرهم المشؤوم. تعصف الموسيقا، وتصل إلى ذروة عظيمة على ثيمتي الراين والفالهالا، ثم تخبو، لتحلق عالياً الوتريات وهي تعزف ثيمة بزوغ فجر عهد جديد، عهد الحب. وتسدل الستارة.

سالومي
Salome

للمؤلف ريتشارد شتراوس R. Strauss 1864-1949

وضع نصها المأخوذ عن أوسكار وايلد، هيدفيغ لاشمان

الشخصيات

نارابوث ، رئيس حرس شاب	تينور
خادم هيرودية	كونترآلتو
جندي أول	باص
جندي ثاني	باص
جوكانان (يوحنا المعمدان)	باريتون
كابادوسي (نسبة إلى منطقة كابادوسيا القديمة)	باص
سالومي ، ابنة هيرودية	سوبرانو
جارية	سوبرانو
هيرود أنتيباس ، حاكم اليهودية الروماني	تينور
هيرودية ، زوجته	ميتسو ـ سوبرانو
خمسة يهود	أربعة تينور وواحد باص
ناصري أول	باص

ناصري ثاني تينور

جلاد تينور

المكان: سطح واسع في قصر هيرود

الزمان: نحو عام ٣٠ بعد الميلاد

اللغة: الألمانية

التقديم الأول: درسدن في ٩ كانون الأول عام ١٩٠٥

حقق ريتشارد شتراوس بأوبرا سالومي نجاحه الأول الهام بصفته مؤلف أوبرا، وقد أثارت هذه الأوبرا ضجة كبيرة بسبب موضوعها المَرَضي، وبسبب الهارموني المبتكر الجريء الذي وُظف لتصوير الانفعالات السيكولوجية الدقيقة. كما استخدم شتراوس، متأثراً بـ فاغنر، اللحن الدال*، كذلك استخدم منهجاً لتركيب الخط اللحني فوق مرافقة أوركسترالية متواصلة التدفق.

تجري جميع أحداث أوبرا سالومي في مشهد واحد. في جانب يقع مدخل قاعة المآدب في قصر هيرود، وفي الجانب المقابل بوابة ضخمة. في وسط السطح ثمة مِنصب ذو قضبان حديدية يغطي فم حفرة كبيرة، إنها الزنزانة التي يُحبس فيها يوحنا المعمدان. الوقت ليلاً، ويغمر السطح ضوء القمر الشاحب.

نسمع في البداية لحن سالومي القصير ثم صوت نارابوث الذي يتحدث إلى الخادم. ينظر رئيس الحرس بعينين متقدتين تجاه قاعة المآدب، حيث تحتفل سالومي مع هيرود وحاشيته، ويتعجب من جمالها. ينبهه خادمه بألا يحدق فيها بحماسة كبيرة، لأن العواقب ستكون وخيمة. لكن نارابوث المفتون بها لا

---

* اللحن الدال «Leitmotiv» لحن قصير يشير إلى شخصية، أو إلى شيء، أو إلى فكرة. وقد استخدمه فاغنر في أوبراته.

يستطيع الكف عن التحديق بالأميرة. فجأة يأتي من أعماق الحفرة صوت يوحنا المعمدان مرتلاً نبوءة توراتية ، (Nach mir wird einer kommen, der ist stärker als ich) «سيأتي بعدي رجل أقوى مني».

يقترب عدد من الجنود ويتجادلون مع السجين الذي يقول بأنه رجل تقي ونبي. ولكن لا أحد يلحظ جندياً واحداً يستطيع أن يفهم معنى كلماته الغريبة.

تظهر الآن سالومي ، ضجرة وقلقة ، وتغني بأنها لم تعد تستطيع تحمل النظر في عيني هيرود أو عربدة الضيوف البهيمية. وتدريجياً يهدءها هواء الليل البارد ، وتحدق في القمر ، وتتأمل بهدوء جماله الطاهر. يقطع صوت يوحنا استغراقها ، فتسأل الجنود وقد أجفلها الصوت ، عن الذي يصرخ بهذه النبرات الغريبة ، فيجيبوا بأنه النبي. يقترب نارابوث ويحاول أن يلفت انتباهها ، ثم يقترح عليها أخذ قسط من الراحة في الحديقة. في هذه الأثناء تخبرها أمة بأن هيرود يدعوها للعودة إلى المائدة ، لكنها تعلن غاضبة بأنها سوف لن تعود.

تواصل سالومي ، متجاهلة التماس نارابوث في أن تعود إلى داخل القصر ، استجواب الجنود حول السجين. تسألهم فيما إذا كان مسناً ، فيجيبوا بأنه شاب. تصغي الأميرة بتوتر إلى صوت يوحنا المنذر الذي عاد من جديد ، ثم تقول بأنها ترغب بالتحدث إلى النبي. يخبرها أحد الجنود بأن هيرود منع الجميع ، حتى الكاهن الأكبر ، من التحدث إلى السجين. عندئذٍ تأمر سالومي الجنود ، متجاهلة التحذيرات ، أن يجلبوا لها النبي. تعدو سالومي إلى الحفرة وتحدق في أعماقها المظلمة ، ثم تكرر بعنف ما أمرت به ، لكن الجنود يجيبوا مرتجفين بأنهم لا يستطيعوا تحقيق رغبتها.

تقترب سالومي من نارابوث وتتملقه لكي يحقق طلبها. وتقول له بنبرة إغواء، إذا ما حقق رغبتها فسوف ترشقه بوردة أو سوف ترشقه غداً بابتسامة حينما يمر لأداء واجبه. يأمر نارابوث، وقد شُلت إرادته بتأثير من سحرها، بجلب النبي إلى الخارج. ثمة فاصل أوركسترالي تصل من خلاله الموسيقا إلى ذروتها مع ثيمة النبوة التي ترافق يوحنا. يُرفع غطاء الحفرة بقضبانه الحديدية إلى الوراء ويظهر النبي، إنه شخص جليل بزي حاج.

وبنبرات رنانة يتفوه يوحنا بكلمات اللعن الغريبة. ترتد سالومي إلى الوراء وقد تملكها الرعب، ثم تسأل نارابوث عن معنى كلماته، لكنه لا يتمكن من إخبارها. عندئذٍ ينفجر النبي مكيلاً اتهامات شنيعة على هيرودية، واصفاً إياها بأنها تجسيد للشر والفسوق، وإنها المرأة التي لوثت خطاياها الأرض كلها. يتملك سالومي الرعب، ثم تبدو مسحورة لدرجة لا تستطيع إبعاد عينيها عن وجهه. يتوسل إليها نارابوث أن تغادر، لكنها تصر على البقاء قائلة بأنه ينبغي عليها أن تنظر عن كثب في وجه النبي.

يسأل يوحنا الجنود، بعد أن ينظر إليها نظرة ازدراء، من هذه المرأة. فتخبره سالومي بأنها ابنة هيرودية. فيأمرها النبي بغضب شديد أن تغادر، لكن سالومي تغني، وعيناها مثبتتان على وجهه، بأن صوته هو موسيقا في أذنيها. وعندما ينصحها بالذهاب إلى البرية لتبحث عن الخلاص، تغني بعشق جمال جسده. ثم تروح تتغنى بشعره وفمه ثم تلتمس منه بشهوانية أن يمنحها قبلة. يقف نارابوث، وقد جُن من الغيرة، بين سالومي ويوحنا ويقتل نفسه. وحين يسقط أرضاً لا تكلف الأميرة نفسها بالتطلع إلى الأسفل. يطلب يوحنا من سالومي أن تبحث في شواطئ الجليل عن المخلص، ثم يركع طالباً أن تُغفر آثامها. لكن ردها الوحيد على ذلك تضرعها المسعور من اجل قبلة. يبتعد النبي راعداً بأنها ملعونة ثم

يختفي داخل الزنزانة. وبعد إغلاق الزنزانة تحدق سالومي في أعماقها وقد ارتسم على وجهها تعبير نصرٍ ضارٍ.

يظهر هيرود وهيرودية يتبعهما أفراد الحاشية المخمورون. يسأل الملك عن سالومي. إن تصرفه المحموم ينم عن ولعه الشديد بها. يحدق هيرود في سالومي باشتهاء، فتعنّفه هيرودية بحدة، لكنه لا يبالي بكلماتها ويصيح بأن القمر مثل امرأة دفعتها الرغبة إلى الجنون. فجأة ينزلق في بركة من الدماء ثم يرتد إلى الوراء حين يرى جسد نارابوث. يخبره أحد الجنود بان الكابتن قتل نفسه. يأمر هيرود بحمل الجسد إلى الخارج.

وعندما تصور المرافقة الأوركسترالية بحيوية صوت الريح المندفعة، ينكمش هيرود من الخوف صائحاً بأن ثمة أجنحة جبارة تضرب في الهواء من حوله. فتقول هيرودية وهي تنظر إليه بازدراء بأنه مريض. يرد هيرود وقد تمالك نفسه بأنها سالومي ويدعوها لتناول الطعام والشراب معه لكنها ترفض بفظاظة. تتشفى هيرودية بتلذذ بهزيمة الملك المزرية.

يصيح يوحنا من زنزانته: حانت الساعة الموعودة، عندئذٍ تأمر هيرودية الجنود بان يسكتوه، وعندما يستنكر هيرود معاملتها الفظة لـ يوحنا قائلاً بأنه خائف من النبي، تذكره هيرودية بأنه فشل بتسليمه إلى اليهود. يقترب خمسة من اليهود ويطالبون بـ يوحنا.لكن هيرود يرفض بجفاء قائلاً بأن السجين رجل تقي كان قد أبصر الله. فيرد اليهود بعنف قائلين بأن يوحنا مجدف، وليس ثمة أحد منذ إيليا قد أبصر الله. يعارضهم هيرود، ويعقب ذلك مناظرة لاهوتية بينه وبينهم.

وفي ذروة ذلك يرعد صوت يوحنا متنبئاً بقدوم المخلص. ويبدأ رجلان من الناصرة مناقشة بعض المعجزات التي اجترحها الهادي الغريب، ومن هذه

المعجزات معجزة إحياء الميت. عند ذلك يعلن هيرود بأن هذه المعجزة الشنيعة ستمنع بقرار ملكي. يمضي يوحنا ويتكهن بهلاك هيرودية، وبيوم الحساب المخيف الذي سوف يأتي في القريب العاجل بسبب ملوك الأرض. تطلب هيرودية وقد انتابها غضب وحشي اسكات ذلك الذي يدينها.

يطلب هيرود من سالومي التي كان يحدق بها بإمعان أن ترقص من أجله، فتمنعها الملكة من الرقص، فتتردد سالومي. يتوسل إليها الملك، ويحاول أن يغريها بتحقيق أي شيء ترغبه. وعلى الرغم من احتجاجات هيرودية الغاضبة تذعن سالومي، لكنها ترغم هيرود على أن يقسم بانه سوف يمنحها أي شيء ترغبه. وعندما تجوب ثيمة الريح المشؤومة مرة ثانية خلال الأوركسترا، يشكو هيرود من انه يسمع صوت الأجنحة. إن مخاوفه المتعاظمة تسبب له نوبة من الإهتياج فيطيح باكليل الورود من على رأسه صائحاً بأن الورود تحترق وكأنها تاج من نار، ثم يتقهقر من الاعياء. يكرر صوت يوحنا نبوءته الكئيبة باقتراب يوم الحساب، ويتابع كأنه تيار باطني لا يلين. أثناء ذلك يهيء العبيد سالومي لأداء رقصتها، ثم تشرع في تقديم «رقصة الحجب السبعة *».

إثر الذروة الوحشية للرقصة تقف سالومي برباطة جأش قرب فتحة الزنزانة ثم تطرح نفسها على قدمي هيرود. وفي نشوة محمومة يسألها أن تحدد رغبتها. ثمة نغمة حادة مرتعشة تعزفها الوتريات عندما تبدأ سالومي الكلام. وبعذوبة حاقدة تطلب سالومي رأس يوحنا على طبق فضي.

يصرخ هيرود وهو في حالة رعب، بينما تصفق هيرودية لابنتها بصفتها تمثل ذريتها المثلى. وباهتياج يعرض عليها هيرود جواهره النفيسة، طواويسه، عباءة

* في بعض العروض تقوم راقصة بأداء هذه الرقصة بدلاً من المغنية.

الكاهن الأكبر، ستار الحرم، يتوسل إليها أن لا تطلب رأس رجل الله المقدس. تظل سالومي مصرة على عنادها، وتكرر طلبها بهمجية. وأخيراً يغوص هيرود مرتجفاً من الخوف واليأس، ويبدو كأنه فقد صحوه. تنتزع هيرودية بسرعة خاتم تنفيذ حكم الإعدام من إصبعه وتعطيه إلى جندي كي يأخذه إلى الجلاد. يفتقد هيرود الذي عاد إليه صحوه الخاتم، ويشكو من أن فقدانه ينذر بالشر.

تراقب سالومي الجلاد يهبط إلى الزنزانة، ثم تنصت بإمعان. وعندما لا يتناهى إلى سمعها أي صوت، تأمر الجلاد بغضب ان يضرب، لاعنة إياه على التأخير. ومن خلال الظلمة الكثيفة تبرز فجأة من الحفرة ذراع الجلاد وهي تحمل عالياً الطبق وعليه الرأس المقطوع. تبدأ سالومي، وهي تضع يدها على الرأس، أغنيتها الرهيبة، أغنية الشغف المحبط والشهوة المكبوتة "Ah! Du wolltest mich nicht deinen Mund küssen lassen!". في الحياة لم يدعها تقبل فمه، لكنها سوف تقبله الآن. العينان التي نظرتا إليها في غضب، هما مغلقتان إلى الأبد، واللسان الذي شجبها بضراوة هو صامت الآن. لكنها ما زالت تحيا، تهلل سالومي مربتة على الرأس، ومرة ثانية تناجي جسد يوحنا.

يهم هيرود، وقد صعقه المشهد الرهيب، بالمغادرة. تدمدم سالومي بأنها الآن قبلت فم النبي أخيراً. ثم تقول بتأمل أن للقبلة طعماً مراً. ثم تصرخ ثانية بابتهاج مجنون انها قبلت فم يوحنا، وفي تلك اللحظة ينبثق من خلال السحب شعاع من ضوء القمر ينيرها. يندفع هيرود ويحدق بها في رعب، ثم يأمر جنوده بقتلها. يسحق الجنود سالومي تحت تروسهم. وتنزل الستارة.

توســـكا

TOSCA

للمؤلف جياكومو بوتشيني.

وضع نصها، المأخوذ عن دراما، LaTosca، لـ ف ساردو، لويجي إليكا وجوسيبه جياكوزا

الشخصيات

سيزار أنجيلوتي، سجين سياسي هارب	باص
قندلفت	باريتون
ماريو كافارادوسي، رسام	تينور
فلوريا توسكا، مغنية أوبرا شهيرة	سوبرانو
البارون سكاربيا، رئيس الشرطة	باريتون
سبوليتا، ضابط شرطة	تينور
شاروني، دركي	باص
راعٍ شاب	باص
سجان	باص

كاردينال، الجلاد روبرتي، قاضٍ، موظف، رقيب، جندي مشاة، حراس سويسريون، أهل البلدة

المكان روما

الزمان   حزيران عام ١٨٠٠

التقديم الأول : تياترو كوستانزي، روما ١٤ كانون الثاني عام ١٩٠٠

اللغة الأصلية   الإيطالية

حدثت قصة توسكا في الوقت الذي كانت فيه روما ممزقة بسبب العنف السياسي الذي نشب بين البونابرتيين والملكيين. وقد ضمن بوتشيني دراما العنف والتآمر والحماسة هذه غنائيته العفوية إلى جانب التعبير الدرامي القوي.

الفصل الأول

داخل كنيسة سانت أندريا ديلا فالا في روما. إلى الجانب كنيسة عائلة أتافانتي، وإلى الجانب الآخر حامل يحمل لوحة فنية غير منتهية لامرأة، ربما للمجدلية. إلى جانبها أدوات الرسام وسلة.

ليس ثمة تمهيد. وبعد بضعة أكوردات خشنة ترمز إلى سكاربيا رئيس الشرطة، ترتفع الستارة. يدخل أنجيلوتي بسرعة لاهثاً وهو يرتدي لباس السجن. يدمدم قائلاً إنه نجح في الهروب من مطارديه، ثم يتجه نحو ضريح العذراء ويجد مفتاحاً كانت أخته قد خبأته هناك. يفتح باب الكنيسة الصغيرة ويتوارى في داخلها.

بمرافقة لحن نشط يدخل القندلفت وهو يحمل حزمة من رِيش الرسم.إنه شخصية غريبة بعض الشيء يحرك رأسه وكتفيه بعصبية. يتذمر من رِيش الرسم الوسخة، ويعبر عن دهشته لغياب الرسام. ينظر إلى داخل السلة فيجد الطعام لم يمس، فيستنتج أن كافارادوسي سيعود قريباً. يركع القندلفت ويترنم بصلاة.

يدخل ماريو ويشرع في العمل على لوحته. يحدق القندلفت إلى اللوحة ـ إنها امرأة جميلة بشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين ـ ويهتف إنها تشبه المرأة التي تأتي يومياً وتصلي في الكنيسة بجانب ضريح العذراء. يبتسم ماريو ويقول إن وجهها الجميل ألهمه. يضع فُرشته ثم يخرج من جيبه صورة منمنمة لـ فلوريا توسكا. وفي آريا جميلة «Recondita armonia» يقارن بين صورة توسكا والمجدلية. يعبر القندلفت عن استنكاره، ثم ينشغل في تنظيف الفُرش ثم يخرج.

وبينما يتابع ماريو عمله يدخل أنجيلوتي بحذر ويقترب منه. أخيراً يتعرف الرسام على صديقه ويهتف دهشاً. وبسرعة يغلق باب الكنيسة. يخبره أنجيلوتي قائلاً إنه هرب من سجن سانت أنجيلو. فيعده ماريو بحماسة بتقديم المساعدة. في تلك اللحظة يُسمع صوت توسكا. يدفعه ماريو إلى داخل الكنيسة بعد أن يعطيه سلة الطعام، ويطلب منه أن يظل هادئاً، ثم يفتح الباب لاستقبال توسكا.

يهم ماريو بمعانقتها فتصده بغضب، وتسأله بشك إن كانت السيدة الجميلة تطلب منه القدوم إلى بيتها الريفي مساءً، يجيبها بأجوبة مبهمة. ثم يطلب منها بكياسة أن تتركه يعمل. وبينما تهم بالانصراف تلقي نظرة على الوجه الذي يرسمه، وتعلق قائلة إن المجدلية رائعة الجمال. وفجأة تلاحظ أن الرسم يشبه المركيزة أتافانتي، فتصرخ قائلة ،والغيرة تأكلها، إن ثمة سبباً لحركاته الماكرة. يحاول ماريو تبديد شكوكها. تستجيب توسكا بحب لكلماته، ثم تتوسل إليه لجعل عيني المجدلية سوداوين كعينيها بدلاً من لونهما الأزرق. يعدها ماريو بعمل ذلك، وتخرج مسرعة.

يطلب ماريو من أنجيلوتي الخروج من الكنيسة. وأمام دهشة الرسام يكشف الهارب سره، ويقول إن المركيزة أتافانتي هي شقيقته، وقد خبّأت له ملابس تحت المذبح ليتقنع بها أثناء فراره من سكاربيا الرهيب. يعطيه ماريو مفتاح فيلته،

ويدله على معبر سري يوصله إلى قبو المؤونة إذ سيكون فيه آمناً. يأخذ أنجيلوتي الملابس المخبَّأة ويهم بالخروج. عندئذٍ يُسمع صوت طلقات مدفع، فيهتف ماريو قائلاً إنهم اكتشفوا هروب أنجيلوتي. ويقرر أن يرافق أنجيلوتي إلى منزله.

يدخل القندلفت ليجد ماريو قد رحل. بعد ذلك بوقت قصير يروي القندلفت للذين تبعوه إلى الكنيسة من كورس الأولاد والشماسة ما حدث لـ بونابرت الذي هُزم شر هزيمة. ويتابع قائلاً : وفي هذه المناسبة سيقام حفل كبير ستغني فيه فلوريا توسكا.

يتوقف الاضطراب حين يدخل سكاربيا الكنيسة ومعه سبوليتا وبعض ضباط الشرطة. يأمر الأولاد بالتحضير للصلاة، ثم يُعلم القندلفت المرتجف أن أحد السجناء السياسيين فر من السجن وتسلل إلى الكنيسة. وأثناء تفتيشه الكنيسة يجد مروحة تحمل شعار المركيزة أتافانتي. ثم يلقي نظرة على اللوحة، فيخبره القندلفت أن ماريو كافارادوسي هو الذي قام برسمها. يبدو ذلك الاسم مألوفاً لدى سكاربيا لأن كافارادوسي مشبوه بوصفه بونابرتياً، ويعرف أيضاً بأنه عشيق توسكا.

يخرج ضابط الشرطة من الكنيسة وهو يحمل سلة فارغة. يبرر القندلفت بحماقة قائلاً إن كافارادوسي لم يكن لديه مفتاح الكنيسة (هنا كنيسة صغيرة ضمن الكنيسة بمذبح مستقل) لذا لم يتمكن من أكل وجبته هناك. يصغي سكاربيا باهتمام، مستنتجاً أن أنجيلوتي هو الذي أكل الطعام، وأن كافارادوسي هو الذي دبر أمر هروبه.

تعود توسكا، التي ارتابت بإخلاص ماريو، إلى الكنيسة. يختبئ سكاربيا بسرعة خلف العمود، ويطلب من القندلفت الوقوف قرب المنصة دون حركة.

وحين تسأله توسكا عن ماريو، يتمتم ببعض كلمات ثم يهرع للخارج. وبهدوء يقترب منها سكاربيا ويعلق بسخرية على ورعها. ويتابع قائلاً؛ هناك أشخاص يدخلون الكنيسة فقط ليظهروا عدم احترامهم لها بسبب استخدامهم لها كملتقى عشاق. يحمل المروحة بحذر ويقول إن سيدة جميلة أسقطتها حين فوجئت بأحدهم يدخل الكنيسة.

ينتاب توسكا الرعب حين ترى شعار أتافانتي، وتحاول إخفاء غيرتها، غير أنها، وقد تأثرت بتلميحات سكاربيا، تهدد بالانتقام من غريمتها. تبكي توسكا في ذل، في حين يتظاهر سكاربيا بمواساتها، ثم يرافقها إلى الباب.

وحين يعود، يظهر سبوليتا من مخبئه، فيأمره سكاربيا باللحاق بـ توسكا ورصد حركاتها، ثم يزوده بتقرير عنها. يقف سكاربيا في صحن الكنيسة متشفياً من نجاح خطته الشريرة. يدخل الكاردينال وتبدأ ترتيلة الشكر. يغني سكاربيا مناجاة تعرف بـ «Te Deum، ترتيلة الشكر» يبتهج فيها لتحقيق نصرين: احتضان توسكا وسقوط كافارادوسي. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

جناح سكاربيا في قصر فارتيزي. إنه يتناول طعام العشاء وحيداً على طاولة قرب نافذة تطل على ساحة القصر. يقول بتأمل إن كافارادوسي وأنجيلوتي سوف يتدليان قريباً من ذات المشنقة. ينطلق من الأسفل صوت الموسيقا التي تُعزف بمناسبة الاحتفال بالانتصار على بونابرت، وستغني فيه توسكا. يستدعي سكاربيا الدركي شاروني ويطلب منه أن يخبر توسكا بأنه ينتظرها بعد انتهاء وصلتها الغنائية، ويعطيه رسالة ليسلمها لها. وفي مناجاة دراماتيكية يغني «Ha più forte sapore» قائلاً إنه يزدري فنون الحب، وأن متعته تتجلى في تحقيق رغباته دون شفقة.

يظهر سبوليتا لتقديم تقريره. يقول وهو يرتجف خوفاً: إنه فتش هو ورجاله فيلا كافارادوسي ولم يجدوا أثراً لـ أنجيلوتي. يتلاشى غضب سكاربيا حين يخبره سبوليتا بأنه جلب معه كافارادوسي كسجين. يأمر سكاربيا بإحضار السجين ليمثل أمامه بحضور الجلاد روبرتي وقاضٍ وموظف.

وبينما سكاربيا ينتظر، يُسمع صوت توسكا يرافقه الكورس. يُجلب كافارادوسي، ويطلب بغضب تفسيراً لاعتقاله. يبدأ سكاربيا باستجوابه حول أنجيلوتي. وحين يتهمه بإخفاء السجين الهارب في فيلته، ينكر كافاردوسي كل شيء. يعاود سكاربيا استجوابه دون رحمة، لكن كافارادوسي يستمر في تحديه. تندفع توسكا إلى داخل الغرفة وترتمي بين ذراعي حبيبها. يحذرها، على انفراد، من كشف أية معلومة حول الفيلا. يقف سكاربيا ويخبره بأن القاضي ينتظر ليسمع اعترافه في الغرفة المجاورة ـ في الواقع هي غرفة التعذيب. يساق كافارادوسي إلى الغرفة المجاورة يتبعه روبيرتي والقاضي والموظف وشاروني. يطلب سكاربيا من شاروني أن يباشر مهمته كما جرت العادة بانتظار تعليمات أخرى. يدخل شاروني غرفة التعذيب ويغلق الباب وراءه، في حين يقف سبوليتا أمام باب الغرفة المغلق.

يبدأ سكاربيا باستجواب توسكا حول الفيلا، فتصر على أنه لم يكن فيها أحد غير كافارادوسي. في تلك اللحظة ينادي شاروني ويسأله هل أدلى كافارادوسي بتصريح، فيجيبه قائلاً إنه لم يدل بشيء. تعلن توسكا، جاهلة أن حبيبها يخضع للتعذيب، أن هذا التحقيق غير مجدٍ. يخبرها سكاربيا قائلاً بهدوء إن جواباً صادقاً ربما يجنب حبيبها العذاب. تلهث توسكا رعباً حين يرعد سكاربيا قائلاً إن رأس ماريو الآن مطّوق بطوق من الفولاذ يضيّق حين يدعو الضرورة فينبجس الدم من عروقه عند كل إنكار. يصدر أنين من خلف الباب يؤكد خطورة كلمات سكاربيا.

تتجه توسكا نحو الباب وتنادي ماريو الذي يُسمع صوته الواهن وهو يدعوها لكي تظل صامتة. وبقسوة تلعن سكاريبا بسبب وحشيته، لكنه، ببساطة، يطري بسخرية عرضها الدراماتيكي. وفجأة يأمر سبوليتا بفتح الباب، وحين ترتد توسكا أمام مشهد التعذيب، يعيد سكاريبا سؤاله بخشونة «أين أنجيلوتي؟».

وبهياج تتوسل توسكا إلى ماريو لكي يدعها تتكلم، لكن الرسام يمنعها من خلال صرخاته الأليمة. وحين تنفجر من بين شفتيه صرخة أليمة، تفقد توسكا السيطرة على نفسها وتبوح باسم المكان الذي يختبئ فيه أنجيلوتي. يأمر سكاريبا بوقف التعذيب، وبنقل ماريو وهو ينزف فاقداً الوعي إلى الغرفة وتمديده على أريكة. تركع توسكا إلى جانبه وهي تنتحب. وبعد عدة دقائق يستعيد وعيه ويسألها بضعف إن كان قد كشف السر. وبينما تؤكد أنه لم يفعل، يكرر سكاريبا لـ سبوليتا الكلمات التي قالتها توسكا منذ لحظة.

وفي غضب مجروح يلعن ماريو توسكا لخيانتها. في تلك اللحظة يندفع شاروني إلى الغرفة معلناً أخبار هزيمة الجنرال ميلاس على يد بونابرت. يتبع ذلك ثلاثي غنائي قصيرلكنه عاصف «L'alba vindice appar». يبتهج ماريو لهذا النصر، في حين تسعى توسكا إلى تهدئته. يبدي سكاريبا كراهيته لهذا الثائر ويأمره بالعودة إلى الزنزانة. تقاوم توسكا الحرس بشدة، لكنهم يدفعونها جانباً ويقودون ماريو إلى الخارج.

يجلس سكاريبا إلى طاولته وهو يبتسم بانتصار، ويقدم لـ توسكا كأساً من النبيذ، ويبدأ بتناول وجبته. تراقبه توسكا بقرف ثم تسأله عن الثمن الذي يطلبه. يجيبها سكاريبا من خلال آريا عظيمة «Mi dicon venal». ثم يصرخ قائلاً: أصدقاؤه يدعونه بالفاسد والمرتزق. لكن حين يتعلق الأمر بامرأة جميلة يكف عن

الكلام عن المال القذر. إن جمال توسكا أسره لدرجة أن بغضها الشديد له جعله يقرر امتلاكها. ثم يتابع قائلاً إن الثمن الذي يطلبه هو توسكا نفسها. وفي حين تبتعد عنه توسكا برعب يُسمع من بعيد قرع الطبول. وبعد فترة صمت يقول سكاربيا، لم يبق على موت حبيبها سوى ساعة. وفي آريا رائعةتعبر توسكا عن ألمها الرهيب «Vissi d'arte». لقد عاشت حياتها من أجل فنها ومن أجل الحب، لم تؤذ أحداً، وساعدت المساكين. والآن في ساعتها الأحلك يخذلها الله. تركع أمام سكاربيا متوسلة، إلا أنه يكرر فقط اقتراحه الداعر.

فجأة يندفع سبوليتا ويخبر سكاربيا أن أنجيلوتي قتل نفسه بالسم في اللحظة التي قُبض عليه فيها. يأمر سكاربيا أن تعلق جثته على المشنقة. يسأله سبوليتا؛ «وكافارادوسي؟». يلتفت سكاربيا نحو توسكا وفي عينيه نظرة تساؤل. وفي ذل تومئ برأسها. وفي الحال يقول سكاربيا لـ سبوليتا؛ سيكون هناك إعدام صوري، «تماماً مثلما فعلنا مع بالميري»، يقول ذلك ناظراً بصرامة إلى الملازم، الذي يغادر وقد فهم مراد سكاربيا. يوافق سكاربيا على السماح لـ توسكا بإعلام كافارادوسي بخطة سكاربيا. تقوم توسكا بإغواء سكاربيا ليمنحها جواز مرور لها ولـ ماريو. وأثناء كتابته الوثيقة تقترب من الطاولة وتأخذ كأس النبيذ الذي سكبه لها. وبحذر شديد تلتقط سكيناً من على الطاولة وتخبئها وراء ظهرها، وتلتفت لتراقب سكاربيا. وحين يختم جواز المرور يقف على قدميه ويتقدم نحو توسكا باسطاً ذراعيه. وحين يهم بمعانقتها تغمد السكين في صدره وهي تمتم بقسوة «هذه قبلة توسكا». يسقط سكاربيا ميتاً تحت قدميها. تبحث توسكا عن جواز المرور فتجده في يد سكاربيا الميتة. وبمرافقة موتيف سكاربيا تضع توسكا شمعتين مضاءتين على جانبي رأسه، وتنزع صليباً من الحائط وتضعه فوق صدره، وتخرج خلسة. وتسدل الستارة.

الفصل الثالث

سطح سجن قلعة سانت أنجيلو. إلى اليسار طاولة فوقها مشكاة، وبجانبها سجل السجن. على الحائط صليب تحته قنديل. إلى اليمين باب في أرضية المكان. الوقت قبل انبلاج الفجر. ليس ثمة أحد في المشهد. بعد تمهيد هادئ، تُسمع من بعيد أجراس الأغنام، كما تُسمع أغنية حزينة لراعٍ، تتلاشى حين تقرع أجراس الكنيسة تعلن وقت صلاة الصبح.

يصعد السجان من خلال الباب الأرضي ويجلس إلى الطاولة. بعد قليل يؤتى بـ كافارادوسي. يطلب ماريو الإذن بكتابة رسالة وداع، ويهدي السجان خاتماً لقاء هذه الخدمة. وأثناء كتابته تُسمع ثيمة ثنائي الحب التي تقع في الفصل الأول. وبعد انتهائه من الكتابة يضع القلم ويستعيد، من خلال آريا مؤثرة، ماضيه السعيد مع توسكا «E lucevan le stelle». يقتاد الضابط وجندي المشاة توسكا إلى الداخل. وحين ينصرفان، تريه توسكا بحماسة جواز المرور. وحين يرى ماريو توقيع سكاربيا ينظر إلى توسكا على نحو غامض، وفي آريا ملتهبة «Il tuo sangue o il mio amore voleta» تقص عليه قصة قتلها لـ سكاربيا، وتلطُّخ يديها بدمائه. يأخذ ماريو يديها ويواسيها في مقطع متوهج «O dolci mani».

عندئذٍ تشرح له توسكا قائلة إن الفرقة المكلفة بإطلاق النار سوف تستخدم خراطيش خلبية، وعليه فقط أن يتظاهر بأنه سقط ميتاً حين تطلق الفرقة نيرانها. يُساق كافارادوسي إلى الحائط، ويرفض تعصيب عينيه. تتراجع توسكا إلى الوراء وتواجهه. تستعد الفرقة لإطلاق النار، ثن يرفع سبوليتا سيفه. تسد توسكا أذنيها بيديها. ينزل السيف ويتبعه إطلاق النار، ويسقط

ماريو. يتقدم الملازم ليطلق طلقة الرحمة، لكن سبوليتا يمنعه. وبعد تغطية الجسد يغادر الملازم ومعه الجنود.

تتقدم توسكا باحتراس وتحذر ماريو من الإتيان بأية حركة. وحين تتأكد من ذهاب الجنود تناديه، في البدء بنعومة، ثم بيأس حين لا يجيب. ترفع الغطاء فتدرك أنه ميت، فتسقط فوق جثته وهي تُعْول بمرارة. فجأة تُسمع من الأسفل صيحات غاضبة، وبعد لحظة يصعد سبوليتا وشاروني من الباب الأرضي. يندفع الملازم نحو توسكا صارخاً أنها ستدفع ثمن جريمتها. تدفعه عنها بعنف، ثم تصرخ «سكاربيا، سأواجهك أمام الله»، وترمي نفسها من فوق السور. وتسدل الستارة.

تريستان وإيزولده

Tristan and Isolde

للمؤلف ريتشارد فاغنر.

وضع نصها، المبني على أسطورة من القرون الوسطى، المؤلف نفسه.

الشخصيات

بحار شاب	تينور
إيزولده ، أميرة إيرلندا	سوبرانو
برانغينه ، وصيفة إيزولده	ميتسوـ سوبرانو
تريستان ، فارس كورنوول	تينور
كورفينال ، تابع تريستان	باريتون
ميلوت ، أحد رجال حاشية الملك مارك	تينور
الملك مارك ، ملك كورنوول	باص
راعي	تينور
مدير دفة المركب	باريتون

فرسان ، جنود ، حاشية ، بحارة

المكان : فوق سفينة ، كورنوول ، بريطانيا

الزمان القرون الوسطى

التقديم الأول : مسرح البلاط الملكي ، ميونيخ ، ١٠ حزيران عام ١٨٦٥

اللغة الأصلية الألمانية

في عام ١٨٥٧ قرر فاغنر أن يوقف مؤقتاً عمله في خاتم النيبيلونغ ليلتفت إلى تأليف تريستان وإيزولده، وهو الموضوع الذي شغل اهتمامه منذ عام ١٨٥٤. وقد أنهى فاغنر الأوبرا في عام ١٨٥٩، لكن لم يُقدم العمل إلا بعد ست سنوات. وبعد عدة تأجيلات قُدِّم العمل بقيادة قائد الأوركسترا اللامع هانس فون بيلو بحضور لودفيغ ملك بافاريا، راعي فاغنر، وجمهور من الوجوه البارزة. وعلى الرغم من أن أفكار الأوبرا الموسيقية المتقدمة كانت خارج فهم الجمهور وإدراكه، فإن الأوبرا حازت الرضا والاستحسان. وقد مثلت هذه الأوبرا، في المقام الأول، نصراً فنياً، وليس نجاحاً جماهيرياً.

تعرض المقدمة الموسيقية ببلاغة العديد من موتيفات الأوبرا الموسيقية. وتبدأ بثيمات الاعتراف بالحب والرغبة، ثم تنتقل إلى موتيف نظرة الحب. وبعد أن تصل الموسيقا إلى درجة من الحدة، تندفع برشاقة من خلال ثيمات شراب الحب وجرعة الموت، إلى الموتيف الذي يرمز إلى توق العاشقين إلى التخلي عن فكرة الموت. ومرة ثانية تعود الثيمة الأولى لتنسج ذروة ضخمة، ثم تخمد متحولة إلى تصريح تأملي بألم الحب ـ موتيف التوق.

الفصل الأول

ظهر السفينة التي كُلف تريستان بأن ينقل بها إيزولده من إيرلندا لتصبح عروس عمه مارك ملك كورنوول. نرى سرادقاً ملكياً قد شُيِّد قرب مقدمة السفينة. إلى الجانب أريكة تضطجع عليها إيزولده التي يعلو وجهها الغضب والاكتئاب. تقف برانغينه قرب ستارة مفتوحة تتأمل البحر.

يأتي من المركب في أعلى الصاري صوت بحار يتغنى بعذراء إيرلندية. تصدم الكلمات أذنَيْ إيزولده، التي تعتقد بأنها المعنية، فتنهض من على الأريكة مبدية

إنزعاجها من هذه الإهانة. وبنفاد صبر تسأل برانغينه كم مضى من الزمن على إبحارهم. وحين تجيب وصيفتها قائلة إن السفينة سوف ترسو في كورنوول في المساء، تتجاهل إيزولده الرد مستسلمة إلى انعكاسه المؤلم عليها. إنها وهي ابنة السحرة الأقوياء الذين يستطيعون الهيمنة على قوى الطبيعة، راضية بالجرعات السحرية المخمرة لتداوي بها جراح عدوها اللدود. وبثورة غضب تطلب من الريح والأمواج أن يدمروا السفينة ومن عليها. تحاول برانغينه تهدئتها، لكن إيزولده تصرخ قائلة: إنها تكاد تختنق، وتأمرها بإسدال الستائر.

الآن يصبح القسم الأعظم من ظهر السفينة واضحاً. البحارة منهمكون بمهامهم. يقف تريستان وحده ناظراً إلى المياه، ويجلس كورفينال بجانبه. يُسمع صوت الحارس مرة ثانية وهو يغني نشيد البحارة بموتيفه المميز. تحملق إيزولده في وجه تريستان وتعلق قائلة إن هذا البطل الخرافي ـ الذي لا يسكن قلبه إلا الموت ـ تنقصه الجرأة ليواجهها. يضفي موتيف الموت خطراً محتملاً على كلماتها، وتطلب من برانغينه أن تُعلم تريستان بأنها راغبة في رؤيته ـ وهذا أمر وليس رغبة.

وبمرافقة موتيف البحر بإيقاعه القوي، تقترب برانغينه من تريستان، وتنقل له رسالة إيزولده. يجيبها تريستان قائلاً: إن له الشرف أن ينفذ مهمته ويرافقها لتقابل الملك مارك حين ترسو السفينة. ويضيف قائلاً إنه لا يستطيع في هذه اللحظة ترك دفة السفينة. يتدخل كورنيفال قائلاً: إن الفارس تريستان لا يتلقى أوامره من امرأة. إنه يغني مقطعاً مفعماً بالقوة يسرد من خلاله قصة مورولد، اللورد الإيرلندي الذي كان سيقترن بـ إيزولده والذي حاول جمع الضرائب من كورنوول، ولهذا قام تريستان الشجاع بقطع رأسه وأرسله إلى إيرلندا. يكرر البحارة المقطع على نحو حيوي.

تعود برانغينه غاضبة وتخبر سيدتها برفض تريستان وإهانة كورفينال. تستعيد إيزولده بحقد الأحداث المميتة في إيرلندا. لقد قدِم تريستان إلى إيرلندا بعدما أصيب بجروح بالغة في قتاله مع مورولد ليداوي جراحه بوساطة فنون إيزولده السحرية. وقد دعا نفسه تانتريس، لكن إيزولده تكتشف هويته الحقيقية. فقد لاحظت أن ثمة قطعة مفقودة من سيف تريستان، وأن ثمة شظية من الفولاذ استخرجت من رأس مورولد تطابق تماماً نصل سيف تريستان. لذا همت إيزولده بقتل تريستان انتقاماً منه لقتله خطيبها. لكن الفارس نظر في عينيها نظرة سلبتها قوتها وإرادتها. وقد قامت بمداواته وأرسلته إلى كورنوول. وتتابع إيزولده بسخرية فتقول: إن هذا البطل العظيم يكافئها على جميلها بإرغامها على الزواج من عمه العجوز الملك مارك. وبوحشية تلوم إيزولده نفسها على ضعفها وشفقتها على تريستان.

تحاول برانغينه تهدئة إيزولده ومواساتها بقولها: إن عروس الملك مارك ستصبح ملكة مملكة عظيمة. تظهر إيزولده، عن غير قصد، عواطفها الحقيقية حين تتحدث عن العيش المؤلم قرب تريستان في حب غير متبادل. تفترض برانغينه المخلصة، لكن الساذجة، أن إيزولده قلقة حول نجاح زواجها، فتطمئنها قائلة: إن الشراب السحري الذي أعدته أم إيزولده سينجح في جعل حياتها الزوجية سعيدة.

تأمر إيزولده، التي استحوذت عليها أفكار الثأر والموت، برانغينه أن تجلب لها علبة الجواهر التي تتضمن مستحضرات أمها، وتأخذ منها زجاجة سم وتقول لـ برانغينه إنها ترغب فقد في هذه الجرعة السحرية، فتصاب الخادمة بالذعر. في غضون ذلك تتعاظم الحركة على ظهر السفينة حين يهيئ البحارة السفينة لترسو

في الميناء. يدخل كورفينال إلى خيمة إيزولده الكبيرة ويخبرها بأن تكون جاهزة للترحيب بالملك مارك. تجيبه إيزولده ببرود قائلة: يتوجب على تريستان قبل أن يقودها للملك أن يطلب منها الصفح على سلوكه المتسلط. يعدها كورفينال بإيصال رسالتها.

وفي ذروة اليأس تفكر إيزولده بالانتحار، ثم تعانق برانغينه بحرارة وتطلب منها تهيئة كأس السم، ثم تضيف قائلة إن تريستان سيشرب معها كأس الكفارة. وحين تحاول برانغينه أن تثنيها عن الأمر، تجيبها بسخرية غاضبة. وبحدة تغني إيزولده موتيف الموت. في غضون ذلك يدخل كورفينال معلناً حضور تريستان. هنا يرعد موتيف تريستان في الأوركسترا. وبهدوء يدخل تريستان إلى الخيمة ويحيي إيزولده بهذه الكلمات: ما هي رغبة السيدة النبيلة؟ تجيب إيزولده قائلة: إن النبيل تريستان نسي مبادئ الفروسية ــ ليصلح الأخطاء التي ارتكبها ويطلب الصفح من أعدائه. ثم تذكّره بالعداء الدموي بينهما الذي لم يزُل بعد. وبعنف تدين تريستان لارتكابه جريمة قتل مورولد الوحشية، وتقسم أن تنتقم. وباحترام شديد يقدم لهاسيفه. فتعلق قائلة إن الملك مارك لن يرحب بقاتلة فارسه موضع ثقته. ثم، متظاهرة بالتخلي عن أفكار الانتقام جانباً، تطلب من تريستان أن يشرب معها كأس السلام. وتطلب من برانغينه أن تحضر لها الشراب. يبدي يرتستان توجُّسَه من القدر الذي ينتظرهما.

تقدم له إيزولده الكأس قائلة باستهز ء إن تريستان يمكنه الآن أن يخبر سيده بأنه شرب كأس الصداقة مع هذه العروس الشقراء التي أنقذت حياته، يتناول تريستان الكأس ويشربه بخضوع. تراقبه إيزولده للحظة، ثم تنتزع الكأس من يده، تشربه وترميه. يتجمد الاثنان حين تبدأ ثيمة الحب تهمس في الأوركسترا.

وحين تتصاعد الموسيقا وتبلغ الحدة، يحدق الاثنان أحدهما بالآخر في ذهول. وبصرخات عاطفية يرتمي الاثنان كل في ذراعي الآخر. ومن القسم الآخر من السفينة يأتي صوت الكورس مرحباً بالملك مارك. تراقب برانغينه ما يحدث، وتندب نفسها على خدعتها باستبدالها بجرعة الموت جرعة الحب. يتطارح العاشقان الغرام غافلين عن الجميع من حولهما. وبينما يهلل الرجال للملك مارك في كورس راعد، يحدق تريستان دون إدراك إلى الشاطئ. وبسرعة تضع برانغينه على كتفي إيزولده عباءة ملكية. وفي رعب مفاجئ تسألها إيزولده: آه ماذا كانت الجرعة؟ وحين تجيب برانغينه إنها جرعة الحب، يهتف تريستان وإيزولده بنشوة ممزوجة باليأس. وتسدل الستارة.

الفصل الثاني

حديقة قصر الملك مارك في كورنوول. تهيمن على المقدمة الموجزة ثيمة التوقع. الوقت ليلاً. ثمة مشعل على مدخل جناح إيزولده. ومن بعيد تسمع أبواق الصيد الملكي. تحدق برانغينه باتجاه الغابة، ثم إلى المدخل. تدخل إيزولده مسرعة وتغني بنشوة تلهفها لتكون بين ذراعَيْ تريستان. تحاول برانغينه إعادتها إلى رشدها، وتحذرها قائلة: إن ميلوت يخطط للغدر، وهذا الصيد هو جزء من خطته الشرير. لكن إيزولده تسخر من مخاوفها وتطلب منها إطفاء المشعل إشارة لـ تريستان ليقترب. وحين تحتج برانغينه منتحبة، تغني إيزولده قائلة: إن القدر جمع بينها وبين تريستان، وترمي المشعل على الأرض، بينما نسمع في الأوركسترا ثيمة التوقع.

تتطلع إيزولده بحماسة إلى المدى وتحرك وشاحها، ويرافق حركاتها الثيمة التي ترمز إلى الوشاح. تتصاعد الموسيقا حين ترى إيزولده تريستان. وحين تصل الموسيقا إلى

الذروة يندفع تريستان إلى الداخل. يتعانق العاشقان بنشوة ويتغنيان بمعجزة حبهما. وتدريجياً تخمد عاصفة شغفهما. يقود تريستان إيزولده ببطء إلى منحدرمعشب، ثم يغنيان ثنائياً غنائياً رائعاً (O sink hernieder, Nacht der Liebe). وحين يتوقفان للحظة يُسمع صوت برانغينه المحذر قادماً من البرج (Habet Acht)، لكنهما يتابعان غناء الثنائي. وفي حدة شغفهما يهتفان تاشِدَين الموت الذي سيجمعهما إلى الأبد خارج حدود هذا العالم.

فجأة يتوقف تدفق الموسيقا وهي في ذروتها. تصرخ برانغينه برعب، ويهرع كورفينال وهو يصرخ محذراً تريستان. عند ذلك يدخل الملك وصيادوه يقودهم ميلوت. تسرع برانغينه وتقف إلى جانب إيزولده. ويهب تريستان ويقف أمامها يحميها بترسه. يقف الجميع دون حراك أو كلام، بينما تسمع في الأوركسترا ثيمات تجلّي الحب. يكسر تريستان الصمت مدمدماً: فجر رهيب ــ للمرة الأخيرة. يهتف ميلوت قائلاً: إن خدعته تكللت بالنجاح وأوقعت العاشقين في فخها. يجابه الملك مارك تريستان ويعنفه بمرارة لخيانته للصداقة والثقة. ثم يتساءل قائلاً؛ لم عامله القدر بمثل هذه القساوة؟ فيقول تريستان بحزن ليس ثمة جواب. ثم يسأل إيزولده عما إذا كانت على استعداد للحاق به إلى أرض الظلام التي يتوجب عليه الذهاب إليها. وحين ترد إيزولده بالإيجاب، يصرخ ميلوت قائلاً: إنه سوف ينتقم منه لإهانته الملك، ويستل سيفه متحدياً تريستان، الذي يقبل التحدي برضا بارد، ويندفع نحو ميلوت ويتعمد ألا يقاوم خصمه الذي يطعنه. يندفع كورفينال وإيزولده نحو تريستان الذي يسقط على الأرض، في حين يكبح الملك مارك جماح الغادر ميلوت. يرعد موتيف الملك مارك بينما تسدل الستارة.

الفصل الثالث

فناء صخري في قلعة تريستان في بريتاني. في الخلف برج للمراقبة يشرف على منظر المحيط الواسع. قبل ارتفاع الستارة ثمة استهلال موجز يمتزج فيه موتيف المعاناة والتوق مع ثيمة شكوى الوحشة والوحدة.

يتمدد تريستان، المصاب بجراح بليغة، على أريكة وكورفينال إلى جانبه يراقبه عن كثب. من بعيد يسمع صوت مزمار راعٍ كئيب وحزين. وبعد هنيهة يظهر الراعي متسائلاً عما إذا كان تريستان ما يزال نائماً. يجيب كورفينال؛ وكيف يستيقظ وهو يكاد يموت، ويطلب من الراعي أن يراقب أية سفينة تلوح في الأفق، كما يطلب منه أن يبدل لحن المزمار الحزين بلحن مرح.

يصحو تريستان، فيشرح له كورفينال، رداً على تساؤلاته المشوشة، كيف وصلا إلى قلعته ـ فبعد المبارزة حمل سيده إلى السفينة التي نقلتهما إلى موطنهما. ثم يؤكد له قائلاً إن وجوده في موطنه سوف يشفيه من جراحه بسرعة. لكن تريستان الذي يهذي من الحمى ينادي إيزولده، ويهتاج من ضوء النهار الذي ارتبط بقدره المشؤوم. وحين يهدأ يخبره كورفينال قائلاً: إنه أوصى خادماً بجلب إيزولده من كورنوول لعلها تشفيه كما فعلت ذلك من قبل. وفي عبارات مؤثرة يعبر تريستان عن اعترافه بوفاء كورفينال الذي قاسمه الفرح والعذاب وحتى الخيانة. شيء واحد لم يستطع هذا الصديق المخلص أن يشاطره إياه ـ ألم الحب المخيف في قلبه. وفي حمى الهذيان يتخيل تريستان سفينة إيزولده قادمة.

يحاول تريستان النهوض لكنه لا يقوى على ذلك، فيتمتم قائلاً، وهو يصغي إلى مزمار الراعي، إنه سمع هذا اللحن الحزين منذ زمن بعيد حين ماتت

أمه وأبوه وإن هذا المقطع من اللحن ينسجم مع قدره. ومرة أخرى يعاوده جنون الألم فيلعن جرعة الحب، ثم يصرخ باهتياج قائلاً إن السفينة تقترب. يحاول كورفينال تهدئته، ويغير الراعي لحنه الحزين، ويعزف لحناً بهيجاً. ثم ينطلق كورفينال نحو السور ويصف قدوم السفينة، فيطلب منه تريستان استقبال إيزولده.

وفي نوبة من النشوة والألم ينهض تريستان، ينتزع الأربطة، ويحاول الوقوف على قدميه. تظهر إيزولده وتناديه، في حين يحلق موتيف الحب ويتصاعد بروعة. يرتمي تريستان بين ذراعيها. ثم لا يلبث أن يلفظ أنفاسه وهو يردد اسمها. تركع إيزولده إلى جانب جسده وتندب قائلة: إن ذلك الموت سلبها سعادة اللقاء، ثم تنهار مغشياً عليها بجانبه.

يعود كورفينال، الذي كان يراقب ما يحدث بأسى، إلى رشده حين يقول الراعي إن ثمة مركب آخر قادم. يتطلع كورفينال إلى البحر فيرى سفينة الملك مارك. يُسمع من الأسفل صليل السيوف، وصوت برانغينه تنادي إيزولده. يندفع ميلوت صاعداً إلى الفناء فيعاجله كورفينال بضربة مميتة. وحين يصل الملك وأتباعه يهاجمهم كورفينال بشراسة. وأثناء احتدام القتال تتجه برانغينه صوب إيزولده. وسرعان ما يصاب كورفينال بجروح بليغة يسقط على إثرها ميتاً. يحدق الملك إلى المشهد وهو يتمتم: الآن الجميع ـ الجميع أموات.

تصحو إيزولده، فتخبرها برانغينه بأنها اعترفت للملك بقصة جرعة الحب، ولما سمع ذلك أقبل ليصفح عن إيزولده. ثم يضيف الملك قائلاً: إنه برأ تريستان من جميع التهم، وقرر تزويج إيزولده بـ تريستان، لكن الموت وحده هو الذي انتصر. هنا تبدأ إيزولده بغناء أغنية الوداع الرائعة

(Mild und leise wie er lächelt). وحين يحلق صوتها في نشوة اقتراب الموت الروحية، تجيش ثيمات السعادة والفراق والتجلي في الأوركسترا وتبلغ ذروة عارمة. تسقط إيزولده فوق جسد تريستان ـ في النهاية يتحد العاشقان في الموت. يرفع الملك مارك يديه مباركاً الجسدين. وتنهي الوتريات الموسيقا المتلاشية. وتسدل الستارة.

الفهرس

دراسات موسيقية







www.syrbook.gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ٢٣٠ ل.س أو ما يعادلها